التفسيرات الأولية لدوافع السلوك الإجرامي في العصور القديمة

دراسة

تاريخية وفلسفية عن الجذور الأصولية لمبادئ علم الإجرام التي تأسست ونمت بفكر علماء وفلاسفة المجتمعات التي تألقت حضاريًا في شرق وغرب العالم القديم.

وعلى الأخص حضارة مصر الفرعونية

دكتور

سمير عبد المنعم أبو العينين

أستاذ تاريخ وفلسفة القانون

بكلية الشريعة والقانون ـ جامعة الازهر ـ بطنطا

والمحامي بالنقض والادارية العليا

رقم الإيداع القانوني
بدار الكتب والوثائق القومية
٢٠٠٠/١٩٥٠٢

الناشر
دار النهضة المصرية - ٩ ش عدلي بالقاهرة

المقدمـــــة

إن العلوم الإنسانية التي تكونت معطياتها بفكر العقول الناضجة لابد أن تكون لها جذور عميقة أسست جوهرها وأصولها الثابتة في الماضي البعيد، لأن تيار الفكر الإنساني لم يكن وليد الحاضر وإنما تدفق منذ بداية ظهور الجماعات البشرية وانساب بدون توقف عبر الأجيال حتى عالم اليوم، وحيث أن علم الإجرام يدخل في دائرة العلوم الإنسانية ومن نتاج الفكر الإنساني فإن أصوله الحديثة ليست سوى امتداد لجذور قديمة لبست بحكم الاستجابة لضروريات حركة الحياة عبر العصور المختلفة ثوباً جديداً من التطور في الوقت الحاضر.

ولذلك فإن كان علم الإجرام يعتبر الآن من العلوم الإنسانية الهامة لقيامه ببحث ودراسة العوامل أو الدوافع التي تؤثر على السلوك الإجرامي، وأن معظم الفقهاء والعلماء والباحثين المهتمين بالدراسات الإجرامية قد أشاروا في أبحاثهم ومؤلفاتهم بأن هذا العلم من العلوم الحديثة، ولم يظهر إلى الوجود إلا منذ الربع الأخير للقرن التاسع عشر وعلى الأخص بعد الأبحاث والدراسات والنتائج التي حققتها المدرسة الوضعية الإيطالية التي قامت على أكتاف سيزار لمبروزو [Cesar Lambroso] [١٨٣٥ - ١٩٠٩م] وانريكو فيري [Enrico Ferri] [١٨٥٦ - ١٩٢٩م] ورافائيلي جاروفالوا [Raffaele Garofalo] [١٨٥١ - ١٩٣٤م] والتي استندت في تفسيراتها على الفلسفة التجريبية التي انتهجها العالم الرياضي أوجست كونت [Aoguste Conte] [١٧٩٨ - ١٨٥٧م] التي تقرر بأن التوصل إلى حقائق الأمور والكشف عن جوهرها لا يكون إلا عن طريق التجربة وما تسفر عنه المشاهدة من

نتائج[١] – إلا أن الحقائق الثابتة في الفكر الإنساني القديم تشير إلى غير ذلك وتثبت بأن هذا العلم له جذور وتفسيرات نبتت في العصور القديمة، وأن هذه الجذور والتفسيرات لم تكن كما يقول فقهاء الغرب مجرد آراء مبعثرة أو اجتهادات فردية أو بحوث عشوائية بعيدة عن المنهج العلمي السليم وإنما هي جذور أصولية وتفسيرات علمية لنظريات عميقة عن العوامل المؤثرة في السلوك الإجرامي – وتوجد اعتبارات عديدة تشير إلى ذلك أهمها يتلخص في الآتي :

١ – أن علم الإجرام يستند أساساً في البحث والتحليل والدراسة على تفسير السلوك الإنساني للوصول إلى الدوافع التي تؤدي إلى ارتكاب الجرائم – ومجال السلوك الإنساني هو من أقدم المجالات العلمية التي شغلت عقول العلماء والفلاسفة على مر العصور المختلفة لتحديد الجوانب العملية لمظاهر الصراع بين الخير والشر – ولذا فإنه لابد أن تكون أساسيات علم الإجرام قد تكونت ونمت جذورها منذ بداية الحياة الإنسانية ولعل قتل هابيل لأخاه قابيل تصديقاً لقوله تعالى { واتل عليهم نبأ بني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين. لئين بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين }[٢] خير دليل على ذلك .

---

١ – د. رؤوف عبيد. مبادئ علم الإجرام – الطبعة الثانية ١٩٧٢ – دار الفكر العربي – ص ٤٨ وما بعدها –
د. خالق سند – علم الإجرام – الطبعة الثالثة ١٩٨٩-١٩٩٠ – كلية الحقوق – جامعة الزقازيق – ص١٣ وما بعدها.

٢ – سورة المائدة – الآية ٢٦ ، ٢٧.

٢- مفهوم الجريمة عرف منذ بداية ظهور الجماعات البشرية - وهـــذا المفهوم يتضمن معنيين - الأول قانوني ، والثاني واقعي حقيقي.والمعنى القانوني يمثله قانون العقوبات أو قواعد التجريم، والمعنى الواقعي يمثلـه السلوك الإجرامي الذي يرتكب ويشكل خطراً على النظـام الاجتمـاعي الذي ارتضاه أفراد المجتمع وهذا من المبادئ الأساسية لعلم الإجرام.

وحيث أن مفهوم الجريمة متطور من زمن لآخر، وأن هذا التطور لابــد أن يحدث في المعنيين وليس في المعنى الأول فقط دون المعنى الثاني[١] - فإنه في ضوء هذا الواقع لابد أن تكون مبادئ علم الإجرام قد عرفـت في المجمعات القديمة وتطورت مع المعنى القـــانوني عـبر العصــور المختلفة حتى عالم اليوم.

٣- إن كان علم الإجرام لا يهتم كثيراً بالجريمة من الناحية القانونيــة أو الشكلية باعتبارها خروجاً على نصوص قانون العقوبات ممـــا يقتضـــي توقيع عقوبة على الجاني - ويهتم بالجريمة كواقعة اجتماعية أو كظاهرة سلوكية تتضمن خروجاً شاذاً على النظام الاجتماعي إلا أن الحقيقة التـــي لا يمكن تجاهلها هي وجود ارتباط تاريخي وثيق الصلة بين الجريمة من الناحية القانونية أو الشكلية وهو ما يمثل على وجه التحديـــد القـــانوني الجنائي [الذي يشمل موضوع الجريمة والمجرم ورد الفعل الجنائي مـــن جانب المجتمع وتصاغ أحكامه في نصوص مكتوبة، وقانون الإجـراءات الجنائية [الذي ينظم خطوات سير الدعوى الجنائية بداية مـــن ارتكـــاب الفعل الإجرامي حتى صدور الحكم القضائي بالعقوبة المقررة على هـــذا

١- د. نجاتي سند - علم الإجرام - مرجع سابق - ص ٤٣ وما بعدها.

- Gaston Stefani et Georage Levasseur - Droit penal - General et procpen - Dalloz - 1971 - pp - 9 - 17.

الفعل] – وبين الجريمة كواقعة اجتماعية أو كظاهرة سلوكية وهو ما يمثل موضوع علم الإجرام – وذلك لأن للبحوث والدراسات الخاصة بعلم الإجرام في مجال تحديد دوافع السلوك الإجرامي ومراحل تكوين الجريمة وتطورها تؤثر بشكل واضح ومباشر على القانون الجنائي عند صياغة نصوصه، وعلى القاضي الجنائي عندما يطلع على النتائج والمسلمات التي أسفرت عنها هذه البحوث والدراسات الإجرامية قبل أن يصدر أحكامه – وأيضاً يؤثر القانون الجنائي على علم الإجرام حيث يمده بمضمون الجريمة ونماذجها باعتبار أنها تمثل أساس الدراسات والبحوث الإجرامية كما يمده بالأشخاص محل هذه الدراسات والبحوث لأن علماء الإجرام يلجئون دائماً إلى القواعد الجنائية للتعرف على الشخصية السوية والغير سوية في المجتمع[1].

وحيث أن القانون الجنائي قد تأصلت مبادئه في الماضي البعيد وضعت أحكامه في مدونات قانونية عديدة ظهرت في كل مجتمعات العالم القديم – فإنه في ضوء هذا الارتباط التاريخي لابد أن يكون لعلم الإجرام جذور أصولية نبتت في العصور القديمة وتطورت بعد ذلك في مسارات متوازية مع القواعد الجنائية على مر العصور المختلفة.

٤ – حيث أن الجرائم تتطور من زمن لزمن ومن مجتمع لآخر باتفاق جميع الفقهاء والعلماء – وأن علم الإجرام يبحث في تفسير دوافع

١- د. علي راشد – فلسفة وتاريخ القانون الجنائي – طبعة ١٩٧٤ – القاهرة – كلية حقوق جامعة عين شمس – ص ٢١١.

- د. عبدالفتاح الصيفي – علم الإجرام – طبعة ١٩٧٣ – كلية حقوق جامعة الإسكندرية – ص ١٧.

- G .. Stefani et G. Levasseur. Droit penal general et proc pen - op. Cit - pp 50 - 52.

السلوك الإجرامي وفي مقاومته لإرجاعه إلى الخير والاستقامة – فإن تطور الجرائم لابد أن يصاحبه تطور مماثل في البحوث والدراسات الخاصة بعلم الإجرام منذ أقدم العصور – وذلك من أجل حماية المجتمع بصفة دائمة ومستمرة من الأخطار التي يمكن أن تهدد كيانه من أثر التطور الذي يحدث في الجرائم وفي أساليب ارتكابها.

٥- معظم التشريعات الجنائية المدونة التي ظهرت في بعض المجتمعات الحضارية القديمة قد تم إعدادها وصياغة نصوصها بناء على دراسات وبحوث فلسفية خاصة بدوافع السلوك الإجرامي التي تمثل موضوع علم الإجرام – ولذلك مثل التشريعات التي أصدرها الإمبراطور (تشن - شي - هوانج - دي) [٢٥٩ق.م - ٢١٠ق.م] الذي أسس إمبراطورية تشين التي وحدت المجتمع الصيني في عام ٢٢١ ق.م، وكانت معظم نصوصها تستند على الدراسات الفلسفية التي قامت بها [المدرسة الشرائعية] عن دوافع السلوك الإجرامي[١] – والتشريعات التي أصدرها ملوك الفرس في العهد الأسرة الساسانية وتأثرت نصوصها بفلسفة زرادشت عن مفهوم الفطرة الإنسانية الخيرة وأثر العوامل الخارجية في السلوك الإجرامي[٢] – والتشريعات التي أصدرها معظم ملوك الدولة الحثية وكانت أحكامها تستند على الدراسات والبحوث الخاصة بالدوافع المؤثرة على السلوك الإجرامي التي كان يقوم بها بعض الفلاسفة وكبار رجال الفكر والقضاء الذين كانوا من ضمن

١- ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع – الشرق الأقصى – الصين – ترجمة – د. محمد بدران – اختارته واتفقت على ترجمته الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية – غير محدد سنة الطبع – ص ٩٧ وما بعدها.

2- A.T. Olmstead - History of persian empire achaemenid period. Chicogo 1972 - the university of chicago press. Pp 70 - 78.

أعضاء [المجلس الأعلى] الـــذي كـــان يضـــم كبـــار رجـــال الدولـــة الأرستقراطيين أصحاب السلطة العليا في الدولة[١] - وأيضـــاً صـــدرت تشريعات جنائية عديدة بهذا النظام في المجتمعات الأخرى التي ظـــهرت في شرق وغرب العالم القديم وسنشير إليها فيما بعد خلال عرض هـــذه الدراسة.

وإذا كان علم الإجرام يعتمد حالياً في تفسير الظاهرة الإجراميـــة على الدراسات والبحوث الخاصة بعلم النفـــس [الســيكولوجيا] ، وعلـــم الإنسان [الأنتروبولوجيا]، وعلم الحياة [البيولوجيـــا]، وعلـــم وظـــائف الأعضاء [الفسيولوجيا] [٢] - فإنه كان في العصور القديمة يعتمد علـــى الدراسات الفلسفية الخاصة بمفهوم الفطرة الإنسانية وذلك نتيجة ظـــهور فكر فلسفي عميق عن طبيعة الإنسان في جميع المجتمعات القديمة وهـــذا الفكر قد أدى إلى تأسيس ثلاث مذاهب للفطرة الإنسانية، كـــل مذهـــب اختلف مع المذهبين الآخرين في تحديد أصل الفطـــرة الإنســـانية وفـــي تفسير العوامل المؤثرة على السلوك الإجرامي وذلك كالآتي :

<u>المذهب الأول :</u> هو مذهب الفطرة الشريرة - ويقـــول أصحابـــه بـــأن طبيعة جميع البشر قد فطرت على الشر منذ مولدهـــم، وأن الخـــير خارج عن أصل الفطرة ويكتســـب فقـــط مـــن البيئـــة الطبيعيـــة والاجتماعية الصالحة، وعلى هذا الأساس قد اعتقدوا عندما قـــاموا بتفسير الظاهرة الإجرامية، بإن العوامل والدوافع التي تحرك سـلوك

1- L. Deloporte. Les Hittite - paris - 1936 - pp. 37 ets.

٢- د. رؤوف عبيد - مبادئ علم الإجرام - مرجع سابق - المقدمة.

الإنسان نحو ارتكاب الجرائم جميعها داخلية وموجودة في أصل طبيعة الإنسان.

المذهب الثاني: هو مذهب الفطرة الخيرة - ويقول أصحابه بأن طبيعة جميع البشر قد فطرت على الخير منذ مولدهم، وأن الشر طارئ وخارجي عن أصل الفطرة، وعلى هذا الأساس قد اعتقدوا بأن العوامل أو الدوافع التي تحرك سلوك الإنسان نحو ارتكاب الجرائم جميعها خارجية ووليدة البيئة الطبيعية والاجتماعية الفاسدة.

المذهب الثالث: مذهب الفطرة المختلطة - ويقول أصحابه بأن البشر ليست طبيعتهم واحدة وإنما منقسمون إلى ثلاث طوائف الأولى تضم الذين طبعت فطرتهم على الخير ولا يمكن أن يتحولوا إلى أشرار أو مجرمين والثانية تضم الذين طبعت فطرتهم على الشر ولا يمكن إصلاحهم وتحويلهم إلى أخيار أسوياء والثالثة تضم الذين توسطت فطرتهم بين الخير والشر وهم يمكن تحويلهم بأثر العوامل المركبة إلى أخيار صالحين أو إلى مجرمين أشرار[1].

وعلى هذا الأساس - فلكي نثبت بأن علم الإجرام ليس علم حديث، ووليد الفكر الغربي في القرن التاسع عشر، وإنما علم قديم تأسيس في الماضي البعيد وله نظريات تفسيرية عميقة عن العوامل المؤثرة في السلوك الإجرامي وأن هذه النظريات قد تكونت وانتشرت في معظم المجتمعات

١- د. محمد بيصار - العقيدة والأخلاق وأثرها في حياة الفرد والمجتمع - الطبعة الثانية ١٩٧٢ - مكتبة الأنجلو المصرية - بالقاهرة - ص٢٠٠ وما بعدها.

- رو صن - وحدة الإنسان في فلسفة العين القديمة - طبعة ١٩٨٩ - ترجمة محمد حلال - عباس - كلية آداب جامعة القاهرة - ص٣.

الحضارية التي ظهرت في العصور القديمة سنعرض دراستنا في ثلاث أبواب على النحو التالي :

الباب الأول : سنعرض فيه مفهوم مذهب الفطرة الشريرة وتفسيره لأثر العوامل الداخلية في السلوك الإجرامي إلى جانب عرض موجز عن أهم الفلاسفة الذين وضعوا أسس هذا المذهب ومنهج تفسيره لظاهرة الإجرام خلال العصور القديمة.

الباب الثاني : سنعرض فيه مفهوم مذهب الفطرة الخيرة وتفسيره لأثر العوامل الخارجية في السلوك الإجرامي إلى جانب عرض موجز عن أهم الفلاسفة الذين قاموا بوضع أسس هذا المذهب ومنهج تفسيره لظاهرة الإجرام خلال العصور القديمة.

الباب الثالث: سنوضح فيه مفهوم مذهب الفطرة المختلطة وتفسيراته للعوامل المؤثرة في السلوك الإجرامي وعلى الأخص العوامل المركبة بالنسبة لطائفة الذين توسطت فطرتهم بين الخير والشر إلى جانب عرض موجز عن أهم الفلاسفة الذين أسسوا هذا المذهب وأطر تفسيراته لظاهرة الإجرام خلال العصور القديمة.

الخاتمة: سنشير فيها إلى أهم النتائج التي تحققت من خلال هذه الدراسة والتي تؤكد بأن علم الإجرام له جذور عميقة تأصلت ونمت في العصور القديمة من خلال فكر وآراء أشهر فلاسفة العالم القديم.

الباب الأول

مفهوم مذهب الفطرة الشريرة

وتفسيره لظاهرة الإجـــــرام

[أثر العوامل الداخلية في السلوك الإجرامي]

تقديـــــم :

ظهرت نظريات عديدة في معظم المجتمعات الحضارية القديمـــة تفســر ظاهرة السلوك الإجرامي بأنه يرجع فقط إلى دوافع أو مؤثرات مصدرها الأساسي نابع من عوامل داخلية بحتة في الإنسان – وأن هذه العوامـــل متعددة وذات طبيعة ذاتية، وتكمن جميعها أو بعضها في كيانه وفي حالة عدم السيطرة عليها تتفاعل وتحدث موجات مؤثرة تحرك سلوكه نحـــو ارتكاب الجرائم أو الشر عموماً – وعلى أساس هـــذه النظريـات قـد انتشرت بين الشعوب القديمة آراء ومفاهيم تفيد في مجملــها بــأن كـل إنسان يحمل عند مولده مرض الإجرام، وهذا المرض يوجد في تكوينـــه الذاتي ويلازمه طوال حياته، ولا ينتهي أثره من داخله ويصبح في حكـم العدم إلا بوفاته – وعندما يتحرك ويزداد نشاطه يحدث تفاعلات تحــرك سلوكه نحو ارتكاب الجرائم أو الشر، ويصبح على أثر ذلك إنسان مجرم أو شرير، وعندما يتم السيطرة عليه ويصبح ساكن أو كامن بـــدون أي تفاعلات من خلال عوامل التهذيب والتربية الحســـنة والتعليـم النـــافع والقوانين العادلة والرادعة يتخذ سلوكاً مستقيماً ويكون على أثـــر ذلـــك إنساناً سوياً أو خيراً.[1]

- جميع أصحاب هذه النظريات هم الفلاسفة الأوائل الذين ظهروا فـــي المجتمعات الحضارية القديمة وأسسوا مذهـــب الفطـرة الإنســانية الشريرة الذي يقرر بأن جميع البشر قد ولدوا وفطرتهم مطبوعة على

---

١ – ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع – مرجع سابق – ص ٨٤ وما بعدها

– رو صن – وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة – مرجع سابق – ص ١٤ .

الشر، وأن الخير ليس من أصل طبيعتهم وإنما اكتسبوه فقط بالعوامل الخارجية الصالحة.

- ولكي نوضح مفهوم هذا المذهب وتفسير المؤسسين له لظاهرة الإجرام سنعرض دراستنا في هذا الباب على النحو الآتي:

الفصل الأول: سنبين فيه أهم العوامل الداخلية التي عرفت في العالم القديم بأنها تؤثر على الإنسان وتدفع سلوكه نحو الإجرام ثم نوضح أهم الأسس التي يستند عليها مذهب الفطرة الشريرة في تفسير ظاهرة الإجرام.

الفصل الثاني: سنطرح فيه موجز عن أهم فلاسفة العالم القديم الذين أسسوا مذهب الفطرة الشريرة - وقاموا في ضوء مفاهيم هذا المذهب بتفسير ظاهرة الإجرام - وذلك لكي نثبت من خلال فكرهم الفلسفي وجود نظريات تفسيرية في العصور القديمة عن أثر العوامل الداخلية في السلوك الإجرامي .

الفصـــــل الأول

أهم العوامل والأسس التي يستند عليها مذهب الفطرة الشريرة في تفسير السلوك الإجرامي

تقديـــــم:

سنعرض في هذا الفصل أهم العوامل الداخلية التي عرفت وانتشرت بين شعوب العالم القديم بأن لها أثر فعال في تحريك سلوك الإنســـان نحـــو ارتكاب الجرائم أو الشر عموماً، وتجعله إنسان مجرم أو شـــرير - ثـــم سنوضح بعد ذلك أهم الأسس التي يرتكز عليها مذهب الفطرة الشـــريرة في تفسير ظاهرة الإجرام وإسنادها إلى عوامل داخلية بحته كامنة فـــي ذات الإنسان.

ولكي نعرض دراستنا في تسلسل موضوعي سنطرحها على النحو التالي

__مبحث أول:__ سنعرض فيه أهم العوام الداخلية المؤثـــرة فـــي الســـلوك الإجرامي في مفهوم مذهب الفطرة الشريرة.

__مبحث ثاني:__ سنوضح فيه أهم الأسس التي يرتكز عليها مذهب الفطـــرة الشريرة في تفسير ظاهرة الإجـــرام وإســـنادها لعوامـــل داخلية.

المبحث الأول

أهم العوامل الداخلية المؤثرة في السلوك الإجرامي طبقاً لمفهوم مذهب الفطرة الخيرة

فلاسفة العالم القديم الذين أسسوا مذهب الفطرة الإنسانية الشريرة وفسروا في ضوء فكرهم الفلسفي ظاهرة الإجرام وأسندوها إلى عوامل داخلية بحتة كامنة في ذات الإنسان، واعتبروها الوحيدة التي تؤثر على السلوك الإجرامي - قد قرروا بأن هذه العوامل قد ولد بها الإنسان وتعبر عن أصل طبيعته الشريرة وأهمها يتلخص في الآتي:-

أولاً: الإحساس بالذات (الثيموس) :-

كل إنسان يولد ولديه إحساس عميق بالذات - وهذا الإحساس يجعله يبحث عن نيل الاعتراف والتقدير بمكانته وقدرته من الآخرين - أي يسعى إلى أن يقيمه الآخرين كما يقيم هو نفسه - فإذا بدرت من أحدهم أي بادرة تشير إلى احتقاره أو الانتقاص من قدره، فإنه يندفع بكل ما يملك من جرأة ويعتدي على من ناصبه الاحتقار أو انتقص من قدره بهدف الانتقام منه ولكي يثبت له مكانته الذاتية ويجعله عبرة للآخرين ... وعلى هذا الأساس فإن الإحساس بالذات إذا لم يتم ضبطه وجعله في حالة اتزان يجعل الناس في صراع دائم من أجل نيل الاعتراف والتقدير. وهذا الصراع لا يقتصر على الضروريات فقط أي على الجوانب المهمة في كيان الإنسان وإنما يحدث أيضاً في التفاهات مثل [نوع شعر

الإنسان ولون عيونه وحركة رقبته وشكل ملابسه ... الخ] [١] ... وفي ذلك يقول كل من **هيجل وهوبز** أن جرائم كثيرة قد ارتكبت في المجتمعات البدائية بسبب قيام شخص بالاعتداء على آخر لكي يحصل منه على الاعتراف والتقدير بمكانته وقدرته أي من أجل ينال المنزلة التي يعتقدها هو في نفسه[٢].

وقد تحدث أفلاطون في كتابه الجمهورية عن الإحساس بالذات تحت مسمى [الثيموس] وعرفه بأنه تقييم المرء لنفسه – وقال بأن كل إنسان يؤمن بأن لنفسه قيمة ويطلب دائماً أن يقدرها ويعترف بها الآخرون كما يقدرها هو لنفسه – وحين يتصرف الآخرون على أن قيمته أقل مما يظن ولا يقدرونه حق قدره يغضب وينفعل عليهم وقد يؤدي هذا الانفعال إلى قيامه بارتكاب سلوك إجرامي معتقداً بأن ذلك من قبيل رد اعتباره وثأراً لمكانته وقيمته أمام الناس [٣].

وعلى هذا الأساس يرى جميع فلاسفة مذهب الفطرة الشريرة في العالم القديم أن [الثيموس] يعتبر من أهم المصادر الرئيسية للشر بين البشر إذا لم يتم ضبطه وكبح جماحه عند الأفراد .

---

1 - Francis Fukuyama - the END of History and the last MAN - New York 1992 - p 135.

2 - Thomas Hobbes - Leuiathan - part 1 and 11 - Bobbs - Merrill indianapolis - 1958 - pp 87 ets.

٣ - أفلاطون - جمهورية أفلاطون - الكتاب الرابع - ترجمة الدكتور فؤاد زكريا - مراجعة عن الأصل اليوناني

د. محمد سليم سالم - طبعة ١٩٦٨م القاهرة - دار الكتاب العربي للطباعة والنشر - ص٤٤٠ وما بعدها.

ثانياً: الرغبة في المجد والتسلط (الميجالويثميا) :-

هي رغبة يولد بها الإنسان وتظل في كيانه حتى يموت، وهي عبارة عن السعي الضخم للتفوق على الغير بشتى الطرق لفرض الهيمنة عليهم أو لإجبار أكبر عدد ممكن من الناس للاعتراف بهذه الهيمنة – وهذه الرغبة في حالة عدم ضبطها أو في حالة عدم فرض قيود اجتماعية عليها لتحجيمها لدى كل فرد من أفراد المجتمع يحدث الصراع والتناحر وتزداد بالتالي الجرائم أي أن كل فرد قد يرتكب سلوكاً إجرامياً من أجل أن ينجح في فرض نفوذه وهيمنته على الآخرين ويحقق بذلك رغبته في المجد[١].

وقد أكد ذلك **هيجل** في كتابه **[فينومينولوجيا العقل]** وقال صراحة بأن [الرغبة في المجد والتسلط دون فرض ضوابط عليها، كانت من أهم الأسباب التي أدت إلى ظهور الحرب وجرائم الاعتداء على حقوق الإنسان في المجتمعات القديمة ... وأنه على آثارها استطاع بعض الأفراد أن يكتسبوا صفة الطغاة ... كما تولد عنها العلاقة بين السيد والعبد حين اعترف أحد أفراد المجتمع القديم بقوة ونفوذ وسطوة فرد آخر عليه وأجبر على أن يصبح عبداً له ...] [٢].

وقال **جون لوك** أيضاً بأن الجرائم والانتهاكات البشعة لحقوق الإنسان كانت تزداد في مجتمعات العصور القديمة خلال الفترات التي كانت تظهر فيها رغبة المجد والتسلط عند الأفراد بدون ضوابط اجتماعية تقيد جنوحها وتحجم باتزان نزوعها نحو الإجرام أو عوامل

---

1 - Alpert Herch man - The passions and the interests - New Gersy 1977 - pp 9-11.
2 - G. F. F. Hegel .: The Phenomenology of Mind - new York - 1967 - p 233.

الشر الأخرى – لأن الإنسان في هذه الحالة تكون رغبته في المجد طليقة ويعتقد بأنه أفضل من الآخرين ومن حقه أن يفرض هيمنته عليهم بكافة الوسائل التي تكون في إمكانه أن يفعلها ...] [١].

وقد تحدث أفلاطون في كتابه [الجمهورية] عن الرغبة في المجد والتفوق على الآخرين تحت مسمى [ميجا لويثميا] وقال أنها تظهر بشكل واضح في الإنسان الطاغية الذي يغزو شعباً مجاوراً ويستعبده حتى يعترف له هذا الشعب بسلطته وتفوقه عليه، ويحقق رغبته الطليقة في المجد والتسلط على أكتاف الآخرين[٢].

وأيضاً يرى جان جاك روسو بأن الرغبة في المجد كانت عند عدم ضبطها وكبح جماحها من الأسباب الرئيسية في ارتكاب الجرائم وأنواع الشر المختلفة في حياة الإنسان الاجتماعي حيث اعتقد أن الإنسان في حياته البدائية كان يعيش حياة منعزلة وغير عدوانية، وعندما تطور تاريخيا وعاش لأول مرة في مجتمع إنساني ظهرت رغبته الطبيعية في المجد والتفوق على الآخرين، وعند افتقار المجتمع إلى ضوابط تحجم عشق هذه الرغبة الدفينة يحدث الصراعات والتناحر وتظهر منابع عديدة لنزوع الإنسان إلى الإجرام أو الرذيلة أو إلى أنواع الشر الأخرى وتصبح حياة الأفراد داخل المجتمع في شقاء ومليئة بمظاهر اللامساواة الاجتماعية[٣].

---

1 - Francis Fukuyama - The End of History And The Last Man - Op. Cit - p. 174.

٢ – أفلاطون [جمهورية أفلاطون] – مرجع سابق – ص ٣٧٥ وما بعدها.

3 - Arser Melzer - The natural Goodness of man - New American library - New York - 1990 - pp 70,71.

لذلك كان فلاسفة مذهب الفطرة الشريرة في العالم القديم يعتقدون بأنه في حالة عدم ضبط رغبة الإنسان في المجد والتسلط يتولد لديه الجشع والطمع وفرض الهيمنة على الآخرين، ويتخذ على أثر ذلك سلوكاً مضاداً للمجتمع يرتكب فيه جرائم متنوعة ويصبح من خلال ذلك مجرماً خطيراً أو من الطغاة الفاسدين وسجلات التاريخ مليئة بمثل هؤلاء منذ بداية ظهور المجتمعات الإنسانية وعلى الأخص الملوك والزعماء مثل **الملك جيه والملك جوسبن** في الصين القديمة، والملك **احشو يروش** في بلاد فارس، والإمبراطور الروماني نيرون ... حتى **هتلر وموسليني واراكي** في القرن العشرين الميلادي[1].

ثالثاً: الأنانية :-

يؤكد أنصار مذهب الفطرة الشريرة فإن كل إنسان يولد وبه غريزة الأنانية المتمثلة في الإفراط في حب نفسه عن الآخرين، فكل الأشياء التي يراها يريد أن يستأثرها لنفسه ويحرم منها الآخرين أي ينحاز دائماً لنفسه في الحصول على الأشياء وفي فرض آرائه ووجهات نظره - وهذه الأنانية مضادة للترياق الذي يعني الاعتدال بإعطاء كل ذي حق حقه، ومن صورها الجشع، والطمع، والمادية، والإفراط في العداء، والرغبة في الأخذ دون عطاء، واستغلال الآخرين، والحصول على

١-د. أحمد سويلم العمري - أصول العلاقات السياسية الدولية - الطبعة الثالثة ١٩٥٩ القاهرة - مكتبة الأنجلو المصرية - ص ٣٥ وما بعدها.

- برتراند رسل - حكمة الغرب - لندن ١٩٦١ م - ترجمة الدكتور / فؤاد زكريا الطبعة الأولي - ١٩٨٣ م - عالم المعرفة - بالكويت - ص ١٧٩.

أجور تزيد عن العمل أو الجهد الذي يبذله، وعدم التوزيع النزيه للقيمة لمصلحة نفسه، والاستحواذ على المكافآت وحرمان أصحاب الحق منها، والاستئثار بالمراكز المرموقة والمناصب العليا ومنع من هو أحق في الوصول إليها، والتسلق على أكتاف الآخرين للوصول إلى الأهداف أو الغايات دون جهد أو عناء ... وصور أخرى عديدة من الأنانية تؤدي في حالة عدم ضبطها وكبح جماحها إلى حدوث صراعات ومنازعات وجرائم خطيرة داخل المجتمع [١].

وعلى هذا الأساس يقول **جون لوك** بأنه بسبب الأنانية الموجودة ضمن طبائع الناس [لا يمكن أن يكون الإنسان قاضياً عادلاً عندما يفصل في قضيته هو، لأنه من المستحيل أن يحكم بالعدل أو بالإنصاف ضد مصلحته ومن الصعب جداً أن يفصل بالحق وهو حكم وخصم في ذات الوقت ...] [٢].

وأيضاً يقول الفيلسوف الصيني **شيون تسي** [٣٠٥ - ٢٣٥ ق.م] وهو أشهر المؤسسين لمذهب الفطرة الشريرة في الصين القديمة. بأن [كل إنسان يولد وتصحبه شهوة الأنانية، فإن تبع شهوته هذه بما فيها من جشع وطمع واستغلال انبعث في المجتمع الخلافات والجرائم وصور الظلم المختلفة وتوارى الخلق الفاضل ...] [٣].

---

1 - R. Lesenne - Traite de Morale generale - Paris - 1947 - pp 576 - 585.

- د. القشيري - الرسالة القشيرية - طبعة ١٩٥٩ القاهرة - كلية آداب القاهرة - ص ١٦٠ وما بعدها.

2 - Francis Fukuyama - The End History and the Last Man - Op. Cit - p 158.

٣ - د. فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - دراسة تحليلية لمعالم الفكر الصيني منذ أقدم العصور - الجزء الثالث ١٩٦٨ - تم طبعه بمكتبة الدراسات الفلسفية - ونشره بدار المعارف بالقاهرة - ص ١٣٠ .

ولذلك يقرر أصحاب مذهب الفطرة الشريرة بأن الأنانية غريزة يولد بها الإنسان وفي حالة عدم ضبطها وكبح جماحها تصبح من العوامل الخطيرة التي تحرك سلوكه نحو ارتكاب الجرائم وصور الشر المختلفة، وتجعله في أغلب الأحيان من كثرة تتبعها إنسان مجرم أو شرير[١].

رابعاً: الكذب :-

يقول أصحاب مذهب الفطرة الشريرة بأن الكذب مغروس في طبيعة الإنسان منذ مولده، والدوافع إليه عديدة مثل حب البقاء ، والمصلحة، والغرور، والمبالغة ، والتجميل، والإثارة، والتهويل، والهروب من عواقب الحقيقة ، والتسلط... الخ.

والكذب هو حل مرتجل يولد إن آجلاً أو عاجلاً مشاكل متزايدة الصعوبة لأنه تسهيل مؤقت يؤجل الصعوبات ويزيدها شدة، ويؤدي في غالب الأحيان إلى التخلي عن الفوائد البعيدة التي يهيؤها دائماً الصدق من أجل الحصول على المنافع القريبة التي يؤمنها هو بالهروب الباطن والجهد الأقل والمقاومة الضعيفة.

ولهذا فإن الكذب اجتماعي وغير اجتماعي معاً - اجتماعي لأنه لا يحدث مطلقاً أو لا يتم اللجوء إليه إلا في داخل جماعة، وذلك لأنه ليس من المنطق أو من المقبول عقلاً أن يكذب الإنسان وهو يعيش منعزلاً، وغير اجتماعي لأنه يقوم على سوء النية ويبادل الثقة بالزيف ويؤدي

---

١ - ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - مرجع سابق - ص ٨٥.

إلى التباعد والتباغض والتفرقة بين الأفراد لأنه إثارة مليئـــة بالحماقـــة والسقوط والرعب وسوء التدبير والخداع.

ولذلك فإذا لم يتم وضع ضوابط وقيود تمنع الأفراد بقدر الإمكـــان مـــن الكذب وتجعلهم يتحلوا بالصدق فإن المجتمع يفسد ويصبح مرتعاً للإجرام ولكل أعمال الشر الأخرى، وتحجيم الأفراد عـــن الكـــذب ممكـــن لأن الصدق بسيط وراسخ الأركان أما هو [الكذب] مهزوز دائماً ومزعـــزع ومعرض للهجوم باستمرار ولذا فإن التفسير الحقيقي لاضطرار المجـــرم في أغلب الأحيان إلى الاعتراف بجريمته ليـــس كمـــا يقـــول بعـــض السطحيين بأنه قد فعل ذلك نتيجة استيقاظ ضميره وإنما هو قد اضطـــر إلى ذلك بعد أن افتضح أمره تحت وطأة وضوح كذبه وترنحه.

- الفلاسفة الأوائل الذين أسسوا مذهب الفطرة الشريرة فـــي العصـــور القديمة مثل أبوور وشيون تسي وأفلوطين قد أجمعوا بأن الكـــذب مـــن الطبائع المولود بها الإنسان، ومن أخطر العوامل التي تؤدي إلى ارتكاب الجرائم ونشر الإنحلال والفساد في المجتمع[1] وذلك كما سنرى فيما بعد

خامساً: التحاسد والتباغض:-

يجمع أنصار مذهب الفطرة الشريرة بأن الحسد والضغـــن يولـــد مـــع الإنسان، ويظل دائماً من طباعه حتى يموت وأن الإنسان إذا صاحبتـــه

---

١ - د. عبدالرحمن بدوي - الأخلاق النظرية - الطبعة الأولي ١٩٧٥م - الناشر وكالة المطبوعات بـالكويت - ص ١٩٢ وما بعدها

- R. Le Senne - Le mensonge et le Caractere - Paris 1939 - p 46
- N-Hartmann , Ethies - London 1963 - p 283.
- Elie Metchnikoff - Etude sur la nature humaine, essai de philosophie optimiste - paris - Maloine - 1903 - pp 21 ets
- Thomas Hobbes - Leuiathan - Op Cit - pp 106 ets.

هاتان النزعتان ولم يتم ضبطها وكبح جماحهما غلب عليه طبع القسوة، وقد يصبح من أثر ذلك مجرم خطير - وذلك لأن تفاعل الحسد والضغن يؤدي دائماً إلى الكراهية والشعور بالاضطهاد والرغبة في الانتقام، وكل هذه الأمور تحرك بفاعلية سلوك الإنسان نحو ارتكاب الجرائم أو نحو أفعال مضادة لأمن واستقرار المجتمع عموماً[١].

ويقول كل من **هويز وهيجل وجون لوك ونتيشه** وهم من أشهر فلاسفة العصور الحديثة بأن التحاسد والتباغض كانا من أهم مصادر الشقاء والتعاسة في حياة المجتمعات البدائية، ومن أهم الدوافع التي كانت تحرك سلوك الإنسان القديم إلى ارتكاب الجرائم أو أعمال الشر المختلفة[٢].

وفي ذلك يقول **شيون تسي** ، وهو من أشهر فلاسفة الصين القديمة ومن المؤسسين الأوائل لمذهب الفطرة الشريرة - بأن [ليس الحب والمودة من طبيعة الإنسان، وإنما الحسد والحقد والكراهية من طبيعته التي ولد بها، ولما كانت أفعاله لابد أن تكون صورة طبق الأصل لطباعه فلابد أن يرتكب الجرائم ويسلك طريق الشر ...] [٣].

جميع فلاسفة المذاهب الأخلاقية التي ظهرت في العصور القديمة **مثل الطاوية في الصين والأوبنيشاد في الهند والرواقية في بلاد الإغريق** قد أشاروا بأن التحاسد والتباغض من العوامل الخطيرة التي

---

1 - J.C. Flugel. Man, Morals and Society - Apsyco Analylical study- A mace company - london 1945 - pp 41 ets

- د. فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - مرجع سابق - ص ١٣٠.

2 - Francis fukuyama - The End of History and the LastMan - Op. Cit - pp 143 - ets.

٣ - رو ص - وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة - مرجع سابق - ص ٢٥.

تحرك سلوك الإنسان نحو الانحراف وارتكاب الجرائم ومن الأسباب التي تؤدي في حالة تزايد حدتها إلي ارتفاع نسبة الإجرام كما تؤدي إلي انهيار مفاهيم التضامن والتعاون والمحبة بين أفراد المجتمع[1].

سادساً: الإفراط في تحصيل اللذات:-

يقرر أنصار مذهب الفطرة الشريرة بأن كل إنسان يولد وطبيعته لا تعرف أي معنى للعفة، وإنما مغروس فيه حب الحصول على الشهوات واللذات والميل الدائم إلى الإفراط في تناولها وذلك مثل عدم الاعتدال في تناول الطعام والشراب والمتعة الجنسية ... إلى جانب الانزلاق في الأفعال التي تظهر عدم الحياء والاحتشام مع الناس[2].

وأنه في حالة عدم ضبط غرائز هذه الشهوات واللذات وعدم الاتزان في الحصول عليها أو الانهماك في تناولها يؤدي إلى اتساع دائرة الانحراف وزيادة ارتكاب الجرائم داخل المجتمع[3].

ويقول الفيلسوف الأمريكي **جون ديوي** [١٨٥٩ – ١٩٥٢م] بأن [عدم الاعتدال في إشباع الشهوات واللذات يؤدي حتماً إلى ارتفاع نسبة الانحراف والإجرام في المجتمع - كما أن خبرة الحياة تبين أنه ليس كل تناول للرغبة والاشتهاء يقضي إلى الخير، وإنما كثيراً من الغايات أو اللذات أو المآرب تبدو خيراً عندما نكون واقعين تحت تأثير هوى جامح

---

1 - Shrirama Indradeva - Social Structure and Valuse in Later smrtis - New Delhey - India - 1972 - pp 61 ets
2 - N . - Hartmann - Ethies - Op. Cit - pp 273 - 279.
3 - j . C . Flugel - Feeling and the Hormic theory - Character and Personality 1939 London - p 211.

أو هيام حاد، في حين أنها في واقع الخبرة أو عندما نفكر في أمرها بتروّ وعلى مهل - تكون فعلاً ضارة ومؤذية يعني شرا] [١].

ورغم الخطورة التي أعلن عنها أنصار مذهب الفطرة الشريرة ومعظم فلاسفة الأخلاق وعلى الأخص فلاسفة الشرق عن أثر الإنهماك في تحصيل الشهوات واللذات على السلوك الإجرامي - إلا أنه أمام قوة غرائز هذه الشهوات واللذات الموجودة في طبيعة الإنسان وضعف قدرة التحكم فيها، والصراع الذي حدث بينها وبين مفاهيم العفة والتقشف ظهر فكر فلسفي يخفف من خطورة هذا الإنهماك على السلوك الإجرامي وهذا الفكر قد تمثل في فلسفة اللذة والألم التي أسسها الفيلسوف اليوناني أرستبس القوريناني الذي ولد في مدينة قورينا إحدى مدن برقة في شمال أفريقيا عام ٤٣٥ ق.م - وتوفي عام ٣٦٦ق.م، ورغم أنه كان من تلاميذ سقراط إلا أنه ذهب بفلسفته إلى القول بأن [النفس حالتين ألم ولذة، وبأن الألم حركة عنيفة مؤذية، واللذة حركة حلوة ملائمة، وبأن قوة الغريزة في الإنسان عند تحصيله اللذات وتجنبه الآلام أقوى من قوة الضمير - إذ أن الضمير قد يضعف غالباً عن قمع الشهوات، والشهوة هي القوة المحركة لأفعال الإنسان، وتحصيل اللذة هي القاعدة التي يجري عليها السلوك الإنساني ويخضع لها، لأنها ضرورة نفسية والاعتراف بذلك يكون خيرا من نكرانه، واللذات لا تختلف عن بعضها البعض من حيث الكم لأن جميعها يتحقق فيها غاية واحدة، وهي خير حتى لو نجم عنها أشد الأمور المجلبة للعار...][٢].

---

١ - رالف. ب - وين - قاموس جون ديوي للتربية - نيورك ١٩٥٩م - ترجمة الدكتور / محمد علي العريان - تصوير عبدالعزيز سلامة - الطبعة الأولى ١٩٦٤ - القاهرة - مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة - ص ١٠٣.

٢ - د. إسماعيل مظهر - فلسفة اللذة والألم - القاهرة ١٩٣٧ - مكتبة النهضة المصرية - ص ٣١ وما بعدها.

وإذا كانت فلسفة أرستبس قد انتشرت وأصبح لها أنصار ومؤيدين يمثلون مدرسة فلسفية أطلق عليها مدرسة اللذة والألـــم ، إلا أنـــها لـــم تصمد في مواجهة الانتقادات العنيفة التي وجهت إليها من معظم فلاســفة الأخلاق وأصحاب المذاهب الفطرية، وأهم هذه الانتقادات يتلخص فـــي الآتي:

١ - أن الإنسان في كثير من الأحيان قد انتصر بضميره على الشهوات وتحمل كثيراً من مشاق الحياة دون أن يصاب بالألم.

٢ - قوة التمسك بالعقيدة تجعل الإنسان لديه القدرة والعزيمـــة الكاملـــة على مقاومة الشهوات.

٣ - أن فلسفة أرستبس فلسفة مادية، والخير والشر ليس في صورة عمل مادي فقط كما يري أرستبس وأنصاره بل هناك خير أدبـــي وشـــر أدبى أيضاً.

- وأمام هذه الانتقادات انهارت فلسفة اللذة والألم بأفكارها الخاطئة التي ترتكز على الطبيعة المادية أو الحسية الواقعية، كما لم تستطع أن تقـــدم أدلة مقنعة تنفي ما ثبت بالواقع واليقين بأن الإفراط في تحصيل اللـــذات والانسياق وراء الشهوات يدفع سلوك الإنسان إلى الانحراف وارتكـــاب الجرائم ويؤدي إلى انتشار الفساد والإباحية والإجرام داخل المجتمع[1].

٢- د. محمد عبدالمنعم القيعي - عقيدة المسلمين - الطبعة الثانية - ١٩٨٦ - القاهرة - وزارة الأوقاف - المجلس الأعلي للشئون الإسلامية - ص٩١

- J. C. Flugel - Man, Morals and Society - Op. Cit - p. 156

١- د. أبو بكر محمد ذكرى - تيسير فلسفة الأخلاق - الطبعة الأولي ١٩٦٧-١٩٦٨ - دار التأليف بالقاهرة - ص ٥٦.

** وإذا كانت هذه العوامل الداخلية هامة وتتفاعل بشدة داخل الإنسان في حالة عدم ضبطها وكبح جماحها وتدفع سلوكه نحو الانحراف وارتكاب الجرائم - إلا أن فلاسفة مذهب الفطرة الشريرة لم يعتبروها هي فقط التي تعبر عن أصل طبيعته الشريرة، وإنما قرروا أيضاً بأنه توجد عوامل داخلية أخرى عديدة أقل أهمية وخطورة من العوامل السابق مثل الغرام بالجمال وحب الربح وحب الثراء تعبر كذلك عن طبيعته الشريرة وتدفع سلوكه في حالة تفاعلها إلى الانحراف وارتكاب الجرائم ولكن بأثر أخف وطأة على الآخرين من العوامل السابقة[١].

وعلى هذا الأساس يرى أصحاب مذهب الفطرة الشريرة بأن أي عامل من العوامل الداخلية الموجودة في داخل الإنسان والمعبرة عن أصل طبيعته الشريرة يصلح بمفرده في حالة عدم ضبطه وكبح جماحه أن يكون الدافع الرئيسي أو المحرك الفعال لسلوكه نحو ارتكاب أي جريمة معينة أو أي عمل من أعمال الشر الأخرى، اعتقادا منهم بأن السير وفق الطبيعة البشرية الشريرة وإطاعة أحاسيسها يؤديان حتما إلى الإجرام وكل أمور الشر[٢].

ولذلك قد قرروا بفكرهم الفلسفي الذي انتشر في معظم مجتمعات العصور القديمة بأنه لكي يتم ضبط العوامل الداخلية الموجودة في أصل طبيعة الإنسان الشريرة وكبح جماحها أو شل تفاعلها لكي يكتسب السلوك المستقيم ويصبح خيراً داخل المجتمع، يجب أن يأخذ قسطاً كاملاً

---

2 - Thomas Hobbes - Leuiathan - Op. Cit - pp 170 ets.

٣- ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - مرجع سابق - ص٨٤.

من التهذيب والتربية الصالحة وأن يلقن بصفة مستمرة بالقيم والمبادئ الدينية والأخلاقية، وأن يغرس فيه العلم النافع والمعرفة الصادقة بأمور الحياة، وأن تفرض عليه قوانين عادلة ورادعة تلزمه وتمنع عوج سلوكه[1] – وهذه الأمور الصالحة ستحقق أهداف عديدة أهمها ما يلي:-

- ستحد من كبرياء الإنسان وتحجم رغبته المتوهجة في المجد والتسلط – أي ستجعله يتخلص من ولع **الثيموس والميجالوثيميا** ويكتسب مفاهيم أخف وطأة منها وهي الإيوثيميا ومعناها رغبته فقط في أن يعترف له الأخرين بأنه مساوياً لهم في القدرة والصفات الانسانية فقط ، وبالتالي تغرس فيه مفاهيم الكرامة والأحترام وتقدير الذات بدلاً من الإحساس الفردي بالذات والتسلط والهيمنة وفرض النفوذ علي الأخرين .

- ستجعل كل فرد من أفراد المجتمع يعيش في ثمرة العقد الاجتماعي الذي يقرر بأن جميع البشر قد ولدوا أحراراً – وأن كل واحد منهم له حقوق طبيعية أهمها الحق في الحياة ، والحق في الحفاظ علي الذات ، والحق في السعى من أجل السعادة ، والحق في التملك والحق في التعبير عن الرأي والحق في أن يعيش حياة كريمة وغير ذلك من الحقوق الأخري .

- ستقضي علي العلاقة بين السيد والعبد ، وتحل بدلاً منها علاقة أخري تستند علي العدل وعلي الاعتراف المتبادل بالمساواة بينهم في الحقوق والواجبات وعلي ألا يتدخل أحدهما في حياة الآخر أو يعتدي

1- J. C. Flugel - Man, Morals and Society - Op. Cit. PP. 161 ets.

عليه وعلي ما يمتلكه ، وبالتالي ستسود بينهما كل مفـــاهيم الطيبـــة والصور الشرعية للمساواة .

- ستضبط سلوك الناس علي الاستقامة والاحتشام ، وتجعلهم يتفقـــون علي الغايات والأهداف الصالحة ، حتي لا تكون بينهم قضايا كـبري يتقاتلون بسببها ، ويشبعون احتياجاتهم بفضل نشاطهم العادل دون أن يضطروا إلي المخاطرة بحياتهم في منازعات وصراعات من أجـــل كسب الرزق .

- ستجعل المجتمع صالحاً وتنشر فيه كل مفاهيم العـــدل والانصـــراف والتعاون والتضامن والرحمة والمودة والمحبة والأخوة الجامعة .

- ستساعد علي قيام دولة صالحة وبها حكومة عادلة ، ويحقق فيـــها الشعب انجازات حضارية رائعة تكون رمزاً دائماً للخير والفضيلـــة لكل الأجيال المتعاقبة (1)

وحيث أن معظم فلاسفة العالم القديم وعلى الأخص الفلاسفة الشـــرقيون كانوا يربطون دائرة الدين بدائرة الأخلاق - فإن الخلاف بيـــن مفـــهوم مذهب الفطرة الخيرة ومفهوم مذهب الفطرة الشريرة كان ينحصر في أن فلاسفة الفطرة الخيرة كانوا يعتقدون بأن الأخلاق قوام السماء، ومـــا دام الإنسان جزءاً من السماء فهو خيّر بأصله في حين أن فلاسفة الفطـــرة الشريرة كانوا يعتقدون بأن السماء آلية محضة وتفتقر إلى المبدأ المثـــالي

---

1 - Francis Fukuyama - the End of history and th last MAN- op . cit . pp 171 ets .
- Shrirama indrodeva - social structure and valuse in later smrtis - op - cit - pp - 92 ets

أو الخلقي وبالتالي لا يتأتى للفطرة أن تضم بين طياتـــها مبـدأ خلقيـاً بالمقاييس الخلقية التي اصطنعها الإنسان ولذلك فـإن طبيعـة الإنســان شريرة والخير فيه مكتسب وليس أصيل في فطرته[1].

١- د. فــؤاد محمـد شـبل - حكمــة الصـين - مرجـــع ســابق - ص ١٣٠.

- Fredrich Nietzsche - on the Genealogy of Morals and Ecce Homs Trans . w. Kaufmann Vintage Book - New york 1967 - pp . 70 ets .

المبحث الثاني

أهم الأسس التي يستند عليها مذهب الفطرة الشريرة في تفسير ظاهرة الإجرام

حيث أن أصحاب مذهب الفطرة الشريرة قد قرروا [كما سبق أن وضحنا]بأن طبيعة جميع البشر قد فطرت على الشر منذ ميلادهم وخروجهم إلى الحياة، وأنه من خلال التربية الحسنة والتأديب والتهذيب والتلقين بالقيم والمبادئ الصالحة وضبط السلوك بالقوانين والأحكام العادلة والرادعة يمكن أن يتحولوا إلى أخيار صالحين - فلكي يؤكدوا رأيهم في ذلك ويبرهنوا اعتقادهم في تفسير ظاهرة الإجرام بأنها ترجع إلى عوامل داخلية موجودة في أصل طبيعة الإنسان الشريرة قرروا الآتي:-

* في العهود الأولى لتاريخ البشرية، وخلال أزمان العصر الحجري القديم كان يسود بين أفراد هذه الحقبة التاريخية مبدأ القوة تنشأ الحق وتحميه، وهو مبدأ نابع من أصل طبيعتهم الشريرة، وذلك لأنه على أساس هذا المبدأ كان البقاء للأقوى، ولا وجود للإنسان الضعيف ولا مكان للمرأة التي كانت في هذا الزمان من الضعفاء ومن الأفواه الجائعة التي لا تقدر بمفردها على كسب الرزق أو جمع القوت.

ولذا كان كل فرد يفتخر ويتباهى بقوته ليجبر الآخرين على الاعتراف بذاته ويحقق لنفسه الثيموس، كما كان يندفع لأتفه الأسباب إلى

ارتكاب جرائم الضرب والسطو والقتل ليرهب من حوله بقوته من أجل أن يفرض عليهم نفوذه وسطوته ويشبع رغبته في المجد والتسلط أي يحقق لنفسه الميجالوثيميا ليصارع بها كزعيم قوى قسوة الحياة البدائية التي كانت في ذلك الوقت تخلو تماماً من أي نظم أو ضوابط تحجم أو تكبذ جماح الغرائز الموجودة في أصل طبيعة الإنسان الشريرة (١).

* بعد أن ظهرت العقائد الدينية في صورتها الأولى التي رافقت بداية رحلة تكوين الجماعات الفطرية، وكانت تتمثل في عبادة الروح ثم تعددت بتعدد محتويات هذا الكون، فمن الأفراد من عبدوا الشمس، والبعض الآخر عبدوا القمر والنجوم، وآخرون عبدوا الأرض وبعض الحيوانات والنباتات ... الخ الأمر الذي أدى إلى تعدد الآلهة بتعدد هذه المعبودات التي قامت على أساسها فكرة التوتم ؛ وعلى أثرها أخذ الأفراد يتطلعون إليها ويأملون معوناتهم وهم يتقدمون لها بالشكر والتبجيل من أجل استجلاب الخيرات لهم ودفع الشر عنهم حيث اعتقدوا تماماً بأنها تملك قوة عظمى خارقة تعلوا بآفاق شاسعة قوتهم، وتسيطر بالكامل على أمور معيشتهم، وستلحقهم في حالة غضبها عليهم بالمرض أو الجنون أو الخراب أو الموت - فإنه من خلال هذه العقائد الخرافية وما ولدته في نفوسهم من خوف ورهبة - انصرفوا إلى حد ما عن مبدأ استخدام القوة والجهر والعلانية في ارتكاب الجرائم، واتجهوا صوب مبدأ آخر جديد خفف إلى حد ما من شراسة طبيعتهم الشريرة وهو مبدأ تهذيب القوة الذي قام على نظام التصالح والتحكيم واعتبر أول خطوة في ضبط

1- Georg Hegel. The Phenomenology of Mind - Op - Cit - pp 36 ets.

سلوكهم حيث فرض بعض القيود وإن كانت ضئيلة جداً في البداية على أهم الغرائز الشريرة التي كانت موجودة في الإنسان البدائي مثل الأنانية والثيموس والكذب والكراهية والميجالوثيميا والإفراط المتزايد في تحصيل الشهوات والللذات وذلك بعد أن اعتقد تماماً بأنه توجد قوة خارقة تفوق بكثير جداً قوته ويمكن بسهولة جداً أن تلحق به ضرر جسيم أو تسحقه وتزيل كل أثر لوجوده[1].

• مع مرور الزمن تطورت عبادة الأفراد لهذه العقائد الدينية الخرافية حيث ارتكزت على الورع والتقوى بدلاً ما كانت قائمة على الخوف والرهبة، وأصبح لكل عقيدة دينية رجال دين أطلق عليهم اسم الكهنة، تزعموا إقامة الشعائر والطقوس الدينية وغرسوا مبادئ العقيدة في نفوس الأفراد، ولقنوهم بداية التعليم والتهذيب، ووفروا الحماية للضعفاء أمام الأقوياء بعد أن اكتسبوا صفة التبجيل وأخذوا مكانة عليا بين الأفراد حيث اعتبروهم رسل أو مبعوثين من الآلهة لهدايتهم ، أو بأنهم ممثلون لهذه الآلهة في الأرض لإرشادهم إلى الحق والعدل وحسن الصواب أو بأنهم الوسطاء الذين ينقلون إليهم إرادة الآلهة ليعيشوا في حياة جماعية مليئة بالأمان والاستقرار - وأنه على أثر ذلك ازداد اقتناع الأفراد ورغبتهم مرة أخرى في الحد من استخدام القوة واتجهوا إلى الكهنة ليعرضوا عليهم منازعاتهم لحلها حيث اعتقدوا بأن ذلك أكثر عدلاً

---

١ - د. أحمد الخشاب - دراسات في النظم الاجتماعية - طبعة ١٩٥٨ القاهرة - مكتبة القاهرة الحديثة - ص ٣٦٤

- G. R. Driver and John C. Miles - the Baby lanoir lowers Vol. 1. Oxford University pp. 17 etc.

وطمأنينة من نظام القضاء الخاص ومن نظام التصالح والتحكم، وبعد أن تولد في نفوسهم أيضاً بأن الكهنة قد أصبح لديهم قوة تفوق قوتهم ويملكون مكانة مقدسة ولذلك تعتبر هذه الوسيلة خطوة ثانية في ضبط سلوك الأفراد وتطويع طبيعتهم الشريرة نحو الخير . ورغم أن الكهنة كانوا يفصلون في المنازعات التي كانت تعرض عليهم إما بناء على رأيهم الشخصي أو من خلال ما استطاعوا أن يستنبطوه من عادات وتقاليد الأفراد – إلا أن أحكامهم قد أخذت صفة الأحكام الإلهية – وانتشرت بين الأفراد في ثوب القواعد الدينية المقدسة التي يجب اتباعها لتنظيم علاقات الأفراد وضبط سلوكهم داخل الجماعة [١].

• نتيجة تواتر هذه الأحكام مع تمسك الأفراد بالعادات والتقاليد المتوارثة ظهرت القواعد العرفية التي تعتبر من أقدم مصادر القانون إلى جانب ظهور قيم ومبادئ دينية وأخلاقية واضحة المفاهيم داخل الجماعة – وهذا قد أدى أيضاً إلى ازدياد اقتناع الأفراد نحو ضرورة عدم اللجوء إلى القوة كأساس لإنشاء الحق وحمايته، والانصياع لمبادئ وقواعد الدين والأخلاق والعرف لتنظيم علاقاتهم وضبط سلوكهم وذلك بعد أن توافرت في هذه المبادئ والقواعد القدرة على إمكانية تحجيم النزعات الشريرة الموجودة في أصل طبيعة الإنسان وكبح جماحها لكي يسلك كل فرد في الجماعة بالاكتساب الذي سيفرض عليه طريق الخير ويتجنب ارتكاب الجرائم أو أي عمل من أعمال الشر [٢].

١- د. محمود السقا – تاريخ النظم القانونية والاجتماعية – الطبعة الأولي ١٩٧٠- مكتبة القاهرة الحديثة – ص ٦٩- ٧١ .

٢- ماكيفر – المجتمع – ترجمة أحمد عيسى – الطبعة الأولى ١٩٧٣ – القاهرة – مكتبة نهضة مصر – ص ٣٣٣.

• وحيث أنه قد ترتب على ذلك حدوث تطور في الحياة الإنسانية إلى جانب تبلور مفاهيم نظام السلطة داخل الجماعة مع ظهور بعض الأفراد ادعوا المعرفة واحتكروا على أساسها علمهم بالقانون من أجل تحقيق مصالحهم الشخصية وفرض نفوذهم وسطوتهم على الآخرين - ظهرت الدولة وقامت السلطة الحاكمة فيها بوضع شرائع ومدونات قانونية عديدة تمكنت بفاعلية في تنظيم علاقات الأفراد وضبط سلوكهم وردع من يحاول منهم أن يستجيب لدوافع طبيعته الشريرة وينساق ورائها ويقوم بارتكاب الجرائم[١].

• • • تعرض هذا المذهب لنقد شديد من جانب فلاسفة مذهب الفطرة المختلطة حيث قرروا بأن مفاهيم وتعليلات مذهب الفطرة الشريرة في تفسير ظاهرة الإجرام تخالف تمام الحقيقة والواقع، لأنه إذا كان جميع الأفراد منذ ظهور الحياة الإنسانية قد طبعت فطرتهم على الشر، وانتقل بعضهم إلى الخير بالتعليم والتهذيب والتلقين والقوانين الصالحة - فمن الذي علمهم ومن الذي هذبهم ومن الذي لقنهم القيم والمبادئ الدينية والأخلاقية الصالحة، ومن الذي سن لهم القوانين العادلة لتنظم علاقاتهم وتضبط سلوكهم - فإن كان غيرهم فلابد أن يكون خيرا بطبعه وبالتالي لا يمكن أن يكون كل البشر أشرار بالطبع.

ومن ناحية أخرى إذا كان الناس قد تعلموا الخير من أنفسهم عندما اندمجوا في حياة الجماعة فإن ذلك يعني بأن طبيعة البشر قد توسطت بين الخير والشر أي أن فطرة الإنسان فيها ميل للشر إلى جانب

---

١ - رو صن - وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة - مرجع سابق - ص٢٧.

الخير وهذا يشير أيضاً بأن طبيعة كل البشر ليست مفطورة بالكامل على الشر[١].

وأمام ذلك قام أنصار مذهب الفطرة الشريرة الذين يسندون السلوك الإجرامي لعوامل داخلية بمواجهة هذا النقد الشديد للدفاع عن مفاهيم وأساسيات مذهبهم، وقالوا بأن قوة المعرفة هي التي تكسب الإنسان الأخلاق الفاضلة وتحوله من إنسان شرير بطبعه إلى إنسان خير وصالح، وفسروا هذا القول بأن الإنسان الحقيقي عبارة عن وحدة مكونة من ثلاثة عناصر هي **انفعالات ورغبات وعقل** - وأن **الانفعالات** أو المشاعر مثل الحب والكره والسرور والغضب والحزن والفرح إلى غير ذلك كلها تمثل الجانب المادي من الطبيعة البشرية - **والرغبات** تمثل ردود فعل وانعكاسات للانفعالات والمشاعر تجاه المثيرات الخارجية - والانفعالات والرغبات أمور طبيعية في الإنسان وتعبر عن أصل فطرته الشريرة، فإذا أخذت الحرية كاملة ولم يتم تحجيمها أو كبح جماحها فإن النتيجة ستكون وبالا وعلى جانب كبير من الخطورة حيث سترتكب الجرائم وكل عوامل الشر الأخرى لأن الإنسان بطبيعته غير متوازن، وخاطئ، وثائر، وفوضوي، وغير ملتزم، وبعيد عن الطريق القويم، ولا يملك الآداب الاجتماعية ولا القسط في التعامل مع الآخرين[٢].

ونظراً لعدم وجود أخلاق فطرية أساسية في الطبيعة الإنسانية فإن الوسيلة الوحيدة لضبط الانفعالات والرغبات والسيطرة عليها ترتكز

---

١ - د. محمد بيصار - العقيدة والأخلاق - مرجع سابق - ص ٢٠١.

٢ - رو صن - وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة - مرجع سابق - ص٢٧، ص٢٨.

- Mencius. Works of. Tr. By legge, 111, 1,iv, introd, p84.
- Thomas Hobbes Leuiathan. Op. Cit - p. 85.

فقط على العنصر الثالث وهو العقل إذا اكتسب المعرفة الكلية من خلال المشاهدة والتجربة وخبرة الزمان والانسجام الكلي مع الطبيعة، لأنه بذلك ستكون وظيفته فعالة في التفرقة بين الخير والشر ويتحكم بما اكتنزه من معرفة في الانفعالات والرغبات ويكبح جماحها بطريقة متزنة ومعقولة فيختار منها ما هو صالح وغير ضار لنفسه أو للآخرين وينصرف عن دون ذلك.

وعلى هذا الأساس فإن من خلال الفعل الذي يكتسب المعرفة الكلية يتم وضع نظم كل العوامل التي تكسب الإنسان صفة الخير وهي التربية والتعليم والتلقين والقوانين العادلة وغير ذلك وجميعها ليست سوى عوامل خارجية غير نابعة من أصل فطرة الإنسان وإنما تولدت من جهود الأشخاص الذين اكتسبت عقولهم المعرفة الكلية[١].

وفي ضوء هذا التفسير الذي يعتبر بداية مصادر علم النفس في تحليله للإنسان خلال العصور القديمة. لم يستطع هذا النقد أن يهدم أساسيات هذا المذهب ولا مفاهيمه في تفسير أثر العوامل الداخلية في السلوك الإجرامي والتي يتلخص أهمها في الآتي:-

١- الطبيعة الشريرة التي فطر عليها جميع البشر، لا يوجد بها مطلقا أي أثر للخير - أي أن طبيعة كل إنسان عند مولده مليئة بالشر وخالية تماماً من كل عوامل الخير[٢].

---

١ - رو صن - وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة - مرجع سابق - ص٢٨.

- أما نويل كانت - تأسيس ميتا فيزيقا الأخلاق - ترجمة وتقديم وتعليق د / عبدالغفار مكاوي - مراجعة د عبدالرحمن بدوي - الطبعة الثانية ١٩٨٠ - الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة - ص١٧ وما بعدها.

- د. أبو بكر محمد ذكرى - تيسير فلسفة الأخلاق - مرجع سابق - ص ٤٥.

2 - Thomas Hobbes - Leviathan - Op.Cit - p. 86.

٢- الانحراف والجنوح نحو ارتكاب الجرائم هو الأصل في طبيعة الإنسان، والأخلاق الحميدة والاستقامة غير أصيلة فيه وإنما يكتسبها فقط من دعائم العوامل الخارجية الصالحة مثل التربية الحسنة والتهذيب الواعي التعليم النافع والتلقين المستمر بالقيم والمبادئ الدينية والأخلاقية – وهذه العوامل يقوم بوضعها داخل المجتمع الأشخاص الذين اكتسبت عقولهم المعرفة الكلية ويعيشوا في انسجام كلي مع الطبيعة[١].

٣-الطبيعة الشريرة التي ولد بها كل البشر، ليست صلدة، ولا تملك القوة الكاملة على مجابهة ما يغرس فيها من عوامل خارجية صالحة، وإنما تصنت لها وتستجيب لأوامرها وتعليماتها دون أي تردد أو أي انفعالات عكسية – ولذلك فإنه من السهل تحويل الإنسان الشرير بطبعه إلى إنسان خير إذا غرست فيه وبصفة مستمرة العوامل الصالحة منذ مولده ليكتسب بها الأخلاق الطيبة والسلوك المستقيم ويصبح في انسجام كلي مع الطبيعة، وبالتالي يبتعد عن الانحراف وارتكاب الجرائم[٢].

٤- الدوافع الأساسية التي تحرك سلوك الإنسان نحو الانحراف وارتكاب الجرائم وكل عوامل الشر مصدرها نابع فقط من العوامل الداخلية الكائنة في طبيعة الإنسان الشريرة التي فطر عليها – وهذه العوامل لديها من القدرة في حالة عدم التصدي لها بالعوامل الخارجية

---

١ - رو صن – وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة – مرجع سابق – ص٢٥.

2 - J. C. Flugel - Man, Morals and Society - Op Cit - pp 103 ets.

الصالحة أن تجعل الإنسان طول حياته مجرماً أو شريراً ويشكل خطراً دائماً على حياة الآخرين داخل المجتمع الذي يعيش فيه[1].

٥-البيئة الاجتماعية والطبيعة التي تحيط بالإنسان أقوى من طبيعته الشريرة لأنها هي التي تؤثر فيه ولا يؤثر هو فيها - فإذا كانت صالحة وتوافر فيها بالتالي كل القيم الطيبة والفضائل الحسنة تحول هذا الإنسان المفطور على الشر إلى إنسان خير ومن الممكن أن يصبح أيضاً من أهل الحكمة والفضيلة إذا اكتسب عقله المعرفة الكلية بكل أمور حياة الدنيا والآخرة - أما إذا كانت فاسدة، فأنه يتحول إلى مجرم خطير أو إلي شرير جداً وذلك لأن طبيعته الشريرة تجد في البيئة الفاسدة ما يناسبها لكي تتفاعل وترتع فيها دون أن تتصدى لها أي عوامل صالحة أو تقاومها وتردعها أي نظم أو قوانين عادلة وحازمة، وأن هذا يؤدي إلى اصباغ هذا الإنسان بالشر الكامل أو الإجرام الخطير، كما يصاب عقله بالشلل الكلي ويعجز تماماً عن اكتساب أي معرفة - ويصبح على أثر ذلك من المستحيل علاج هذا الإنسان وتحويله إلى إنسان خير[2] - وهذا الإنسان كان يعيش غالباً مع أمثاله في هذه البيئة الفاسدة خلال العصور القديمة في المناطق النائية وحول حدود المدن والأقاليم المتحضرة ومصدر رزقه الوحيد كان من عمليات السطو والإغارة على سكان تلك المدن والأقاليم لسلب ونهب أموالهم وممتلكاتهم ... وكان يطلق عليه بربري وعلى الجماعة التي يعيش معها بالبرابرة. وتاريخ العصور القديمة به

1 - Francis Fukuyama - The End of History and the Last Man - 1992 - New York - p. 188.

٢ - د. فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - مرجع سابق - ص ١٢٩ وما بعدها.

الكثير من الأحداث الدامية التي ارتكبها هؤلاء البرابرة - مثل قبيلة شيو نغنو التي كانت تتمركز في بعض مناطق الصين الشمالية، وقبائل القوط التي كانت تحترف بجدارة السطو ونشر الفساد في القارة الأوروبية، وقبائل الوندال التي هبطت من سهول جبال البرانس إلى أرض أسبانيا وأشاعت فيها الفوضى والإجرام، وقبائل الهون التي أشاعت الفوضى والانحلال في أوروبا الوسطى من غاراتها المفاجئة وهجماتها الشرسة لسلب ونهب خيرات المدن - وكانت معظم شعوب العالم القديم تنظر إلى هؤلاء نظرة مليئة بالرعب والنفور والتقزز من أثر خطورتهم وفظاعة جرائمهم[١].

٦-لا توجد علاقة مطلقا بين شكل الإنسان، وطبيعته الإجرامية على أساس أن كل البشر طبيعتهم مفطورة على الشر ... ولكن إذا الإنسان وهو شرير بطبعه قد انغرس في بيئة فاسدة تفاعلت فيها طبيعته وترعرعت وأصبح الإجرام هو حرفته الوحيدة التي لا يمكن الاستغناء عنها، والانحراف ونشر الفساد من العوامل التي تنعش بصفة مستمرة طبيعته الشريرة فإنه من الممكن هنا أن يأخذ شكله بعض الملامح التي تعبر عن سلوكه الإجرامي إذا عاش فترة طويلة

١- هـ. سانت . ل. ب. موس - ميلاد العصور الوسطى - نيويورك ١٩٣٥- ترجمة . عبدالعزيز جاويد مراجعة الدكتور السيد الباز العريني - الطبعة الأولى ١٩٦٧، القاهرة ، عالم الكتب ، ص٨٤ ، ص٩١، ص٩٥.

- د. اسحق عبيد - تاريخ العصور الوسطى المبكرة - طبعة ١٩٨٠/١٩٨١ - القاهرة - مكتبة الحرية - جامعة عين شمس - ص٥٦ وما بعدها.
- وأيضاً مؤلفنا عن العلاقات الدولية في العصور القديمة طبعة ١٩٨٩- دار النهضة المصرية بالقاهرة - ص٨٧ وما بعدها ... ومؤلف آخر عن الجرائم العدوانية على حقوق الوحدة البشرية في العصور القديمة - طبعة ١٩٩١ - دار النهضة المصرية بالقاهرة - ص٢٥ وما بعدها.

في المناطق النائية أو الجبلية مثل بروز الجبهة وضيق فتحة العين وفلطحة الأنف وكبر الفم وانعواج الأسنان .الخ] ولكن هذا ليس بحكم اللزوم أن يكون هناك ارتباطا دائماً بين المجرم الخطير وبين شكله وملامحه مثل ما هو مقرر عن أصحاب مذهب الفطرة المختلطة بالنسبة لطائفة الأشرار بالطبع كما سترى في الباب الثالث(١).

٧- الأصل عدم وجود ضمير فطري عند جميع البشر باعتبار أن طبيعتهم شريرة - ولذا فإن الضمير يكتسبه الإنسان من المران والتجربة، أي أن قوة الضمير لا يمكن أن تكون فطرية بل هي قوة مكتسبة ... واكتساب الضمير يكون ناتجاً من حصيلة آلاف الضغوط الاجتماعية على الإنسان بالإضافة إلى عوامل التربية في الأسرة وفي المدرسة، والقهر الرسمي الذي تمارسه عليه المؤسسات والنظم الاجتماعية والأعراف والتقاليد وسلطان البيئة في المجتمع الذي يعيش فيه، حيث تتضافر وتتحالف هذه العوامل في تكوين ضميره(٢)، وفي ذلك يقول الفيلسوف الاجتماعي الفرنسي اميل دوركهايم بأن [قوة الضمير المكتسبة تجعل الضمير الفردي ما هو إلا انعكاسا صادقاً للضمير الجماعي الذي ولد فيه الفرد وبه نشأ وتكون](٣).

وعلى هذا الأساس فإن العوامل الخارجية التي تحيط بالإنسان هي التي تكسبه قوة الضمير فإذا كانت صالحة وحولته من إنسان شرير

---

1 - Friedrich Nietzsche - on the Genealogy of moral, and Ecce Homo - Op. Cit - pp 82 ets.

- د. حسن شحاته سعفان - مونتسكيو - سلسلة قادة الفكر في الشرق والغرب - مكتبة نهضة مصر بالقاهرة - غير محدد سنة الطبع - ص ١٤٤، ص ١٤٥.

2 - Gabriel Madiniar - La Conscience morale - Paris 1963 - pp 7 - 12.

3 - Emile Durkheim - L'education morale - Paris. 1925. P36.

بطبعه إلى إنسان خير يكتسب من خلال ذلك ضمير حسن وسليم ويحس دائماً بالمسئولية أما إذا كانت هذه العوامل فاسدة وجعلت الطبيعة الشريرة في الإنسان تتفاعل وتتوغل فإنه يكتسب من خلال ذلك ضمير فاسد يختزن دائماً براثن الشر إلى جانب عدم الإحساس بأي مسئولية، ومن الصعب جداً علاج هذا الضمير وإكسابه أمور الخير بعد ذلك[١]. وأصحاب هذه الضمائر هم أخطر المجرمين أو أخطر الأشرار في المجتمع. حيث يرتكبوا جرائمهم ولا يشعرون بأي ندم أو أي ألم من النتائج السيئة التي تحدث للغير من أثر هذه الجرائم. وكان يطلق عليهم قديماً ألفاظ عديدة منها أعداء البشر، وأعداء الشعب، وأعداء المجتمع، وأعداء الحياة الإنسانية[٢] والطب النفسي الحديث يطلق عليهم أصحاب [الحالة السيكوباتية] وذلك بعد أن أطلق هذه التسمية عليهم العالم الألماني كوخ في عام ١٨٨٨م ووصفهم بالاندفاعية واللا أخلقية والأنانية واللا تكيفيه التي تتجسم في اصطدامهم المتواصل مع المجتمع وفي ارتكابهم للجرائم بلا مبالاة لما قد يسببونه للغير من المحن والكوارث والآلام[٣]، وإذا كان أصحاب مذهب الفطرة الشريرة قديما يرون استحالة علاج أو إصلاح ضمائر هؤلاء المجرمين الخطرين - إلا أن الطب النفسي الحديث يرى عكس ذلك ويقرر بأن هناك وسائل علاج حديثة يمكن من خلالها إصلاح أحوال أصحاب هذه الضمائر الفاسدة المصابة بمرض السيكوباتية[٤].

---

1 - Henri Berr - La synthese en histoire - Paris - 1911 - pp 171 ets.
2 - Thomas Hobbes - Le viathan - Op. Cit - p 87.
3 - Hervery cleckly - the Mask of sanity - London - 1941 - pp 208 - 213.
٤ - د. رؤوف عبيد - مبادئ علم الإجرام - ١٩٧٢ - دار الفكر العربي بالقاهرة - ص ٣٠٩ وما بعدها.

- وكما يحتاج الإنسان إلى الاستمرارية في تلقينه بالعوامل الخارجية الصالحة وغرسها فيه حتى تخمد طبيعته الشريرة ويتحول إلى إنسان خير، فإن الضمير كذلك يحتاج أيضاً إلى الاستمرارية بالمران والتجربة بنفس هذه العوامل الصالحة حتى يكتسب دائماً قوة الإدراك في العدل والحكمة والإحساس بالمسئولية(١). وفي ذلك يقول **جون كارل فلوجل** أستاذ علم النفس الإنجليزي وهو من أنصار المذهب الكسبي للضمير بأن [إذا كان العمل الأخلاقي هو العمل الذي يطابق القيم - وهذه القيم تقررها أساساً طبيعتنا البيولوجية واستعدادنا السيكولوجي - إلا أنه لكي يعيش الإنسان عيشة طيبة في البيئة الاجتماعية المعقدة التي صنعها - لابد أن يفرض عليه عامل خارجي بالإضافة إلى الفضيلة الطبيعية التي تختلف أشد الاختلاف من شخص لآخر، وهذا العامل الخارجي هو عامل التوجيه والتحكم المكتسبين وهو عنصر يمكن اعتباره من بعض الوجوه أقل طبيعية وتلقائية من الغريزة ، وهو يحمل الشخص في بعض الأحيان على أن يجاوز في بعض الاتجاهات ما تمليه عليه غرائزه، ويحمله في أحيان أخرى على الكف عن عمل محبب إلى غرائزه، ويقل ظهور عنصر التحكم هذا كلما نما ضمير الإنسان واكتمل منهجه الأخلاقي](٢).

- وإذا كان علم الإجرام الحديث قد توسع في مفهوم أثر التكوين الفطري في السلوك الإجرامي وجعله يشمل جميع الجوانب العضوية - والحيوية والنفسية، وأعطى تفسيرات عديدة لكي يؤكد بأن هذه الجوانب كلها

---

1 - Emile Durkheim - Sociologie et philosophie - Paris - 1948 - pp 94 - 98.
2 - J. C. Flugel. Man, Morals and Society - Apsyco analylical study - A mace company - London - 1945 - p. 29

تتفاعل معاً في توجيه السلوك الإجرامي - والفكر القديم قد جعل التكوين الفطري يأخذ شكل عام دون أن يتعرض في تفسيراته إلى تفصيلات عن هذه الجوانب - فإن هذا لا يعني بأن مفهوم أثر التكوين الفطري على السلوك الإجرامي لم يعرف إلا حديثاً خلال منتصف القرن الثامن عشر الميلادي كما يقول معظم علماء الفقه الجنائي الغربي مثل لمبروزو، وديتوليو، وبندي ، وكينبرج ... وغيرهم[1]. وإنما هو ليس إلا تطوير لمراحل الفكر الإنساني عبر العصور المختلفة، لأن جذور مذهب الفطرة الشريرة ومفهومه عن أثر العوامل الداخلية في السلوك الإجرامي بوجه عام قد نبتت في العصور القديمة، وأن الفكر الحديث في مجال علم الإجرام لم يكن سوى أغصان طرحتها هذه الجذور التي أرتوت بفكر العلماء والفلاسفة الذين تناولوا وحدة الإنسان على مر عهود العصور القديمة والوسطى. وفي مطلع العصور الحديثة - والقول بغير ذلك لا يتفق مع الحقيقة ولا مع المنطق ولا مع أساسيات الحياة الإنسانية منذ بداية ظهورها - كما أن الفكر الغربي الحديث في تناوله لمفهوم التكوين الفطري لم يقرر بأن طبيعة كل البشر واحدة، وبأنهم جميعاً مفطورين على الشر مثل ما كان سائداً في العصور القديمة من خلال فكر مذهب الفطرة الشريرة وإنما جعل بعضهم فقط مصابين بالفساد في تكوينه الفطري دون البعض الآخر، هذا رغم أن مفهوم مذهب الفطرة الشريرة لم ينقرض في الفكر الحديث وإنما ما زال موجود وله أنصار عديدة

١- د. رؤوف عبيد - مبادئ علم الإجرام - مرجع سابق - ص ١٩١ وما بعدها

- د. نجاتي سند - علم الإجرام - مرجع سابق - ص ١٢٥ وما بعدها.

يؤيدونه ويدعمون أفكاره ومعظمهم من أشهر فلاسفة العصور الحديثة – مثل توماس هوبز، وجان لوك، وشوبنهاور ، وفريدرك نيتشه[١].

– وبذلك فإن المفهوم الحديث لعلم الإجرام في تفسير أثر العوامل الداخلية في السلوك الإجرامي ليس سوى امتداداً للمفهوم القديم في هذا المجال لأن كل فكر إنساني حديث لابد أن تكون له جذور في العالم القديم، وأن الأساس الجوهري لكل فكر إنساني يثبت دائماً بأن الحديث هو تطوير فقط لما تأسس في الماضي البعيد[٢].

1 - Francis Fukuyama - the End of History and the Last Man. Pp 165 ets.
2 - Henry Thomas - The Great Phelosophers – New – York – 1962 – p 413 ets

الفصل الثاني

أهم فلاسفة العالم القديم المؤسسين لمذهب الفطرة الشريرة والمفسرين لأثر العوامل الداخلية في السلــوك الإجرامـــي

تقديـــــم :

لكي نؤكد ما سبق أن عرضناه في الفصل الأول من هـذا البـاب بـأن المجتمعات الحضارية القديمة قد ظهرت فيها مفـاهيم مذهـب الفطـرة الشريرة – وتفسيرات في ضوء مفاهيم هذا المذهب تشير بأن السـلوك الإجرامي وليد عوامل داخلية نابعة من ذات طبيعة الإنسان وليس مـن أي عوامل خارجية – وبأن العوامل الداخلية لديها القدرة في حالة عـدم كبـح جماحـها أن تجعـل الإنسـان مجـرم خطـير .

سنعرض في هذا الفصل موجز عن أهم الفلاسفة الذين ظهروا في العالم القديم واشتركوا في تأسيس مذهب الفطرة الشريرة وقاموا فـي ضـوء مفاهيم هذا المذهب بتفسير الظاهرة الإجرامية من خلال أثـر العوامـل الداخلية في السلوك الإجرامي – وسيكون عرضنا متوافق مع التسلسـل الزمني لظهور هؤلاء الفلاسفة في العالم القديم .

Apour – أبوور

فيلسوف مصري قديم ظهر منذ ما يقرب من ٢٣٥٠ سنة قبل الميلاد وانتشرت فلسفته لعلاج أوضاع المجتمع المصري من أمور الفوضى والفساد والانحلال التي ضربت أطنابها في مصر خلال الحقبة الواقعة بين الإمبراطورية القديمة والإمبراطورية الوسطى وهي التي بدأت كما يقول معظم المؤرخين من بداية حكم الأسرة الخامسة عام ٢٤٢٠ قبل الميلاد حتى نهاية حكم الأسرة العاشرة في عام ٢١٠٠ قبل الميلاد[1] – ولذا فإنه يعتبر أول فيلسوف اجتماعي في تاريخ العالم، واعتنق فلسفته وآراءه العديد من الفلاسفة والحكماء مثل شوبنهاور وشيلي وتولستوي الذين يعتبرون من أعظم فلاسفة العصور الحديثة. (٢)

ومن استقراء فكر وآراء هذا الفيلسوف يتضح أنه قد قرر في منهجه الفلسفي بأن طبيعة جميع البشر مفطورة على الشر، وبالتالي فإنه يعتبر أول من أسس مذهب الفطرة الشريرة في تاريخ البشرية، ولا يوجد في المصادر والمراجع التاريخية أي إشارة أو معلومة مؤكدة تفيد بأن أحداً قد سبقه في هذا الرأي أو عبر عن ذلك الاتجاه من قبل سواء في

---

١ - د. محمود السقا - تاريخ النظم القانونية والاجتماعية - ١٩٧٠ - الطبعة الأولى - مكتبة القاهرة الحديثة - ص ١٢٣.

- د. صوفي حسن أبو طالب - مبادئ تاريخ القانون - طبعة ١٩٦٧ - دار النهضة العربية بالقاهرة - ص ٤٢٢.

2- Andre Aymard et jeannine Auboyer – Histoire General Des civilisations – Tom 1 – L'orient – et la grece Antique - pairs – 1962 – p 50 .

مصر الفرعونية أو في أي مجتمع آخر من تلك المجتمعات الحضارية التي ظهرت في شرق وغرب العالم القديم.

وعلى ضوء ذلك قد فسر هذا الفيلسوف ظاهرة الإجرام - بأن الدوافع المحركة لسلوك الإنسان نحو ارتكاب الجرائم مصدرها الأساسي نابع من فطرته الشريرة وليس دون ذلك - وهذه الفطرة الشريرة يمكن ضبطها والتحكم فيها وتحجيم دوافعها بعوامل التهذيب والتربية الصالحة والقوانين الرادعة والحكم العادل حتى تسلك طريق الخير وتتجنب الرذائل وارتكاب الجرائم، لأنها لا تتفاعل وتحرك السلوك نحو أعمال الشر إلا في بيئة طبيعية واجتماعية فاسدة أو إذا حرمت من العوامل الخارجية الصالحة في المجتمع الذي يصاب بأمور الفوضى والانحلال.

وقد أطلق عليه الفيلسوف المتشائم بعد أن فضل الموت أو الانتحار عن الحياة داخل المجتمع الذي تنتشر فيه أمور الفوضى والفساد والانحلال والحكم الظالم، لأنه كان يعتقد أن هذه الأمور ستجعل الفطرة الشريرة تنتعش في كيان الناس وتدفع سلوكهم نحو أعمال الشر وتصبح حياتهم سوداء ومليئة بالظالمين والأشرار والسفاحين وأسوأ من حياة الجحيم، ولذلك قال عبارته المشهورة [من الأفضل أن تنتهي حياة البشر أما بالموت أو بالانتحار، ولا يكون هناك حمل ولا ولادة إذا لم يقدر للأرض (ويقصد بذلك المجتمع) أن تتوقف عن جلبتها وللصراع أن ينعدم (ويقصد بذلك أمور الفوضى والفساد والانحلال) .[1]

1- Andre Aymard et jeannine Auboyer – op . cit . p 51

- Henry . Thomas – the Great philosophers – op . cit – p . 9

وحيث أن في عصر هذا الفيلسوف كـــان المجتمـع المصـــري مصاب بالفوضى والانحلال - فقد عبر عن ذلـــك بكلمـــات وعبـــارات أوضح فيها منهجه الفلسفي وما دمغ في اعتقاده عن الفطـــرة الشـــريرة وعن تفسير ظاهرة الإجرام ... لأنه قال [**إلى من أتحدث اليوم؟ الأخوة الأشرار الذين يخدع بعضهم بعضاً.. إلى من أتحدث اليوم؟ إلى أصحاب القلوب الجاشعة وكل امرئ منهم يغتال متاع جارة ... إلى من أتحـدث اليوم؟ إلى الذين اختفى فيهم الرجل الشريف من الظهور بينما يعيـــش الباغي المتعجرف فائزاً مظفراً ... إلي من أتحدث اليوم بعد أن أصبـح الوقت الذي يجب فيه أن يثير سلوك المرء سخطاً نراه يبعث الســـرور أيضاً، وفي الوقت الذي يستحق فيه السارق الجلد بالسوط، نراه يكافـــأ بالثروة والشهرة**] [1].

وأيضاً قد عبر عن فكرة الفلسفي بشجاعة ودون أن يخشـــى أو يهاب ما يمكن أن يتعرض له من ظلم وطغيان وذلك عندما واجه الملـــك واتهمه بأنه السبب في انتشار الفوضى والفساد في كافة أنحـــاء البـــلاد حيث قال له دون خوف أو وجل أو تردد [**أن ما تشهده البلاد الآن من تدهور وفساد هو من نتائج الاضطرابات التي زرعتها بيداك في طـــول البلاد وعرضها وسط السّجس والجلبة - ولذا تـــرى النـــاس يلجـــأون للعنف بعضهم ضد البعض الآخر**][2].

وإذا كان هذا الفيلسوف قد فسر ظاهرة الإجـــرام بأنـــها ترجـــع لانتعاش الفطرة الشريرة في البيئة الطبيعية والاجتماعية الفاسدة أو التـــي

1- Henry Thomas - The Great Phelosophers - Op. Cit - P 9 -11.
2 - Andre Aymard et Jeannine Avboyer - Op. Cit - p. 52 .

ينخر فيها الفوضى والانحلال والاستبداد والظلم - إلا أنه قد أوضح أيضاً من خلال الكلمات والعبارات السابق الإشارة إليها مدى العلاقة التي تربط مفهوم ظاهرة الإجرام بكل من القانون الجنائي ونظام العقاب والسياسة الجنائية وذلك للأسباب التالية.

* بعد أن اتهم الملك بأنه السبب في حالة التدهور التي تمر بها البلاد - فإنه يقصد من ذلك أن فساد حكم هذا الملك وعدم صلاحية القوانين الجنائية التي فرضها في ضبط سلوك أفراد الشعب قد أدى إلى انتشار الفوضى والانحلال في المجتمع المصري - وهذا في حد ذاته يعبر عن الصلة بين القانون الجنائي ومفهوم ظاهرة الإجرام ويؤكد مدى الإرتباط الدائم والوثيق بينهما في الفكر الإنساني القديم وإن كان أيوور أول من عبر عن ذلك في مصر الفرعونية.

* بعد أن عدد أوجه الفساد الذي انتشر في المجتمع المصري القديم بكلمات وعبارات كان لها صدى هائل في عصره وفي كل العصور التي تلته حتى عصرنا الحاضر، وعبر عن مضمون أسباب هذه الأوجه الفاسدة. فإنه بذلك يكون قد عبر بوضوح عن مدى الترابط الوثيق بين ظاهرة الإجرام وبين نظام العقاب، على أساس أنه قد جعل السبب في انتشار أوجه الفساد التي سردها في عباراته يرجع إلى الانحلال أو الخلل الذي حدث في السياسة العقابية أو في نظام العقوبة خلال تلك الحقبة وجعلها عديمة الفاعلية بدلا من أن تكون النموذج الأصلي لرد الفعل الاجتماعي ضد الجريمة، ولعل آخر عباراته عندما قال [**في الوقت الذي يستحق فيه السارق والظالم والمستبد الجلد بالسوط نراه يكافأ**

بالثروة والشهرة] خير دليلا واضحا على ذلك ... وبالتالي ليس مفهوم علم الإجرام قد اكتشف حديثا، وليس العلاقة بينه وبين علم العقاب قد وضحت معالمها في القرن التاسع عشر الميلادي كما يقرر الفقه الجنائي الغربي وعلى الأخص الفقه الفرنسي والأمريكي[١]، وإنما لعلم الإجرام جذور أصولية قديمة وله ارتباط وثيق بعلم العقاب في الفكر الإنساني القديم.

* الهدف الذي دفع هذا الفيلسوف في كشف أوجه الفساد الذي استشرى في المجتمع المصري وأدى إلى انتشار الجرائم هو حس الملك والأجهزة التي تعاونه في إدارة شئون البلاد نحو ضرورة مواجهة هذا الفساد ، وإصلاح أوضاع المجتمع المصري بأفضل النظم والوسائل التي تحميه من الفوضى والانحلال وتضبط بفاعلية سلوك أفراد الشعب لمنع انتشار الجرائم – وحيث أن هذا الهدف قد تضمن معطيات ومتطلبات لتحديد معالم الطريق الصحيح لوقاية المجتمع من الجريمة فإنه بذلك ليس سوى ما يطلق عليه الآن مصطلح علم السياسة الجنائية الذي يبحث في تطوير القواعد الجنائية لتكون أكثر ملائمة للمتغيرات التي تصيب المجتمع لكي تحقق بفاعلية الدفاع الاجتماعي.

وبالتالي لا يمكن تصديق ما يقرره الفقه الجنائي الغربي بأن السياسة الجنائية علم جديد وظهر لأول مرة في بداية القرن التاسع عشر الميلادي وأن الفقيه الألماني [فوير باخ] أول من استخدم مفهوم مصطلح السياسة الجنائية – بل الحقيقة أن هذا العلم له جذور عميقة في الماضي

---

١ - د. نجاتي سند – علم الإجرام – مرجع سابق – ص٨٠.

البعيد وله ارتباط وثيق بمفهوم علم الإجرام في الفكر الإنساني القديم من أجل وضع صياغة مثلى للنصوص الوضعية التي تحمي المجتمع من الجريمة في ضوء المعطيات والمسلمات التي تكشف الأسباب والمتغيرات الخاصة بالظواهر الإجرامية[1].

وبذلك يعتبر الفيلسوف المصري [أبوور] هو أول من أسس مذهب الفطرة الشريرة، وأول من فسر ظاهرة الإجرام في ضوء مفهوم هذا المذهب الذي يقرر بأن طبيعة كل البشر قد فطرت على الشر،كما أنه أول من وضح مدى الصلة والارتباط الوثيق بين مفهوم علم الإجرام وبين مفاهيم كل من القانون الجنائي وعلم العقاب وعلم السياسة الجنائية في تاريخ البشرية ولا نقول ذلك تعصبا على أساس أنه فيلسوف مصري ظهر في العصر الفرعوني ويعتبر من عظماء أجدادنا في الفكر الإنساني القديم. وإنما نقول الحقيقة على ضوء ما هو مسجل عنه عالميا في المصادر والمراجع التاريخية من حيث الترتيب الزمني لظهوره[2] وذلك رغم أن فكرة الفلسفي لم يكتشف بالكامل ليضيف لنا أيضا مناهج فلسفية أخرى تعبر عن مدى ثراء الحضارة المصرية القديمة في الفكر الأدبي والفلسفي وعن مدى الدعائم التي قدمتها مصر الفرعونية للحضارة العالمية في مجال الفكر الإنساني القديم .

---

١ - د. أحمد فتحي سرور - السياسة الجنائية - مجلة القانون والاقتصاد - العدد الأول - مارس ١٩٦٩ كلية الحقوق - جامعة القاهرة - ص ٣ وما بعدها.

- د. يسر أنور، والدكتورة آمال عثمان - أصول علمي الإجرام والعقاب - طبعة ١٩٧٠ - ص٥١ وما بعدها.

- د. مجاني سند - علم الإجرام - مرجع سابق - ص ٧٧ - ص ٧٩.

2 - Henry Thomas - THE GREAT Philosopheos - Op. Cit - p 11.

شيون تسي

فيلسوف صيني ولد في عام ٣٠٥ قبل الميلاد بمملكة تشاو [ومكانها جنوب ولايتي خوبى وشانسى الحاليتين] أواخر حقبة الممالك المتحاربة وتوفى عام ٢٣٥ قبل الميلاد بمملكة [تشو] بعد أن بلغ من العمر سبعين عاما.

تلقى تعليمه في مملكة [تشي] وبعد أن وصل إلى مرحلة الشباب درس الأدب والفلسفة والحكمة، وعندما تعمق في هذه الدراسة وأصبح ذات اتجاه فكري متميز وذاع صيته، عينته مملكة [تشي] في منصب رفيع، إلا أنه نتيجة الخلاف الذي احتدم بينه وبين كبار رجال البلاط الملكي في الفكر والآراء اضطر إلى مغادرة مملكة [تشي] واتجه إلى مملكة [تشو] ليعيش فيها حيث عين قاضيا، ونتيجة أراءه وفكره الفلسفي الذي يتعارض مع بعض المدارس الفلسفية الأخرى عزل من منصبه ثم أعيد إليه بعد فترة - وفي أخريات أيامه كرس معظم وقته للتدريس حتى توفى في هذه المملكة ودفن فيها بعد أن أصبح صاحب اتجاه فكري متميز ومن ضمن أشهر فلاسفة الصين القديمة[1].

١- تاريخ الصين - الجزء الأول - سلسلة كتب سور الصين العظيم - اعداد مجموعة من أكبر المؤرخين في الصين - مجلة بناء الصين - بكين ١٩٨٦ - مترجم باللغة العربية - الطبعة الأولى - ص٢٨.

- حيان بوه تسان، شاوشيون تشنع، هوهوا - موجز تاريخ الصين - دار النشر باللغات الأجنبية - الطبعة الأولى ١٩٨٥ - مترجم باللغة العربية - بكين - الصين - ص ١٥ - ص ١٧.

- د. فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - مرجع سابق - ص ١٢٢.

اعتقد [شيون تسي] في منهج فكرة الفلسفي بأن جميـــع النـــاس أشرار بفطرتهم أي أنهم ولدوا وطبيعتهم مفطورة على الشـــر، وقـــرر [**بأن النفس البشرية أمارة بالسوء، وما تعملـــه مـــن خـــير متكلـــف مصطنع لأن ما في الإنسان من خير غير أصيل فيه بل اكتسبه فقـــط من التربية الحسنة والنظم الصالحة التي يعيش في كنفها - لأنه قـــد غرس في نفسه أو في طبيعته منذ مولده حب الكسب، فـــإذا كـــانت أعماله تقوم على هذا الحب فإن هذا يؤدي إلـــى انتشـــار المنازعـــات والسرقات كما أن إنكار الذات والاستسلام للغـــير ليـــس مـــن طبيعـــة الإنسان، بل أن من طبيعته التحاسد والتباغض، ولما كانت أعمال الناس لابد أن تتفق مع طباعهم فإنهم لا يصدر عنهم إلا العنـــف والأذي ، ولا نـــرى فيـــها إخلاصـــا أو وفـــاء فـــي أصـــل طباعـــهم.**][1]..

وعلى هذا الأساس يعتبر هذا الفيلسوف المؤسس الثاني لمذهب الفطـــرة الشريرة بعد الفيلسوف المصري أبوور وذلك حســـب ترتيـــب تـــاريخ ظهورهما الزمني وانتشار فكرهما الفلسفي في العالم القديم.

وفي ضوء ما اعتقده [شيون تسي] بأن الفطـــرة الإنســـانية قـــد طبعت على الشر، وأن جميع البشر أشرار بطبعهم - قد قـــام بتفســـير الظاهرة الإجرامية على نفس الاتجاه وعلى ذات النمـــط الـــذي اتبعـــه الفيلسوف المصري أبوور حيث أشار بأن الدوافع التي تحـــرك ســـلوكه الإنسان نحو ارتكاب الجرائم مصدرها الأساســـي نـــابع مـــن فطرتـــه الشريرة- فإذا أمكن تحجيم هذه الفطرة الشريرة وضبط غرائزها ومنـــع

١- ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - الشرق الأقصى - مرجع سابق - ص ٨٤، ص٨٥.

انفعالاتها ودوافعها من خلال عوامل التربية والتهذيب والنظم القانونية الصالحة يسلك الإنسان طريق الخير ويتجنب الرذائل ويبتعد عن ارتكاب الجرائم[١] وفي ذلك يقول ... بأن [**السير وفق الطبيعة البشرية وإطاعة أحاسيسها يؤديان حتما إلى الخصام واللصوصية، وإلى مخالفة الواجبات التي تتفق مع الوضع الذي وجد فيه كل إنسان، وإلى الخلط بين كل المراتب والمميزات حتى تعم الهمجية ... ولهذا كان لابد من قيام سلطان المعلمين وسلطان الشرائع، والاهتداء بقواعد الاستقامة والاحتشام التي ينشأ عنها إنكار الذات والخضوع للغير ومراعاة قواعد السلوك المنظمة، مما يؤدي إلى قيام الدولة ذات الحكومة الصالحة... وقد أدرك الملوك الأقدمون الحكماء ما طبعت عليه النفس البشرية من شر، فوضعوا قواعد الاستقامة والآداب، وسنوا النظم والقوانين ليقوموا طبائع الناس ومشاعرهم و يصلحوهم ... حتى يسلكوا جميعا العمل الصالح الذي يتفق مع العقل**][٢] .

وأيضا تأكيدا لما اعتقده هذا الفيلسوف بأن الطبيعة الإنسانية مفطورة على الشر وما ذهب إليه في تفسير الظاهرة الإجرامية – قال عباراته المشهورة التي أثارت اهتمام المفكرين في العصور التي تلت عصره. وهي [**الناس أشرار بطبعهم، فإذا دربوا على الخير، قد يصلحون، بل أن في وسعهم إذا أريد لهم ذلك أن يكونوا قديسين ... وإن الخير الذي في المجتمع هو حاصل القيود الاجتماعية ونتيجة كبح جماح فطرة الإنسان الغليظة وتوجيهها ... لأن الفطرة الإنسانية**

---

(١) د. فؤاد محمد شبل – حكمة الصين – مرجع سابق – ص١٢٣.

(٢) ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع – الشرق الأقصى – مرجع سابق – ص٨٥.

شريرة بأصلها وأن ما في النفس البشرية من خير مـــردة ترويضـــها وكبح جماحها... و أن التعليم والتهذيب والنظـم القانونيـة الصالحـة والعادلة هي الأدوات الوحيدة لكبح جماح الفطرة الإنســانية الشـريرة وتخليص حياة المجتمع من كل أفعالها ودوافعها الخطيرة التـي ينتـج عنها الفوضى والفساد والانحلال] (١).

ألف **[شيون تسي]** كتابا أطلق عليه اسمه، ويحتوي على اثنيـن وثلاثين فصلا اتسم بالترابط والتناسق ... وقرر فيه أيضا بأن الطبيعـة الإنسانية هي السبب في شرور المجتمع إذا لم يتـم ترويضـها وكبـح جماحها بالتعليم والتهذيب والحكم الصالح بالقوانين العادلة والرادعة، لأن هذه العوامل تساعد بفاعلية على إنقاص الجرائم وزيادة الفضائل وتـأخذ بيد الناس إلى المثل العليا وتمكنهم من إقامة الدولة الفاضلة المثاليـة ... كما ناهض بشدة في كتابة الخرافات والسحر والشعوذة التـي سـيطرت على أذهان معاصريه وطالب بضرورة الاحتكام إلى العقـل وحـده - والاستناد إلى الأحكام التي تمليها طبيعة الكون مـع ترويـض الفطـرة الشريرة وتحجيم دوافعها ليتجه الناس نحو الخير ويعيشـوا فـي بيئـة طبيعية والاجتماعية صالحة ونقية(٢).

وكثيرا من الأدباء والمفكرين قد أشاروا بأن الفيلسوف الإنجليزي **توماس هوبز** [١٥٨٨م - ١٦٧٩م] الذي يعتـبر مـن أشـهر فلاسـفة العصور الحديثة وأطلق على فلسفته بالمذهب الفوضوي { حيـث كـان

---

(١) د. فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - مرجع سابق - ص ١٢٤.

(٢) ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - الشرق الأقصى - الصين - مرجع سابق - ص٨٥.

يرى أن نظام الطبيعة نظام حرب عام، والكل يحارب كلا ليبقى ، والحق للقوة } قد تأثر في منهجه الفلسفي وفي أبحاثه عن السياسة وعلم الأخلاق بفكر وآراء وفلسفة [شيون تسي] وذلك مثل ما تأثر كل من شوبنهاور وشيلي وتولستوي بفلسفة أبوور[١].

وحيث أن هذا الفيلسوف كان مقتنع تماما بقدرة القوانين على ترويض الفطرة الشريرة وتقييد دوافعها إلى جانب العوامل الأخرى المتمثلة في التهذيب والتربية الصالحة - فقد تتلمذ على يديه الفيلسوف الصيني [هان في تسي] زعيم المدرسة الشرائعية التي كانت تنادي فكرها الفلسفي بأن المجتمع لا يمكن أن ينصلح حاله ويعيش الناس في أمان واستقرار ويعرفوا المعنى الحقيقي للعدل إلا إذا تم تقوية حكم هذا المجتمع بالتشريع ولا سيما التشريع الجنائي الذي يجب إعلانه وتعميمه بين كافة أفراد المجتمع حتى يلتزموا به ويحرصوا على عدم مخالفة نصوصه حتى لا تطبق عليهم العقوبات المقررة لأحكامه - كما تتلمذ على يديه أيضا الكثير من أقطاب الفكر الصيني مثل [لي سسو] الذي كان من أنصار المدرسة الشرائعية ومن أشد المؤيدين لفكرها الفلسفي، وأنه بعد أن نجحت مملكة تشين في القضاء على الممالك الأخرى وتوحيد بلاد الصين وأنشأت أول إمبراطورية كبرى بها وهي إمبراطورية تشين في عام ٢٢١ قبل الميلاد - قد عين رئيس وزراء هذه الإمبراطورية وعاون بفكره وآراءه الإمبراطور الأول [تشن. شه. هوانغ. دي] في إدارة شئون الإمبراطورية حيث كان يثق فيه ومقتنع بفكر وفلسفة المدرسة الشرائعية وعلى الأخص فكر زعيمها الأول

1 - Henry Thomas - THE GREAT Philosophers - Op. Cit - p 48.

المتزمت والصعب المراس [هان في تسي] - ولذلك يقول معظم المؤرخين بأنه يمكن اعتبار الإجراءات السياسية والنظم القانونية التي نفذت في إمبراطورية تشين [illegible] توحيدها لبلاد الصين تطبيقا صارما لآراء وفكر ومنهج المدرسة [illegible][1].

وعلى هذا الأساس يتضح أن الفيلسوف [شيون تسي] هو المؤسس الثاني لمذهب الفطرة الشريرة - والرائد الثاني أيضا في تفسير الظاهرة الإجرامية في ضوء مفهوم ومنهج هذا المذهب ، وأن انتشار آراءه وفكره الفلسفي في الصين ثم في المجتمعات الحضارية الأخرى التي ظهرت في العصور القديمة مثل انتشار آراء وفكر الفيلسوف المصري أبوور من قبل يدل على أن الفكر الإنساني في العالم القديم كان يعلم تماما أثر الفطرة الشريرة في تفسير السلوك الإجرامي ومدى تأثير عوامل التربية والتعليم والتهذيب والنظم القانونية الصالحة في ترويض هذه الفطرة الشريرة وكبح جماحها لكي يتحول سلوك الناس نحو الخير والأعمال الصالحة.

١- تاريخ الصين - الجزء الأول - مرجع سابق - ص ٢٨، ص٢٩.

- د. فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - مرجع سابق - ص١٢٢.

أفلوطين - Avlotien

فيلسوف روماني الأصل، ولد عام ٢٠٣ ميلادية في مصر في مدينة ليقوبوليس بالقرب بمدينة أسيوط، ولم نعرف جنسيته على وجه التحديد . سوي أنه ولد في مصر وتعلم الفلسفة الشرقية واليهودية والإغريقية في مدينة الإسكندرية التي كانت في ذلك الوقت مسرح رئيسي للفلسفة العالمية التي كانت عبارة عن مزيج من الفلسفة اليونانية والفلسفة الشرقية والفلسفة اليهودية التي أسسها الفيلسوف اليهودي فيلون في القرن الأول الميلادي ولذلك تعلم أفلوطين الأصول العامة للفلسفة وتعمق في أساسياتها ومبادئها وخاصة فلسفة المصريين القدماء مثل بتاح حتب وأبوور وإخناتون ، كما تتلمذ لمدة عشر سنوات على يد الفيلسوف لامونيوس الذي أنشأ مدرسة فلسفية بالإسكندرية بعد أن قرب بين فكر أفلاطون وأرسطو واصبح من ضمن المؤسسين للأفلاطونية الحديثة[1].

غادر الإسكندرية ليشترك في حملة الإمبراطور غورديانوس لبلاد فارس ، ومن أجل أن يعلم الكثير عن المذاهب الفلسفية الشرقية - إلا أن النهاية المشؤومة التي آلت بالجيش الروماني بعد هزيمته وسحقه من جيش الفرس، أجبرته على اللجوء إلى انطاكية ، إلا أنه بعد أن بلغ الأربعين من عمره رحل إلى روما حيث افتتح فيها مدرسة لتعليم أصول الفلسفة التي انتهجها ولاقت نجاحا كبيرا في الأوساط الثقافية الرومانية، واستمر على ذلك إلى أن توفى في علم ٢٦٩ م بعد أن بلغ من العمر

---

١ - د. زكي نجيب محمود ، د. أحمد أمين - قصة الفلسفة اليونانية - الطبعة الثانية - ١٩٨١ - مكتبة النهضة المصرية - بالقاهرة - ص ٢٦٧.

ستة وستين عاما[1] - وقد قام أثناء حياته بإعداد مؤلفات عديدة نشرها تلميذه الفيلسوف [فورنوريوس] الذي أعد كتابا عن حياة أفلوطين وقد قسم [فورنوريوس] مؤلفات أفلوطين إلى ستة أقسام، وكل قسم منها تضمن تسعة كتب، ومن المصدر تسعة هذا كان عنوان مؤلفات أفلوطين الفلسفية [التاسوعات] - وكان اتجاهه الفلسفي فيها بأن الأشياء المادية ليست لها أية حقيقة في ذاتها، وإنما حقيقتها تأتيها من النفس التي هي غير جسمية والتي أساسها العقل، لأن العقل هو الفكر الأبدي الذي صنعه الخالق الأعظم وهو الله الذي أوجد كل شيء بقدرته وأسس وأنشأ كل كيانات عالم المثل بفيضه الذي لا ينفذ أبدا ما دامت الحياة الإنسانية مستمرة في هذا الكون - ولذلك كانت فكرة أفلوطين الفلسفية في الوجود تتكون من أربعة جواهر أولية مرتبة ترتيبا تنازليا تبدأ أولا من الله الواحد والخالق الأعظم ثم ثانيا العقل ثم ثالثا النفس ثم رابعا المادة - وبأنه إذا اتحدت هذه الجواهر الأربعة اتحادا وثيقا ومتماسكا كانت أقرب إلى الكمال والتوافق كما تكون في غايتها نحو اقتراب فعلي مع الواحد وهو الله الأعظم[2].

اعتقد أفوطين في ضوء منهجه الفلسفي بأن الفطرة الإنسانية مطبوعة على الشر ولا تصير إلى الخير إلا بالتأديب والتهذيب والحكم

١- د. محمد بيصار - الفلسفة اليونانية - الطبعة الأولى - غير محدد سنة الطبع - جامعة السيد محمد بن علي السنوسي - ليبيا - ص١٥٣، ص١٥٤.

- د / نور الدين أشراقية - معركة الحياة - الثورة الفكرية العالمية - النضال الثوري من أجل الوحدة العالمية - الطبعة الأولي ١٩٧٢ - مطابع دار الكتب - بيروت - لبنان - ص ٢٣٩.

٢ - شارل فرنر - الفلسفة اليونانية - ترجمة تيسير شيخ الأرض - الطبعة الأولى عام ١٩٦٨ - دار الأنوار - بيروت - لبنان - ص ٢٣٤ وما بعدها.

الصالح المستند على القوانين والنظم العادلة[١] - وعلل ذلك بالقول بأن [النفس ليست صورة للبدن كما يقول أرسطو ، ولا البدن يتضمن النفس، وإنما النفس هي التي تتضمن البدن، وهي حاضرة فيه مثل حضور الشمس في الهواء لأنها تحتويه وتنفذ إليه بقدرتها، ولكنها من ناحية أخرى تخلص بجزئها الأعلى الذي هو العقل من كل تماس بالبدن وتبقى متحدة بالعالم المعقول لكي يسلك الإنسان طريق الخير ويبتعد عن الشر والرذيلة وارتكاب الجرائم - لأن الشر مبدؤه في الجسد الذي يمثل صورة من صور المادة والخير مبدؤه في النفس التي تمثل حياة التأمل والخير ورؤية الأشياء المعقولة ولذلك فإن الطبيعة الشريرة للإنسان تحدث عند مولده عندما تمتزج النفس بالجسد لحظة خروجه للحياة، فلكي يصبح الإنسان خيرا عليه أن يحجم طبيعته الشريرة من خلال فصل بدنه انفصالا طبيعيا عن نفسه، وفصل النفس عن البدن لا يجب مطلقا أن يكون عن طريق القوة بأن يلجأ الإنسان إلى الانتحار ليخرجه نفسه عن بدنه لأن الانتحار عملا غير مشروع في كل العقائد والأديان - وإنما يكون عن تلقي العلم الوفير والحكمة الفاضلة والامتثال لعوامل التربية والتهذيب والخضوع للقوانين العادلة وإطاعتهاوعدم مخالفة أحكامها لتضبط سلوكه وتنظم علاقاته مع الآخرين وتوفر له العدل والأمان والاستقرار داخل المجتمع الذي يعيش فيه ...] [٢].

وعلى هذا الأساس يعتبر أفلوطين حسب الترتيب الزمني الفيلسوف الثالث المؤسس لمذهب الفطرة الشريرة بعد أبوور وشيون

١- د. محمد بيصار - العقيدة والأخلاق ، وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع - الطبعة الثالثة - ١٩٧٢ - مكتبة الأنجلو المصرية - بالقاهرة - ص٢٠١.

٢ - الإمام/ نور الدين إشراقية - معركة الحياة - مرجع سابق - ص ٢٣٤، ص٢٣٨

- شارل فرنر - الفلسفة اليونانية - مرجع سابق - ص٢٥٢ - ص٢٦١.

- د. زكي نجيب محمود، د. أحمد أمين - قصة الفلسفة اليونانية - مرجع سابق - ص٢٦٨.

تسمي – كما يعتبر أيضا ثالث فيلسوف قام بتفسير ظاهرة الإجرام في ضوء المنهج الفلسفي لمذهب الفطرة الشريرة، بعد أن علل بفكرة الفلسفي بأن الإنسان يصبح خيرا إذا أمكن ترويض وكبح جماح فطرته الشريرة، من خلال فصل نفسه عن جسده انفصالا طبيعيا بالعوامل الخارجية التي يكتسبها ويلتزم بها في حياته داخل المجتمع وهي التربية والتعليم والتهذيب والقوانين العادلة – أما إذا لم يتم ذلك وظلت النفس محصورة داخل الجسد فإن الإنسان يكون كأنه قد وقع داخل الوحل منذ مولده، فيرتكب الجرائم بدافع فطرته الشريرة التي تنتعش في كيانه من أثر التفاعلات التي تحدث من اتحاد نفسه مع بدنه.

أشار بعض المفكرين والأدباء في مؤلفاتهم وعلى الأخص الغربيين بأن **أفلوطين** هو أول فيلسوف في تاريخ الإنسانية قام بتأسيس **مذهب الفطرة الشريرة** في القرن الثالث الميلادي وتبعه في ذلك اليسوعيين الذي عاشوا في القرن السادس عشر[1] – وبالطبع فإن هذا الرأي غير صحيح لأن أصحابه لم يمدوا بصرهم عبر صفحات التاريخ ليكتشفوا الحقيقة بأن أول من قام بتأسيس هذا المذهب هو الفيلسوف المصري أبوور وتلاه بعد ذلك بمدة تزيد عن عشرين قرنا الفيلسوف الصيني **[شيون تسي]** كما أن **أفلوطين** لم يكن صاحب منهج فلسفي إلا بعد أن درس بعمق فلسفة المصريين القدماء وعلى رأسهم أبوور، ولذا يطلق عليه بعض الأدباء اسم **أفلوطين المصري** على أساس أنه قد ولد في مصر وتعلم منذ طفولته أساسيات الفلسفة على يد الكثير من الأساتذة

---

٢ – د. محمد بيصار – العقيدة والأخلاق – مرجع سابق – ص٢٠١.

المصريين في مدينة الإسكندرية التي كانت في ذلك الوقت منارة للعلم والثقافة والفلسفة في العالم القديم - وهذه الحقيقة قد أكدها جانب كبير من العلماء والمفكرين والأدباء الذين التزموا الأمانة والصدق في مؤلفاتهم حيث قرروا صراحة بأن **أفلوطين** قد أكمل فقط بعد **أبوور وشيون تسي** بعض الاتجاهات الفلسفية لمذهب الفطرة الشريرة، إلى جانب مدخل فكره الفلسفي في تفسير ظاهرة الإجرام في ضوء الأساسيات التي يرتكز عليها هذا المذهب.

وتأكيدا لهذه الحقيقة أيضا أن مذهب الفطرة الشريرة قد تعرض كثيرا للنقد من جانب بعض الفلاسفة والمفكرين الذي ظهروا قبل أفلوطين في المجتمعات الحضارية القديمة مثل أنصار الفكر الفلسفي **لاخناتون** في مصر الفرعونية وأنصار الفلسفة الكونفوشيوسيه في الصين القديمة وأنصار الفلسفة البوذية في الهند القديمة وأنصار **سقراط وأفلاطون وأرسطو** في بلاد الإغريق[١] - واشتد هذا النقد كما هو ثابت في صفحات تاريخ الفكر الفلسفي خلال القرن الثاني الميلادي، وتولى زعامته الفيلسوف الروماني **جالينوس البرغامي** الذي كان في ذلك الوقت من أكبر المؤيدين لمذهب الفطرة المختلطة الذي سبق الإشارة إليه وسنتعرض له تفصيلا بعد ذلك، وكان هذا الفيلسوف يعمل طبيبا خاصا للإمبراطور الروماني **ماركوس أوريليوس** الذي ولد في عام ١٢١م وجلس على العرش في عام ١٦١م بعد أن أصبح من أكبر أنصار المدرسة الرواقية ومات في عام ١٨٠م - فكيف يقال بعد ذلك أن

---

١ - الإمام / نور الدين اشراقية - معركة الحياة - مرجع سابق - ص ٢٣٨.

- د. زكي نجيب محمود ، د.أحمد أمين - قصة الفلسفة اليونانية - مرجع سابق - ص ٢٦٩، ص٢٧٠.

أفلوطين الذي ولد في عام ٢٠٣م وانتشر فكره الفلسفي في القرن الثالث الميلادي هو المؤسس الأول لمذهب الفطرة الشريرة.

والنقد الذي وجه لهذا المذهب كما سبق أن أشرنا وكان في بعض الأحيان يهز أركانه بين المذاهب الفلسفية الأخرى التي ظهرت في العالم القديم علي أساس أن بعض الناس قد طبعت فطرتهم علي الخير أو فيهم ميل فطري للخير بجانب طبيعتهم الشريرة .

بالإضافة إلى ذلك فقد وجه أيضاً خلال العصور الوسطى نقداً شديداً لهذا المذهب واتجاهاته في تفسير ظاهرة الإجرام من جانب معظم علماء الإسلام على أساس أنه يخالف الأخلاق الإسلامية، والطبيعة الإنسانية ذاتها لأن الإنسان لم يخلق ليشعل بطبيعته نار الحقد والكراهية ولكي يعيش على الرذيلة أو الأخلاق القبيحة، بل خلق من أجل أن يعمر الأرض وينشر فيها السلام والمحبة والإخلاص، وأن من اسم الإنسان اشتقت كلمة الإنسانية، والإنسانية مضمونها الأخلاق الفاضلة - كما أن الأخلاق الفاضلة تنمو معظمها من الداخل، ولا تنمو بأكملها عن طريق التعليم والتهذيب والتلقين لأنها اقتناع داخلي وارتباط وجداني فطري[1] وذلك تصديقاً لقوله تعالى **[لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ...]** [2]

• وسوف نوضح ذلك بالتفصيل في الباب الثاني عندما نعرض مفهوم مذهب الفطرة الخيرة وتفسيره لظاهرة الإجرام .

---

١ - د. مصطفى محمود - الماركسية والإسلام - طبعة ١٩٨٣ - دار المعارف بالقاهرة - ص٨.

٢ - سورة التين - آية ٤.

وحيث أن مجال دراستنا يقتصر فقط على عرض أهـــم أســانيد الفكر الإنساني القديم الذي قام بتفسير ظاهرة الإجرام في ضوء فلســـفة مذهب الفطرة الشريرة فإننا سنكتفي بما عرضناه عن هــؤلاء الفلاسـفة الثلاثة الذين أسسوا هذا المذهب وفسروا من خـــلال فكرهـم الفلســفي ظاهرة الإجرام - وذلك لأنهم قد برهنوا بصدق بـــأن تفسـير ظــاهرة الإجرام في ضوء فلسفة مذهب الفطرة الشريرة قد عرف بيـن شـعوب العالم القديم منذ ما يزيد عن ألفي سنة قبل الميلاد وليــس مــن صنــع العصور الحديثة أو على الأخص خلال القرنين الثامن عشــر والتاســع عشر كما يدعي الفقه الجنائي الغربي - كما أن جميع العلماء والمؤرخين يعترفون تماما في مؤلفاتهم بأن هؤلاء الفلاسفة الثلاثة قد ظــهروا فــي العصور القديمة ويعتبروا من أعظم وأشهر فلاسفة العالم القديم[١].

---

3 - Henry Thomas - THE GREAT Philosopheros - Op. Cit - pp 61 ets.

الباب الثاني

مفهوم مذهب الفطرة الخيرة
وتفسيره لظاهرة الإجـــرام

[أثر العوامل الخارجية في السلوك الإجرامي]

تقديـــــم :

ظـهرت فـي معظـم المجتمعـــات الحضاريـــة القديمـــة آراء واتجاهات فكريـــة وفلسـفية عديـدة، كونـت مـن تواترهـا أسـس تفسيرية لنظريـات علميـة تنسـب السلوك الإجرامـي المرتكـب عمـدا وبـإرادة حـرة إلـى دوافـع أو مؤثـرات فعالـة مصدرهـا الأساسي نـابع مـن عوامـل خارجيـة بحتـة تتمثـل فـي البيئـة الاجتماعيـة والطبيعيـة التـي تحيـط بالجـاني ويعيـش ويندمـج فيـها، وتؤثـر علـى شـخصيته وفكـره، وتـؤدي مـن خـلال فسادها أو عـدم التكيـف معـها إلـى تحريـك سـلوكه نحـو ارتكـاب الجرائـم أو أمـور الشـر عمومـا، أي تحفـزه علـى اتخـاذ سـلوكا منحرفـا ومضـادا للمجتمـع - وهـذه النظريـات تنكـر تمامـا وجـود أي علاقـة بيـن دوافـع الجريمـة والعوامـل الداخليـة الخاصـة بالشـخصية الذاتيـة للجـاني سـواء كـانت تتعلـق بطبيعتـه التـي فطـر عليـها عنـد ميـلاده أو بتكوينـه العضـوي أو بتكوينـه العقلـي والنفسـي، بادعـاء أن هـذه العوامـل الداخليـة خـيرة وكامنـة فـي ذات الإنسـان وتـؤدي بانتظـام وظائفـها الحسـنة اللازمـة لحياتـه دون خلـل أو توتـر، وبالتـالي لا يمكـن أن تؤثـر عليـه وتدفعـه للانحـراف ، أي ليسـت لديـها أي دور علـى أحـداث تفـاعلات مؤثـرة تولـد

دوافع إيجابية تحرك سلوكه نحو ارتكاب الجرائم أو أعمال الشر عموماً[1].

وجميع أصحاب هذه الآراء والاتجاهات هم الفلاسفة الأوائل الذين ظهروا في شرق وغرب العالم القديم وأسسوا مذهب الفطرة الإنسانية الخيرة الذي يقرر بأن طبيعة جميع البشر مفطورة على الخير، وأن الشر يرجع إلى عوامل أخرى خارجية وبعيدة تماماً عن أصل الفطرة.

ولكي نوضح مفهوم هذا المذهب وتفسير المؤسسين له لظاهرة الإجرام سنعرض دراستنا في هذا الباب على النحو الآتي:

<u>الفصل الأول :</u> سنوضح فيه أهم العوامل الخارجية التي تحرك سلوك الإنسان نحو ارتكاب الجرائم ثم نعرض أهم الأسس التي يستند عليها مذهب الفطرة الخيرة في تفسير ظاهرة الإجرام.

<u>الفصل الثاني:</u> سنبين فيه أهم فلاسفة العالم القديم الذين أسسوا مذهب الفطرة الخيرة وفسروا في ضوء مفاهيم هذا المذهب ظاهرة الإجرام وأسندوا دوافعها إلى عوامل خارجية بحتة – وذلك لكي نثبت من خلالهم وجود تفسيرات في العصور القديمة عن أثر العوامل الخارجية في السلوك الإجرامي.

---

1 - Max Scheler - Man's place in Nature - New York - Manday press - 1928 - pp 17 - 21.

الفصل الأول

أهم العوامل والأسس التي يستند عليها مذهب الفطرة الخيرة في تفسير السلـــوك الإجرامي

تقديـــم :

ســنوضح فـــي هـــذا الفصـــل أهـــم العوامـــــل الخارجيـــــة التـــي تدفـــع أو تحـــرك ســـلوك الإنســـان نحـــو ارتكـــاب الجرائـــم أو الشر، وتحوله مـــن إنســـان خـــير بطبعـــه إلـــى إنســـان مجـــرم أو شرير - ثـــم نعـــرض بعـــد ذلـــك أهـــم الأســـس التـــي يرتكـــز عليـــها مذهـــب الفطـــرة الإنســـانية الخـــيرة فـــي تفســـير ظـــــاهرة الإجـــرام وإســـنادها إلـــى عوامـــل خارجيـــة بحتـــة وبعيـــدة تمامـــاً عن أصـــــل الفطـــرة الخـــيرة. ولكـــي نوضـــح دراســـتنا فـــي هـــذا الفصل سنطرحها في تسلســـل موضوعـــي علـــى النحـــو الآتـــي:

<u>مبحث أول:</u> أهم العوامل الخارجية المؤثرة في السلوك الإجرامي طبقـــاً مفهوم مذهب الفطرة الخيرة.

<u>مبحث ثاني</u> : أهم الأسس التي يستند عليها مذهب الفطرة الخـــيرة فـــي تفسير ظاهرة الإجرام.

المبحث الأول

أهم العوامل الخارجية المؤثرة في السلوك الإجرامي طبقاً مفهوم مذهب الفطرة الخيرة

فلاسفة العالم القديم الذين أسسوا مذهب الفطرة الإنسانية الخيرة، وعبروا بعمق أفكارهم عن الآراء والاتجاهات التي تبلورت في شكل نظريات علمية تستند في تفسيرها ظاهرة الإجرام إلى عوامل خارجية، قد قسموا هذه العوامل التي تحرك سلوك الإنسان نحو ارتكاب الجرائم وكافة أعمال الشر إلى خمسة أنواع، وكل نوع عبارة عن تصنيف يضم بداخله بعض العوامل الخارجية التي لا تتشابه مع العوامل الموجودة في تصنيف الأنواع الأخرى[1] - وذلك بعد أن أيد نظريات العوامل الخارجية ودافع عنها واعتنق مبادئها الكثير من الفقهاء والحكماء والمشرعين القدماء، وانتشرت أفكارها بين معظم الشعوب في شرق وغرب العالم القديم إلى جانب استناد بعض الحكومات القديمة على نتائجها في سياسة التجريم والعقاب[2] وهذا التقسيم النوعي يتلخص في الآتي:-

---

1 - J. C. Flugel - Man, Morals and society - Op - Cit pp 91 ets.

١ - د. نور الدين اشرافية - معركة الحياة - مرجع سابق - ص ٨٥.

النوع الأول: وهو خاص بالعوامل الاجتماعية التي يطلق عليها البيئة الاجتماعية المحيطة بالجاني، مثل المكان الذي ولد فيه والأسرة التي تربى في داخل أحضانها، والوسط الاجتماعي الذي يختلط به ويعيش معه سواء في المدرسة التي يتعلم فيها أو في المنطقة التي يقطن فيها أو في الجهة التي يعمل فيها ليكسب قوته أو في الدروب والحانات التي يلهو ويسهر فيها أو في النوادي والساحات الرياضية التي يتدرب فيها ليقوي بنيان جسده[1]... الخ ... فإذا فسدت هذه العوامل كلها أو بعضها أصبحت البيئة الاجتماعية غير صالحة ومرتعا خصبا للإجرام أو للشر عمومك فتحرك سلوك البعض نحو الانحراف وارتكاب الجرائم أي توجه إردات بعض الأفراد نحو صور متنوعة من السلوك الإجرامي مثل السرقة والنصب والدعارة والاغتصاب والسطو المسلح والقتل ... الخ[2].

النوع الثاني: خاص بالعوامل الطبيعية التي يعيش فيها الجاني ويطلق عليها البيئة الجغرافية مثل حالة المناخ أو الطقس الذي قد يكون

---

1 - Elizabeth Bott - Family and Social Network - London - 1957 - pp31 - 42.

٢ - د. أحمد خليفة - النظرية العامة للتجريم - دراسة في فلسفة القانون الجنائي - القاهرة ١٩٥٩ - ص ١٩ وما بعدها.

- E. Durkheim - Leducation morale - Paris - 1925 - pp 112 ets.
- د. نور الدين اشراقية - معركة الحياة - مرجع سابق - ص ١١٧ وما بعدها.
- راجا هويتشنج [فيلسوف هندي] - السلام العظيم - نيويورك ١٩٥٣ - ترجمة وديع سعيد - القاهرة ١٩٧٣ - دار الفكر العربي - ص٩.
- د . محمود عز العرب السقا - أضواء علي فلسفة العقوبة العظمي - عقوبة الإعدام - طبعة نوفمبر ١٩٩٧ - كلية حقوق جامعة القاهرة - ص ٤٧ .

حار جداً أو شديد البرودة أو غزير الأمطار، وحالة المنطقة التي قد تكون زراعية أو صحراوية جدباء، وحالة الموقع الـذي قـد يكون جبلي أو من قبيل الوديان والسهول - وذلـك لأن حيـاة الأفراد وعاداتهم وتقاليدهم وسلوكهم تختلف من بيئـة جغرافيـة لأخرى، فمثلاً الذين يعيشون في المناطق الحارة ترتفع عندهـم جرائم الاعتداء علي الأشخاص - والذين يعيشون في المنـاطق الباردة ترتفع عندهم جرائم الاعتداء علـى الأمـوال كالسـرقة والنصب ، والذين يعيشون في المناطق الزراعية ومصدر رزقهم قائم على الزراعة وحصد المحاصيل نسبة الإجرام عندهم قليلـة جداً، أما الذين يعيشون في المناطق الصحراوية فنسبة الإجـرام عندهم مرتفعة جداً لأن مصدر رزقهم ضئيل فيضطـروا إلـى ارتكاب عمليات السلب والنهب ولذا كـان يطلـق عليـهم فـي العصور القديمة بالبرابرة أو بالقبائل الهمجية التي تسـكن فـي الصحراء وتعيش على سلب ونهب خيرات المدن المتحضـرة، وأيضاً الذين يعيشون في المواقع الجبلية يكونوا في تعاملهم أكـثر عنفاً من الذين يعيشون في السهول والوديـان[١] - وقـد عـبر الفيلسوف الفرنسي منتسكيو عـن ذلـك بـالقول [أن البيئـة الجغرافية لها تأثير هام وفعال على الأخلاق والعادات والتقـاليد السائدة في المجتمع][٢].

١- د. أحمد كمال، د. كرم حبيب - علم الاجتماع الحضري - طبعة ١٩٧٣ - القاهرة - دار الجيل للطباعة - ص ١٥٦ وما بعدها.

٢ - د. حسن شحاته سعفان - مونتسكيو - غير محدد سنة النشر - دار النهضة المصرية - ص ١٢٦.

النوع الثالث : يتعلق بالعوامل الاقتصادية التي تخص الجاني في معيشته فقد يكون ثري أو ميسور الحال أو فقير، كما تخص أيضا مدى قدرته على تحقيق الكسب من العمل الشريف - وحيث أن معظم المجتمعات القديمة كانت قائمة على النظام الطبقي الذي كان يستند أساسا على حالة الثراء والفقر بين الأفراد، فكان دائما ينظر إلى أفراد طبقة العامة بأنهم أكثر إجراما من أفراد طبقة الأشراف، وإلى أفراد طبقة العبيد بأنهم أكثر إجراما من أفراد طبقة العامة ومن كل أفراد الطبقات الأخرى على أساس أنه كان ينظر إليهم على أنهم يمثلون أفقر وأحقر أفراد المجتمع .. وبالتالي كان يسود بين المجتمعات القديمة اتجاها يربط بين الجريمة وحالة الفقر[1].

ولكي يتم تحجيم هذا الارتباط ومنع تزايد تفاعلاته حتى لا تشكل خطورة على المجتمع كانت السلطة الحاكمة في معظم مجتمعات العالم القديم تضع قوانين تنص فيها على ضرورة أن يقوم كل فرد من أفراد الشعب وعلى الأخص أفراد الطبقة العامة بتقديم بيان كل سنة لحاكم الإقليم الذي يتبعه يوضح فيه مورد رزقه، فإذا تجاهل ذلك أو أهمل في تقديم هذا البيان ولم يثبت بوضوح وإتقان بأن له مورد رزق حلال كان يعاقب بالإعدام - وذلك مثل ما نص عليه صراحة في قانون أمازيس الذي جلس على عرش مصر وأصبح ملكا وهو من عامة الشعب في عام ٥٦٨

1 - J. C. Flugal - Man Moral and Society - Op. Cit - p 155.

قبل الميلاد[1]، وقوانين العصر الإمبراطوري في الصين القديمة الذي شمل إمبراطورية تشين وإمبراطورية هان الغربية والشرقية وامتد من عام ٢٢١ قبل الميلاد حتى عام ٢٢٠ ميلادية[2] وكان الهدف من هذه القوانين هو الحد من حالات الفقر بحس كل إنسان على الالتحاق بعمل حتي يكون له مورد رزق شريف ، وكشف كل من يحاول أن يتكسب من السرقة أو من السلب والنهب أو من أي عمل غير شريف لكي يتم ضبطه ومعاقبته وحماية المجتمع من خطورة أفعاله الإجرامية .

النوع الرابع: خاص بعوامل التربية والتعليم والتهذيب والتلقين بالقيم والمبادئ الدينية والأخلاقية إلى جانب العادات والتقاليد الحسنة والمتوارثة في المجتمع – فإذا كانت هذه العوامل صالحة انخفض معدل الإجرام في المجتمع أما إذا كانت فاسدة وانتشر الجهل والانحلال والعادات السيئة بين الأفراد ارتفع معدل الإجرام في المجتمع – وذلك لأن الإنسان لا يمكن أن يبتعد تماما عن الحقد والكراهية وكل عوامل الشر والرذيلة، ويقاوم المؤثرات الخارجية التي يتعرض لها من إغراءات وملذات إلا من خلال تهذيبه وتربيته تربية صالحة مع إعطائه قدر كافي

---

2 - J. H. Breasted - A History of Egypt - Part 2 - London - 1948 - p 591.
3 - R. Grousset. La chine et son art - Paris - 1951 - p 71.
- ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع – الشرق الأقصى – مرجع سابق – ص ٩٦ وما بعدها.

من التعليم والتلقين حتى يصبح ملما بأمور العلم والمعرفة ، وكثيرا من الفلاسفة القدامى قد عبروا عن ذلك وأكدوا في منهجهم الفلسفي [كما سنرى فيما بعد] بأن انتشار العلم والمعرفة بين أفراد الشعب يساعد بقدر كبير على خفض نسبة الجرائم وكل أعمال الشر - وخير تعبير عن ذلك ما قاله ارسطو [**يمكن العفو عن جميع الخطايا التي يرتكبها الإنسان جاهلا أنه يرتكبها، بل حتى التي يأتيها بناء على جهل**][1] - **وما عبر عنه أفلاطون - بأن [الجهل من أخطر أعداء الإنسانية ومن أكبر العوامل التي تؤدي إلى ارتكاب الشر، أما العلم والمعرفة فهو الطريق الواضح إلى النور حيث يحول النفس من الظلمة إلى النور والارتقاء نحو الحقيقة وعمل الخير]**[2] - ولذلك لا يمكن أن يصل الإنسان إلى الرضا والسعادة ويبتعد عن كل عوامل الشر إلا إذا اعتنى بالمعرفة الدقيقة والعلم الوافي بأمور الحياة[3].

---

١ - ارسطو طاليس - علم الأخلاق إلى نيقوماخوس - الجزء الثاني - ترجمة من اليونانية إلى الفرنسية بارثلمي سانتهلير أستاذ الفلسفة اليونانية في الكولج دي فرانس ثم وزير خارجية فرنسا سابقا - ونقله إلى العربية أحمد لطفي السيد - طبعة ١٩٢٤ - القاهرة - دار الكتب المصرية - ص ٩٧ وما بعدها.

٢ - أفلاطون - الجمهورية [جمهورية أفلاطون] - الكتاب الرابع - مرجع سابق - ص ٢٥٧.

- د . محمود عز العرب السقا - أضواء علي فلسفة العقوبة العظمي (عقوبة الإعدام) - مرجع سابق -ص٦١ وما بعدها .

٣ - د. عبدالرحمن بدوي - الأخلاق النظرية - مرجع سابق - ص ١٦٢ - ص ١٦٤.

النوع الخامس: ويتعلق بالعوامل الخاصة بظروف وأوضاع المجتمع السياسية التي تؤثر على حياة الشعب مثل نظام الحكم الظالم أو المستبد الذي يرهق الشعب ويدفع بعض أفراده إلى ارتكاب بعض أعمال التخريب والاغتيالات انتقاما من طغيان الحاكم - وحالة الحرب وما قد يترتب عليها من آثار هامة وخطيرة داخل كيان الشعب بسبب الهزيمة أو الانتصار - وحالات الثورات والانتفاضات التي تندلع بقوة من أفراد الشعب ضد السلطة الحاكمة وما قد يترتب عليها من فوضى وأعمال قمع سواء نجحت في قلب نظام الحكم أو فشلت وأعدم زعمائها - والتاريخ القديم مدون به أحداث عديدة عن أثر ظروف المجتمع السياسية في ظاهرة الإجرام بأنه في حالة تدهور الأوضاع السياسية ترتفع معدلات الجريمة والعكس صحيح وذلك مثل ما حدث في مصر الفرعونية خلال الفترة التي أعقبت حكم الأسرة الخامسة حتى حكم الأسرة العاشرة [٢٤٢٠ - ٢١٠٠ ق.م] حيث تفككت فيها وحدة البلاد وانتشرت الفوضى وأمور الفساد في كافة أرجاء المجتمع المصري مما أدى إلى ارتفاع

- Jank Elevitch : Traite des vertus - Paris - 1970 - U.N. Uneiversity - Tokoy - pp 317 ets.

معدلات الجريمة بين أفراد الشعب[١] - وأيضا مثل ما حدث في عصر الممالك المتحاربة في الصين القديمة وعلى الأخص خلال الفترة [٤٨١ - ٢٢١ ق.م] حيث تمزقت فيها تماما وحدة الصين وانتشرت في كل أرجائها الفوضى والدمار والفساد بسبب الحروب الطاحنة التي دارت رحاها بصفة مستمرة بين الممالك الصينية المنفصلة مما أدى إلى ارتفاع معدلات الجريمة بين أفراد الشعب الصيني الذي هلك من أثر هذه الحروب[٢] - وما حدث أثناء الثورة الشعبية التي اندلعت داخل الدولة الفارسية في عهد الملك [ارتحشستا الثالث] أوائل القرن الرابع قبل الميلاد وأطلق عليها [ثورة المرازبة الكبرى] حيث ارتفعت فيها معدلات الجريمة نتيجة الفوضى التي عمت معظم أرجاء الإمبراطورية الفارسية من أثر هذه الثورة التي لم تخمد إلى بصعوبة بالغة[٣] - وما حدث من فوضى وانحلال في بلاد الإغريق من أثر الحروب الشرسة التي دارت بين أثينا وأسبارطة وارتفعت فيها معدلات الجريمة وعلى الأخص بعد فشل معاهدة

---

١ - د. محمود السقا - تاريخ النظم القانونية والاجتماعية - مرجع سابق - ص ١٢٣.

٢ - تاريخ الصين - الجزء الأول - مرجع سابق - ص ١٧ وما بعدها.

3- Andre aymard . et jeannine Auboyer – op . cit – p 22

نيكياس عام ٤٢١ قبل الميلاد وهزيمة أثينا من أسبارطة[1] - وما حدث في روما من فوضى وفساد عندما ثار الشعب على الملك طاركوين الثاني وقتله بسبب تعسفه واستبداده في عام ٥٠٩ قبل الميلاد[٢]- والأمثلة التي تؤكد بأن اضطراب الأوضاع السياسية في المجتمع تؤدي إلى ارتفاع معدلات الجريمة كثيرة جدا وحدثت في معظم المجتمعات الحضارية التي ظهرت في شرق وغرب العالم القديم.

وعلى أساس هذا التقسيم النوعي للعوامل الخارجية قرر أنصار هذه النظريات عند تفسيرهم لظاهرة الإجرام بأن أي عامل خارجي من العوامل المدرجة في هذا التصنيف الخماسي يصلح بمفرده أن يكون الدافع أو المحرك الأساسي لسلوك أي إنسان نحو ارتكاب أي جريمة معينة مادام أن هذا العامل الخارجي يحيط بالإنسان ويؤثر على فكرة وشخصيته.

---

1 - M. Groiset - La civilisation de la Grece antique - Paris - 1932 - p. 9.

٢ - د. عمر ممدوح مصطفى - القانون الروماني - الطبعة الخامسة ١٩٦٥/١٩٦٦ - دار المعارف بالقاهرة - ص٢٤.

والعوامل الخارجية التي عرفت في مجتمعات العالم القديم . وأصبحت في حكم نظريات علمية في تفسير الظاهرة الإجرامية - هي تقريبا نفس العوامل الخارجية السائدة في عالم اليوم في تفسير السلوك الإجرامي عند أصحاب النظريات الحديثة - ولذلك لا يعتبر كل من إميل دوركهايم [Emile Durkheim] العالم الاجتماعي الفرنسي المعروف [١٨٥٨ - ١٩١٧م] - وجابريل تارد [Gabriel Tarde] العالم الاجتماعي الفرنسي المشهور [١٨٤٣ - ١٩٠٤م] - ووليام ادريان بونجر [William Adrian Bonger] العالم الاجتماعي الهولندي - وثورستن سيللين [Thorsten Sellin] عالم الاجتماع الأمريكي وغيرهم من الذين ظهروا في القرنين التاسع عشر والعشرين هم أول من أسسوا نظريات تسند السلوك الإجرامي إلى العوامل الخارجية المحيطة بالجاني[1]، وإنما تأسست هذه النظريات وتأصلت جذورها الفكرية في العصور القديمة.

١ - د. رؤوف عبيد - مبادئ علم الإجرام - مرجع سابق - ص ١٠٠ وما بعدها.

المبحث الثاني

أهم الأسس التي يستند عليها مذهب الفطرة الخيرة في تفسير ظاهرة الإجرام

جميع الفلاسفة القدماء الذين أسسوا مذهب الفطرة الخيرة قد اعتقدوا تماما بأن كل البشر طبيعتهم الإنسانية قد فطرت على الخير منذ مولدهم وخروجهم إلى الحياة – وأن الطبيعة الخيرة لأي إنسان لا تتحول إلى الشر إلا بعوامل خارجية طارئة عن أصل فطرته مثل الاختلاط مع المجرمين أو الأشرار أو التأثر بنوع من التربية الفاسدة او البيئة الغير صالحة أو غير ذلك من العوامل الخارجية العديدة التي قد تدفعه أو تغريه للوقوع تحت ربقه الانحراف وسلطان النزوات والشهوات.

ورغم أن هذا المذهب قد تعرض أيضا مثل مذهب الفطرة الشريرة للنقد شديد من جانب بعض الفلاسفة والعلماء القدامى وعلى رأسهم الفيلسوف الروماني **جالينوس** الذي كان يعمل طبيبا خاصا

للإمبراطور الروماني ماركيوس أوريليوس - على أساس أن مفاهيم هذا المذهب يترتب عليها مخالفات كثيرة للمألوفات العادية والمسلمات العقلية، لأنه إذا كان جميع البشر قد طبعت فطرتهم على الخير، وانتقل بعضهم إلى الشر بالتعليم، فمن الذي علمهم؟ فإن كان غيرهم فلابد أن يكون شريرا بطبعه، وبالتالي لا يمكن أن يكون كل البشر أخيارا بالطبع - ومن ناحية أخرى إذا كان بعض الناس قد تعلموا الشر من أنفسهم فإن معنى ذلك أما أن يكونوا أشرارا بالطبع إذا كان فيهم ميل للشر فقط وأما أن تكون طبيعتهم قد توسطت بين الخير والشر إذا كان فيهم ميل للشر إلى جانب الخير وفي الحالتين لا تكون طبيعتهم قد فطرت بالكامل على الخير[1].

إلا أن هذا النقد لم يستطع أن يهدم أساسيات هذا المذهب الذي انتشر مفهومه في معظم مجتمعات العالم القديم بعد أن تأصلت جذوره بفكر وآراء فلاسفة الأخلاق والتوحيد الذين يعتبرون من أعظم فلاسفة العصور القديمة مثل اخناتون وبوذا وكونفوشيوس

---

١ - د. محمد بيصار - العقيدة والأخلاق - مرجع سابق - ص٢٠٠، ص٢٠١.

وزرادشت وسقراط ... والتي أهمها يتلخص في الآتي:

١- أن مفهوم الوحدة الإنسانية لجميع البشر الذي نادى به فلاسفة هذا المذهب على مر العصور القديمة يتفق مع مفهوم الطبيعة المتحدة لكل البشر في مذهب الفطرة الخيرة، لأن الوحدة الإنسانية في اعتقاد هؤلاء الفلاسفة كانت تعني أن جميع البشر طبيعتهم الإنسانية واحدة.

٢- مفهوم الإنسانية روح واحدة وجسدا واحدا في فكر هؤلاء الفلاسفة يعني تحديداً أن كل البشر متساوون في الحقوق والواجبات وفي كل شيء في هذا العالم الحي باعتبار أن طبيعتهم الإنسانية واحدة.

٣- مبدأ الأخوة الإنسانية الذي اعتقده هؤلاء الفلاسفة في منحاهم الفكري يعني أن طبيعة كل البشر مفطورة على الخير - لأن الأخوة في الفكر الفلسفي القديم كانت تتضمن المحبة والإخلاص والترابط والتضامن الوثيق، وكل هذه الصفات تحوي في كيانها الخير ذاته وليس دون ذلك، فكون الإنسانية قد وجدت في هذا

الكون على مبدأ الأخوة يعني أنها قد تأسست طبيعتها على الخير.

٤- فكرة ضم الإنسانية كلها في وفاق مع الله التي شغلت فكر هؤلاء الفلاسفة لوضع ملامح الطريق الصحيح للحياة البشرية ... يعني أنه يجب على جميع البشر سلوك طريق الخير الذي فطروا عليه من خلال الوفاق مع الله الخالق الأعظم - لأن الوفاق مع الله الخالق الأعظم يقوي طبيعتهم الخيرة، ويبعدهم عن الانحراف والفساد، ويجعل أرادتهم قوية دائما مع الحق ولا تنزلق أبدا نحو النزوات والشهوات والإجرام أو كل أمور الشر عموما[1].

••• ومن خلال تلك المفاهيم قد قام الفلاسفة الأوائل الذين أسسوا هذا المذهب بتفسير الظاهرة الإجرامية أو ظاهرة السلوك الإجرامي تفسير فلسفيا يتلخص في الآتي :-

١- الطبيعة الخيرة التي فطر عليها جميع البشر عند ميلادهم، نقية تماما ولا يوجد بها أي أثر للشر - أي

1- Henry Thomas - THE great Philosophers - Op - Cit - pp 413 - 419

- رو ص - وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة - مرجع سابق - ص ٧ وما بعدها.

- Boel Rekrar - Readings in Existential Phenomenology - ed - Laurence and D'O'connor - New York - 1967 - p 390.

أن طبيعة كل إنسان عند مولده مليئة بالخير وصافية تماما من كل عوامل الشر.

٢- الطبيعة الخيرة التي ولد بها كل البشر - ليست صلدة، ولا تملك القوة بمفردها على أن تظل صافية وتجعل الإنسان يعيش طوال حياته خيرا بالطبع، وإنما لابد أن تساندها عوامل أخرى خارجية مثل التربية الحسنة والتعليم النافع والتهذيب الصالح والتلقين المستمر بالقيم والمبادئ الدينية والأخلاقية والوفاق الدائم مع الله الخالق الأعظم لهذا الكون وما فيه - وذلك لكي يتم صيانتها ويمنع تعكرها بعوامل الشر سواء كانت هذه العوامل بعيدة أو قريبة من محيط حياة الإنسان في المجتمع الذي يعيش فيه .

٣- الدوافع الأساسية التي تحرك سلوك الإنسان نحو ارتكاب الجرائم وكل عوامل الشر مصدرها نابع فقط من العوامل الخارجية الفاسدة - وأن هذه العوامل لديها من القدرة في حالة عدم التصدي لفسادها أن تؤثر على الطبيعة الخيرة لأي إنسان وتحوله إلى مجرم أو شرير.

٤- الإنسان الذي تعكرت طبيعته الخيرة وأصبح مجرم أو شرير - من الممكن علاجه وإصلاح طبيعته

وجعلها تعود إلى أصلها صافية ومليئة بالخير، إذا أمكن إزالة العوامل الخارجية الفاسدة من حوله واستبدالها بعوامل أخرى صالحة تهديه إلى الحق وحسن الصواب.

٥ - البيئة الطبيعية والاجتماعية التي تحيط بالإنسان أقوى من طبيعته الخيرة لأنها هي التي تؤثر فيه ولا يؤثر هو فيها فإذا كانت فاسدة حولته إلى مجرم أو شرير وإذا كانت صالحة جعلته يستطيع أن يحافظ ويصون ويصقل طبيعته الخيرة ويعيش طوال حياته إنسانا تقيا وعفيفا وصالحا.

٦ - إذا استطاعت العوامل الخارجية الفاسدة أن تؤثر بفاعلية في الطبيعة الخيرة لشعب ما وجعلت عدد المجرمين فيه يزيد عن عدد الأخيار كتب على هذا الشعب الدمار والفناء، لأنه لا حياة لشعب في مجتمع تغلبت فيه الجرائم والانحراف والفساد وكل عوامل الشر على الرحمة والفضيلة والحق والعدل وكل أمور الخير - وقد عبرت عن ذلك صراحة الفلسفة **الكونفوشيوسية بالقول إذا فسدت الأخلاق فسدت الأمة معها**، ويحتمل أن يكون شاعر النيل المصري **أحمد شوقي** قد تأثر بهذه الحكمة ودفعته ليقول أجمل وأروع

أبيات شعره وهو [وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا] - كما عبرت عن ذلك أيضا الفلسفة البوذية والزرادشتية والسقراطية والرواقية[١]

٧ - الاستقامة والسلوك السليم هو الأساس في طبيعة الإنسان لأنه مفطور على الخير - والانحراف أو الجنوح نحو ارتكاب الجرائم أو الشر عموما شاذ عن أصل طبيعة الإنسان، لذا فإن الانحراف أو الإنعواج في السلوك لا يحدث إلا عندما يتأثر الإنسان أثناء حياته بالعوامل الخارجية الفاسدة التي تطفح من البيئة الاجتماعية والطبيعية الغير صالحة التي تحيط به ويندمج في معيشته معها.

٨ - الأصل أن ضمير جميع البشر سليم تماما من أي أمراض لأنه يتوافق في حركته السوية مع أصل طبيعتهم الخيرة التي فطروا عليها ولذا فإن الأفراد الذين يتحولون إلى مجرمين أو أشرار نتيجة تأثرهم

---

١ - ول ديورانت - قصة الحضارة الجزء الرابع - مرجع سابق - ص ٦٢ وما بعدها.

- د. محمد بيصار - العقيدة والأخلاق - مرجع سابق - ص ٢٢٦ وما بعدها.

- مذكرات د. أحمد جاد المولى عن مفهوم الخير - طبعة ١٩٥٦ - ص ٥ وما بعدها.

- Boulger D.C. - History of China - London - 1952 - pp 60 - 70 .
- Wilhelm R- short History of chinese civilization - Paris - 1955 - pp 50 - 62.
- Henry Thomas - The Great Philosophers - Op Cit - pp. 18 ets.
- M. Granet . Chinese Civilization - New York - 1930 - pp 63 - 69.

بالعوامل الخارجية الفاسدة تظل ضمائرهم في بداية هذا التحول سليمة لأنهم يشعرون بالندم والألم من نتيجة أفعالهم - أما إذا استمروا في ارتكاب الجرائم دون أي مقاومة أو ردع يرهبهم ويوقف أعمالهم الدنيئة أي تمكن الإجرام منهم وأصبح في حكم المألوف لهم ارتكابه دون خوف أو رهبة فإن ضمائرهم في هذه الحالة تتأثر وتصاب بمرض عدم الإحساس بالمسئولية وعلى أثر ذلك لا يشعرون في معظم جرائمهم بأي ندم أو أي ألم من النتائج السيئة التي تحدث من جرائمهم.

وهذا المرض يمكن الشفاء منه بسهولة تامة من خلال التخلص من العوامل الخارجية الفاسدة التي تسببت في عوج السلوك وغرس عوامل أخرى صالحة بدلا منها تنعش الفطرة الخيرة من غفوتها وتدعمها وتصقلها بكل أمور الخير التي تصونها من براثن الشر [١] . ولكن إذا اشتدت حدة هذا المرض في المجرمين الذين يرتكبون جرائم الاعتداء على الأشخاص وكان يطلق عليهم قديما أعداء البشر

---

١ - د . محمود عز العرب السقا - أضواء على فلسفة العقوبة العظمى (عقوبة الإعدام) مرجع سابق - ص٤٩

[والطب النفسي الحديث يطلق عليهم مرضى السادية] فإن العلاج هنا لا يكون صعب مثل ما يعتقده أنصار مذهب الفطرة الشريرة وإنما يحتاج أمام خطورة هذا المرض إلى جهود إصلاح مكثفة ومستمرة حتى يشفى منه المجرم ويعود إلى أصل فطرته الخيرة التي طبع عليها وضميره السليم النقي من جراثيم أمراض عدم الإحساس بالمسئولية[١].

وعلى هذا الأساس يعتقد أصحاب مذهب الفطرة الخيرة عند تفسيرهم للظاهرة الإجرامية بأن الدوافع أو المؤشرات التي تحرك سلوك الإنسان نحو ارتكاب الجرائم مصدرها الأساسي نابع من العوامل الخارجية التي تكمن في البيئة الطبيعية والاجتماعية الفاسدة التي تحيط بالإنسان - ولا توجد علاقة مطلقا بين العوامل الداخلية الخاصة بالإنسان أو بشكله أو بتكوينه العضوي وبين السلوك الإجرامي، وإن العوامل الخارجية أقوى من العوامل الداخلية لأنها تؤثر فيها بفاعلية فإذا كانت صالحة تصون وتدعم

---

2 - J. C. Flugel - Man , Morals and Society - Op Cit - pp 166 - 187
- J. C. Flugel - Feeling and the hormic Theory op . cit - 1940 - pp 5 ets.
- Ernest Jones - the origin and structure of the super. Egs - London - 1926 - pp 7 ets.

- رو صن - وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة - مرجع سابق - ص ٣ وما بعدها.

وتصقل الفطرة الخيرة ويصبح الإنسان طوال حياته خيرا بالطبع وإذا كانت فاسدة فإنها تحول الإنسان الخير بالطبع أثناء حياته إلى إنسان شرير أو مجرم، ولكن هذا التحول لا يعني عند أصحاب هذا المذهب أن الإنسان قد أصبح شريرا أو مجرما بالطبع وإنما بالاكتساب فقط أي أن ما يحمله من إجرام أو شر غير أصيل فيه بل اكتسبه من العوامل الخارجية الفاسدة التي توجد في البيئة الطبيعية والاجتماعية الغير صالحة والتي تحيط به، ولذا فإنه يمكن علاجه وإرجاعه إلى أصل فطرته الخيرة إذا انتزع من هذه البيئة العكرة المليئة بجراثيم الإجرام والشر ووضع في بيئة أخرى صالحة وتم تهذيبه وتلقينه بالقيم والمبادئ الدينية والأخلاقية بصفة دائمة ومستمرة طوال حياته.

وهذا التفسير يتعارض تماما مع تفسير أصحاب مذهب الفطرة الشريرة [الذي سبق أن أوضحناه في الباب الأول] حيث يعتقدوا أن كل البشر مفطورين على الشر وأن ما فيهم من خير غير أصيل واكتسبوه من العيش في بيئة طبيعية واجتماعية صالحة ومليئة بالقيم والمبادئ الفاضلة(١).

1- M . Granet - Chinese Civilization, - Op . Cit . 1930, pp 77 ets
- Wilhelm R. Stort History of Chinese civilization - Op. Cit - pp 2, 4 ets.

وطبقا لاعتقاد أصحاب مذهب الفطرة الخيرة في العصور القديمة يتضح أن الأشخاص الذين يتحولون بأثر العوامل الخارجية الفاسدة من أخيار بالطبع إلى مجرمين أو أشرار يحملون عندهم صفات قريبة الشبه من صفات بعض المجرمين في التصنيفات الحديثة التي أعدها بعض علماء علم الإجرام في القرنين التاسع عشر والعشرين الميلادي مثل المجرمين بالصدفة في تصنيف المجرمين عند سيزار لمبروزو، والمجرمين الوقفيين في تصنيف المجرمين عند العالم الألماني متزجر [Mezger]، والمجرمين العرضيين في تصنيف المجرمين عند العالم الإيطالي ديتوليو - وذلك لأن هؤلاء العلماء يروا أن ظاهرة الإجرام بالنسبة لأصناف هؤلاء المجرمين لا علاقة لها بالعوامل الداخلية وإنما هي وليدة العوامل الخارجية الفاسدة مثل الاختلاط الضار والقدوة السيئة والأنماط التربوية المضللة والجهل والفقر والتلقين الفاسد إلى جانب البيئة الطبيعية القاسية والظروف السياسية المضطربة في المجتمع كحالة الحكم الفاسد وحالة الحرب وحالة الثورة والانتفاضات الشعبية، وغير ذلك من العوامل الخارجية الفاسدة التي ليست على سبيل الحصر الآن في ظل الظروف المستحدثة التي تطرأ بين الحين والآخر في عالم اليوم(١).

---

١ - د. رؤوف عبيد - مبادئ علم الإجرام - مرجع سابق - ص٣٥٩ - ص٣٧٥.

الفصل الثاني

أهم فلاسفة العالم القديم المؤسسين لمذهب الفطرة الخيرة والمفسرين لأثر العوامل الخارجية فى السلـوك الإجرامي

تقديم :

لكي نثبت ما سبق أن عرضناه في الفصل الأول من هذا الباب بأن المجتمعات الحضارية القديمة قد ظهرت فيها مفاهيم مذهب الفطرة الإنسانية الخيرة وتفسيرات في ضوء هذه المفاهيم تشير إلى أن السلوك الإجرامي وليد دوافع نابعة من العوامل الخارجية الفاسدة فقط وليس أي عوامل أخرى أي لا توجد علاقة بين ظاهرة الإجرام وبين العوامل الداخلية الخاصة بالإنسان أو بشكله أو بتكوينه العضوي، وبأن هذه العوامل الخارجية لديها القدرة على أن تؤثر على سلوك الإنسان وتحوله من إنسان مطبوع على الخير إلى إنسان مجرم أو شرير - سنعرض في هذا الفصل موجز عن أهم الفلاسفة الذين ظهروا في العالم القديم وأسسوا مذهب الفطرة الخيرة، وقاموا في ضوء اتجاهات ومفاهيم هذا المذهب بتفسير الظاهرة الإجرامية من خلال أثر العوامل الخارجية في السلوك الإجرامي - وحتى يكون عرضنا متوافق مع التسلسل الزمني لظهور هؤلاء الفلاسفة في شرق وغرب العالم القديم سنعرضهم حسب الترتيب الزمني لتاريخ ظهور منهجهم الفلسفي.

اخناتـــون

فيلسـوف مصـري ومــن أعظــم ملــوك الأسـرة الثامنـــة عشر فـــي عصــر الدولــة الحديثــة الــذي يطلــق عليــه العصــر الإمــبراطوري لمصــر القديمـــة - ظــهر حوالـــي عـــام ١٤٠٠ قبـل الميـلاد والاسـم الحقيقـي لــه [أمنحتـب الرابـع] واتخـــذ لنفسـه اسـم [اخنــاتون] ومعنـــاه [مكــرس لله أو خـــادم لله] - تــأثر بفكـر الفلاسـفة المصريـين الذيـن سـبقوه مثـل أبـــوور وبتــاح حتــب ، كمــا تــأثر بأفكــار ومضمــون وحكمــة { كتــاب طيبــة عــن الموتــى } ، وأصبــح مــن خــلال ذلــك مــن أشــهر فلاســفة العــالم القديــم، وأول فيلسـوف فــي العــالم يصنــع نــواة أســمى إدراك للفكــر البشــري [إلــه واحــد - عـــالم واحـــد - قــانون عــالمي واحــد - توافــق البشــر علــى نظــام واحـــد] .
ويعتبر اخنـــاتون أيضـــاً أول مــن عــبر بصــدق وإيمــان عميــق عــن مفــهوم القــوة العلويــة فــي إطــار فلسـفي عــن التوحيـــد [Monotheism] المرتبـط بـالأخلاق والفضيلـــة ممـــا جعـــل الفلاســفة الذيــن ظــهروا بعــده علــى مــر العصــور المختلفـــة وحتــى عــالم اليــوم يعتبرونــه أول مــن أســس فـــي تـــاريخ الإنســانية التعبــير الصـــادق عـــن القـــوة العلويـــة وارتباطـــها فكرياً بفلســـفة الأخــلاق، كمــا تعتــبر فلسـفته عـن فكـرة الإلـــه الواحد فـــي كــل شــيء [أي ألوهيــة الكــون] المصــدر الأساســي للفلســفة الحلوليــة [Pantheism] التــي عــبر عنــها الفيلســـوف

الهولندي باروخ سبينوزا [١٦٣٢ - ١٦٧٧م] حيث رسم لله صورة تجمع الكمال كله في الكون، وبأنه امتداد في خلق كل شيء وفكر واضح في إنارة كل العقول البشرية نحو الحق والعدل والفضيلة والخير كله[١].

من خلال منهج أخناتون الفلسفي يتضح أنه أول من أسس مذهب الفطرة الخيرة - حيث قرر صراحة بأن جميع البشر قد خلقوا وطبيعتهم الإنسانية [Human Nature] مفطورة على الخير، وأن الشر عامل خارجي طارئ على أصل وحقيقة الفطرة. وعلل ذلك بالقول **[أن جميع البشر قد خلقهم الإله الواحد العظيم إله الحق والعدل وجامع كل الخير، فلا يمكن أن يخلقوا بعد ذلك إلا وطبيعتهم مفطورة على الخير لأن الأصل الخير لا يمكن أن يطرح إلا طبائع خيرة]** [٢] - وعبر عن ذلك في مضمون قصيدة شعرية أهداها إلى بهاء الله الواحد وهي تعتبر الآن من أهم أناشيد العالم السامية.

---

1 - Henry Thomas. The Great Philosophers - Op. Cit - pp 11,12

- د. علاء الدين عبدالمحسن شاهين - رؤية مصر لجيرانها في الشرق الأدنى - من واقع النصوص المصرية القديمة - بحث منشور بمجلة المؤرخ العربي - العدد الثامن - المجلد الأول - مارس ٢٠٠٠ - ص٢٢.

- Andre Aymard et jeannine Auboyer - Histoire Generale des civilisalions - Op. Cit - P 97.

٢ - د. نور الدين اشراقية - معركة الحياة - مرجع سابق - ص ٢٢٣.

- J. vandier - La religion egyptienne - Paris - 1949 - pp 16 - 19.

* أيها الإله الحـي يـا مبـدع الحيـاة
إشـراقك جميـل فـي أفـق السـماء
* لقـد خلقـت كـل الأشيـاء
وتسـير كـل شـئ حسـب مشـيئتك
* إنك تربـط جميـع الأقطـار والأمـم
بربـاط محبتـك
* تضئ الأرض عندمـا يـبزغ نـور فجـرك
فتصحـوا الأرض مـن نومـها مبتهجـة
* وترفـع جميـع المخلوقـات أصواتـها .
بأنشودة العبادة لك يا مصدر النور الضياء كل الأشـياء
* الحيـة علي الأرض وفي الجـو والبحـر
تملـئ جوانبـها بلـهب مجـدك
* أنـت خالـق النبـات فـي الأرض
والبـذور فـي الأرحـام
* أنـت قـد غرستهـا
وأخرجتـها إلـي الحيـاة
* عندمـا يتحرك جنيـن الطـير فـي بيضتـه
تمنحه الأنفاس ليكسر قشـرتها ويخـرج إلـي الضـوء
* كـل شئ حـي وأنـت حياة العالم
كـم مـن العجـائب تصنعـها أيـها السـيد
* الإلـه الواحـد الحـي
لجميـع مـا فـي الكـون
* أنـت الأب المحـب للنـاس جميعـا
فـي جميـع أقطـار الأرض [1]

1- Henry Thomas - The Great Phelosophers - Op . Cit - PP. 13, 14

- أنظر أيضاً مؤلفنا - الجرائم العدوانية عن حقوق الوحدة البشرية في العصور القديمة - طبعة ١٩٩١ - دار النهضة المصرية - ص

ولذلك فقد أرجع إخناتون جنوح الإنسان نحو الجريمة أو انحرافه نحو الشر إلى العوامل الخارجية التي تحيط به والبعيدة تماماً عن أصل طبيعته الخيرة وذلك مثل الفقر والظلم والاستبداد والتعليم الفاسد. والتلقين المضلل والاختلاط السيئ والطبيعة القاسية والسير وراء الخرافات والأوضاع المخلة بأمور المعيشة وحكمة الحياة، وجميع هذه العوامل لا علاقة بينها وبين الشخصية الذاتية للإنسان أو بشكله أو بتكوينه العضوي، وإنما لها من القدرة أن تؤثر عليه وتحوله إلى مجرم أو شرير إذا انغمس فيها، وأفتقر إلى العوامل الحسنة التي تدعم أصل فطرته وتصقلها وتنميها بصفة دائمة ومستمرة طوال حياته[1].

وإذا كان إخناتون قد أشار في منحاة الفكري بأن العوامل الخارجية الفاسدة التي تحيط بالإنسان عديدة ومتنوعة إلا أنه قد ركز صراحة على أربع عوامل رئيسية واعتبرها من أهم العوامل الخارجية التي تدفع أو تحرك بفاعلية سلوك الإنسان نحو الجريمة أو الشر عموما وهي كالآتي:

١ - نظام الحكم الفاسد: على أساس أن فساد نظام حكم الملك وحاشيته يولد لدى الشعب الإحساس بالظلم والاستبداد والطغيان ... الخ ، وهذه العوامل قد تدفع

---

١ - د. محمد أبو زهرة - مقارنات الأديان - الديانات القديمة - طبعة ١٩٦٥ م - دار الفكر العربي بالقاهرة - ص ٢٠.

هـذا الشـعب إلـى الثـورة أو التمـرد مـن أجـل التخلـص مـن هـذا الملـك وحاشـيته ، والثـورات وحـالات التمـرد قـد تحـرك سـلوك بعـض الأفـراد نحـو ارتكـاب بعـض الجرائـم مثـل القتـل والسـرقة والإتـلاف والحريـق العمـد..

٢ - **المجتمـع الفاسـد**: باعتبـار أن هـذا المجتمـع تغيـب عنـه القوانيـن العادلـة والقيـم والمبـادئ الأخلاقيـة الحسـنة، وتنتشـر فيـه الفوضـى والانحـلال وكـل أمـور الفسـاد، فـتزداد الجرائـم فـي كـل أرجائـه، كمـا يقضـي القـوي علـى الضعيـف، وعندمـا ينتـهي الضعفـاء يتصـارع الأقوياء كأنهم في غابة كـل واحـد منـهم يحـاول بكـل مـا يملك أن يفـترس الآخريـن.

٣ - **اعتنـاق الخرافـات المضللـة**: لأن هـذه الخرافـات تجعـل من يعتنقـها يعيـش فـي جـهل وعـدم تكييـف مـع البيئـة الطبيعيـة والاجتماعيـة الصالحـة وهـذا قـد يدفعـه إلـى الجنـوح نحـو ارتكـاب الجرائـم غـير مـدرك للعواقـب التـي تنتـج عنـها سـوى أنـه يرضـى مـا اعتنقـه مـن خرافات أو أوهام مبعثـها لا يطفـح غـير الشـر.

٤ - **تعـدد الآلهـة**: وذلـك لأن تعـدد الآلهـة تجعـل البشـر يعيشـون فـي صـراع وتنـاحر، وتبعدهـم عـن وحدتـهم الإنسـانية، وينغمسـون فـي الكفـر وينكـروا وحدانيـة خالقـهم وخـالق هـذا الكـون كلـه ومـا فيـه مـن أشـياء

ومخلوقات. وهذه الأمور تدفعهم نحو ارتكاب الجرائم وكل أمور الفساد والضلال أو كل عوامل الشر - ولذلك فقد أمر اخناتون بتحطيم جميع التماثيل المقامة للآلهة العديدة التي كانت منتشرة في المجتمع المصري القديم، كما أمر بغلق جميع معابد هذه الآلهة في كافة أنحاء البلاد، وقام بثورته الدينية والأخلاقية التي ركز فيها على عبادة الإله الواحد خالق جميع البشر وكل ما في الكون ليضع حدا للفساد والشعوذة التي انتشرت في البلاد نتيجة لتعدد الآلهة[1]، وهجر على إثر ذلك مدينة طيبة لأنه اعتبرها نجسة من أثر الشعوذة والكفر الناتج من تعدد الآلهة ، وبني لنفسه عاصمة جديدة أطلق عليها اسم [مدينة الله] ازدهرت فيها أفكاره حتى أصبحت مركز رائعاً لعقيدة التوحيد وفلسفة الأخلاق وكل أمور الأدب والفن والفكر النافع.

تعرض إخناتون لمعارضة شديدة من جانب كهنة الآلهة المتعددة ووقفوا له بالمرصاد وتحالفوا ضده حتى تمكنوا

---

1 - Henry Thomas - The great Philosophers - Op. Cit - pp 12,14
- Conrad zucker - psychologie de la superstition - Paris - 1952 - pp 9 - 13
- Andre Aymard et jeannine Auboyer - Histoire Generale Des civilisations - Op. Cit - 98
- J. Vandier - la relegion egyptienne - Op. Cit - pp 21 - 27
- د. محمد أبو زهرة - مقارنات الأديان - مرجع سابق - ص ٢١.
- د. نور الدين إشرافية - معركة الحياة - مرجع سابق - ص ٢٢٥.

في النهاية من إسقاطه وقتله وهو في عامة الثلاثين، واستولوا على أمور الحكم في البلاد - وفي ذلك يقول الفيلسوف الأمريكي هنري توماس **[إن هدف إخناتون كان من أجل نشر عقيدة التوحيد بالإله الواحد ووضع حداً للجرائم والفساد وكل أمور الشر في المجتمع المصري، وبالرغم أنه لم يتعد الثلاثين عاماً عند وفاته إلا أنه قد خلف وراءه ميثاقاً رائعاً للحكمة يصلح لكل العصور - فقد مات في سن مبكر، وكان شهيداً للحق والعدل مثل اشعياء وسقراط ولميس]**[1]

- وعلي هذا الأساس يعتبر أخناتون أول من أسس في تاريخ البشرية مذهب الفطرة الإنسانية الخيرة - وأول من قام في ضوء مفاهيم هذا المذهب بتفسير ظاهرة الإجرام من خلال أثر العوامل الخارجية في السلوك الإجرامي - كما يعتبر أيضاً من أوائل فلاسفة الشرق والعالم القديم الذين اتجهوا بفكرهم الفلسفي صوب الإنسان .

---

2 - Henry Thomas - The great philosophers - Op - Cit p12.

بوذا

فيلسوف هندي ولد في عام ٥٦٣ قبل الميلاد في بلدة على حدود نيبال - ويقال أنه كان من أسرة نبيلة وعاش طفولته وشبابه في سعادة ونعيم كما كان يحمل الكثير من الثروة والجاه وحصل على لقب أمير، وتزوج بعد أن بلغ التاسعة عشر من عمره.

عندما وصل سنة إلى التاسعة والعشرين هجر زوجته وانصرف إلى الزهد والتأمل، وخرج هائماً في الأحراش والغابات والكهوف راغباً عن حياة الترف وملاذ الدنيا وغير مهتم إلا بالتأملات في الكون وحكمة الوجود في الحياة الإنسانية وبعد أن استمر على هذا الاعتكاف ست سنوات وبلغ السادسة والثلاثين من عمر شعر بدفء التأمل وأحس بأن نور المعرفة والعلم والحكمة قد أشرق في نفسه وقلبه - فاتخذ لنفسه مذهباً دينياً وأخلاقياً دعا إليه بصدق عن طريق القول المقنع والعمل الصالح، وهذا المذهب قد تأسست عليه بعد ذلك الديانة البوذية وفلسفة الأخلاق المستمدة منها[1]

والاسم الحقيقي لبوذا هو [سداتنا]، واسم أسرته [جوتاما] واسم أمه [مايا]، واسم والده [شاكمين] - أما

---

١ - د. محمد أبو زهرة - مقارنات الأديان - الديانات القديمة - مرجع سابق - ص٥٣.

اسم بوذا فهو عبارة عن لقب أدبي ومعناه [العالم] كما كان يطلق عليه لقب آخر وهو [سكياموني] ومعناه [المعتكف] بعد أن أصبح على قدر هائل من العلم والحكمة والفلسفة من خلال الدراسة والبحث العميق عن حقائق الأمور بالتجربة والمقابلات والحوار مع أصحاب الآراء المختلفة من العلماء والمفكرين الذين عاصروه في الهند القديمة، كما أنه كان على جانب عظيم من طيبة النفس وحسن الخلق ولطف المعشر، وأن إرادته القوية وإيمانه العميق بالقيم والمبادئ الأخلاقية ومحبته الجامعة لكل البشر جعلته عفيف النفس وينتصر دائماً على لذاته انتصاراً عظيماً[١].

ومن المبادئ الإنسانية الهامة التي دعا إليها بوذا بكل قوة وكانت لها صدى رائع وعميق في نفوس معظم شعوب العالم القديم وعلى الأخص شعوب مجتمعات جنوب شرق آسيا، هي إلغاء نظام الرق ونظام تعدد الطبقات في المجتمع حيث اعتبر جميع البشر سواسية ولا توجد بينهم أي فروق - كما أنه قد أشار في تعاليمه بأن الإنسان إذا أصيب بكارثة أو بمرض أو بفقر فإن ذلك يدل على أنه قد ارتكب آثاماً معينة، وأن ما حدث له جزاء على هذه الآثام[٢].

---

1 - Henry Thomas - The Great Philosophers - Op. Cit - pp 33 - 36.

2 - Masaharu Anesaki - History of japanese Religion with special reference to the social and Morals – life of the nation, charles E . Tuttle company . tokyo – japan, U.N. university 1980 - p 25 .

أشار بوذا من خلال فلسفته الدينية والأخلاقية الرائعة واعتناقه العميق لمبدأ الأخوة الإنسانية، بأن كل إنسان في هذا العالم الحي قد ولد وفطرته مطبوعة تماماً على الخير، وأن الشر طارئ ووليد عوامل خارجية فاسدة بعيدة تماماً عن أصل فطرته - وأن هذه العوامل الفاسدة لها من القدرة في حالة عدم التغلب عليها أن تدفع أو تحرك سلوك الإنسان نحو ارتكاب الجرائم والرذائل وكل أمور الشر - وأمام خطورة ذلك قد ركز في فلسفته وتعاليمه على ضرورة الاهتمام بتدعيم الأسس الأخلاقية في كيان كل إنسان من أجل صيانة طبيعته الخيرة من الفساد والانحراف حتى يبتعد عن الجرائم وكل عوامل الشر، ويعم الخير على كل الناس، ولذا فقد استند بوذا في تأصيل مذهبه الأخلاقي على السلوك القويم للإنسان - وذلك من أجل أن يدعم كل فرد نفسه بالأخلاق الفاضلة حتى يصون طبيعته الخيرة ويعيش في هناء وسعادة ويتجنب الجرائم وكل عوامل الشر[١].

ورغم أن بوذا قد أشار إلى العديد من العوامل الخارجية الفاسدة التي تحيط بالإنسان وتؤدي إلى انحرافه وتحويله إلى إنسان مجرم أو شرير، إلا أنه قد ركز على

---

١ - د. نور الدين إشرافية - معركة الحياة - مرجع سابق - ص٢٢٦.

- Shrirama - indradeva - Growth of legal system in indian society . London - 1983 - pp 125 - 133.

ثلاثة منها واعتبرها أهم وأخطر هذه العوامل التي تؤثر عليه وتدفعه إلى الإجرام وكل عوامل الشر وهي تتلخص في الآتي:

١ - **الاستسلام للملذات والشهوات:** حيث اعتبر عدم القدرة على مقاومة إغراء الملذات والشهوات والانغماس فيها يسبب الانحراف ويدفع سلوك الإنسان نحو ارتكاب الجرائم وكل عوامل الشر، كما يولد بينه وبين الآخرين الكراهية والحقد بدلاً من المحبة والإخاء، مما يجعل حياته مسمومة ومليئة بالرذيلة وأمور الفساد.

٢ - **الجهل وعدم المعرفة :** حيث اعتقد بأن الافتقار إلى العلم وعدم المعرفة بأمور الحياة يصيب عقل الإنسان بالتبلد والغباء وعدم إدراك الأمور على الوجه الصحيح، وهذا يفقده القدرة على التميز بين ما هو خير وما هو شر، ويدفع سلوكه نحو الانحراف وارتكاب الجرائم والرذائل.

٣- **الابتعاد عن الإيمان والفضيلة :** حيث اعتبر أن عدم إيمان الإنسان بالعقيدة الدينية السليمة واعتناقه للقيم والمبادئ الأخلاقية المستمدة منها يجعله مشتت الفكر وغير صادق مع نفسه وسيئ النية مع الآخرين -

وهذه الأمور الفاسدة قد تدفع سلوكه لارتكاب الجرائم وأعمال الشر[١].

وقد أوضح بوذا بأن الخطة المقدسة لعلاج هذه العوامل الفاسدة وإصلاح أخلاق كل البشر لكي يعيشوا في هناء وسعادة ويبتعدوا عن ارتكاب الجرائم والرذائل وكل عوامل الشر تعتمد على حقيقة وجودنا في هذه الحياة وتتضمن ثمانية وجوه هي كالآتي:

١ – تعلم كيف تفهم نفسك.

٢ – كن صبوراً.

٣ – تحدث في رفق.

٤ – كن في فعلك نبيلاً.

٥ – أعمل بأمانة .

٦ – أبذل جهودك في كل حين.

٧ – كن سريع الاستجابة لحاجات الآخرين.

٨ – لتكن نظرتك إلى العالم رحيمة.

ولخص بوذا هذه الوجوه الثمانية في ثلاث كلمات هي [الشفقة، والتقوى، والمحبة] [٢].

---

١ – د. نور الدين إشراقية – معركة الحياة – مرجع سابق – ص٢٢٦.

- Masaharu Anesaki - History of japanese ... op. Cit . p 25
- Shrirama indradeva - Growth of legal system in indijan society - Op. Cit pp 137 - 141.

2- Henry Thoma - The great Philosophers - Op.Cit - p 44.

وذكر بوذا أيضاً عشر وصايا تمكن الشخص الذي يأخذ بها من القدرة التامة على ضبط سلوكه والتحكم التام في إرادته ليتجنب ارتكاب الجرائم وكل عوامل الشر - وهذه الوصايا قد وضعها كأساس للأخلاق الفاضلة وهي كالآتي:

١ - لا تقتل أحداً ، ولا تقضي على حياة حي

٢ - لا تأخذ ما لا يقدم إليك، فلا تسرق ولا تغتصب.

٣ - لا تكذب، ولا تقل قولا غير صحيح.

٤ - لا تشرب خمراً، ولا تتناول مسكراً ما.

٥ - لا تزن، ولا تأت أي أمر يتصل بالأعضاء التناسلية إذا كان محرماً.

٦ - لا تأكل طعاماً نضج في غير أوانه.

٧ - لا تتخذ طيباً، ولا تكلل رأسك بالزهر.

٨ - لا ترقص، ولا تحضر مرقصاً ولا حفل غناء.

٩ - لا تقتن فراشاً وثيراً، ولا تقتن أرائك فخمة، ولا وسائد ولا حشايا وثيرة.

١٠ - لا تأخذ ذهباً ولا فضة لتتحلى بها.

وقد أدت هذه الوصايا نتيجة لما جاء فيها من شدة النهي إلى انقسام الذين اعتنقوا البوذية إلى قسمين - **القسم الأول هم:** هم البوذيون الدينيون الذين أخذوا بالوصايا العشر كلها ولم يحيدون عنها أبداً طوال حياتهم، **والقسم الثاني:** هم البوذيون المدنيون الذين لم يطبقوا الوصايا العشر كلها بل أخذوا طريقاً وسطاً ليس

فيـه إفـراط ولا شـدة حيـث اكتفـوا بتطبيـق الوصايـا الخمـس الأولى فقط وهـي النـهي عـن القتـل والسـكر والسـرقة والكـذب والزنـا، ولـم يطبقـوا الوصايـا الأخـرى واعتبروهـا خاصـة بالمتدينين فقـط(١).

وإذا كانت فلسـفة بـوذا قـد نبعـت مـن العقيـدة الدينيـة، فإن هذه العقيـدة هـي التـي جعلتـها تسـتقر بقـوة وروعـة فـي قلب كل معتنقيـها - وفـي ذلـك يقـول العـالم الأمريكـي **جـورج سـارتون** فـي كتابـه عـن **[تـاريخ العلـم]** بـأن ارتبـاط الديانـة البوذية بـالأخلاق كـان ارتبـاط وثيقـاً، ولا يمكـن التعبيـر عـن أحدهمـا دون الأخـرى، وأنـه فـي ذات مـرة قـد التقـى حكيـم هندي ب**سـقراط** فـي أثينـا وسـأله [أنـك تدعـو نفسـك فيلسـوفاً، فبماذا تشـتغل، فأجـاب **سـقراط** بأنـه يـدرس الشـؤون البشـرية، فـأخذ الحكيـم الـهندي يضحـك قـائلاً، أنـه يسـتحيل للمـرء أن يفـهم الشـؤون البشـرية، مـا لـم يـدرك الشـؤون الإلهيـة أولاً]، ويتضح بالتالي من هـذا اللقـاء مـدى التقـابل بيـن نمـط التفكيـر السـقراطي، والـهندي، وبـأن الأول سـطحي والثـاني متعمـق في فلسفة الكون وما بـه مـن حيـاة بشـرية (٢).

١- د. محمد أبو زهرة - مقارنات الأديان - الديانات القديمة - مرجع سابق - ص ٧٦.

٢- جورج سارتون - تاريخ العلم - الجزء الثاني - نيويورك ١٩٥٢ - ترجمة لفيف من العلماء - بإشـراف لجنة مؤلفة من د. إبراهيم بيومي مدكور، د. محمد كامل حسين، د. قسطنطين رزيـق، د. محمـد مصطفى زيادة - الطبعة الثانية - أكتوبر ١٩٧٨ - دار المعارف بالقاهرة - ص٧٦.

ورغم أن فلسفة بوذا الأخلاقية قد تولدت في الهند إلا أنها قد انتقلت لروعتها وجمالها في تربية وتهذيب خلق الإنسان على الفضيلة والمحبة الشاملة واجتناب الجرائم وكل أعمال الشر إلي كل الحضارات الأسيوية، كما انتشرت وتغلغلت في حضارة الإغريق ثم حضارة الرومان[١] - كما أن بهائها ما زال له قيمته في العصور الحديثة، وتأثر بها فلاسفة كثيرون أمثال القديس فرانسيس بيكون، وباروخ سبينوزا، ووالت وتمان، والبرت شيفتزر، وأن أكثر معتنقي البوذية حالياً في الهند والصين واليابان وتايلاند[٢].

وعلى هذا الأساس يعتبر بوذا من أشهر فلاسفة العالم القديم، والمؤسس الثاني لمذهب الفطرة الخيرة في تاريخ العالم، كما يعتبر أيضاً من حيث الشهرة المفسر الثاني للظاهرة الإجرامية التي تسند السلوك الإجرامي إلى عوامل خارجية فاسدة وذلك بعد الفيلسوف المصري إخناتون، وأن كانت فلسفته أكثر انتشاراً واستمراراً من فلسفة إخناتون[٣].

1 - Shrirama indradeva - Social structure and valuse in later samrtis - London - 1972 - pp 94 ets.
- Andre Aymard et jeannine Auboyer - Histoire Generale des Civilisation - p571.

٢ - جورج سارتون - تاريخ العلم - مرجع سابق - ص٩٢.

٣ - د. نور الدين إشراقية - معركة الحياة - مرجع سابق - ص٢٢٧.

لقد عاش بوذا حتى وصل إلى سن الثمانين من عمره حيث وقع فريسة للمرض، وطلب من تلاميذه أن يضعوه على فراش من أوراق الشجر ثم تلفظ لفظة أخيرة وهو في سكرات الموت، وقال [لسنا جميعاً إلا قطرات ماء تنساب تجاه محيط السلام الأبدي ، فلنحاول جادين لكي ننال هذا السلام] وذلك في عام ٤٨٣ قبل الميلاد فمات بعد أن وضع فلسفة رائعة تربط الدين بالأخلاق في أسلوب متكامل لفهم معنى الحياة البشرية ، وبأن الكل عند الله سواء، وأن الدين الحق هو طهارة القلوب والأخوة الجامعة [وسلام لكل شيء حي] (١).

2 - Henry Thomas - The great Philosophers - Op. Cit - p46.

كونفوشيوس

من أشهر فلاسفة العالم القديم - ولد في الصين عام ٥٥١ قبل الميلاد في مملكة [لو] قرب مدينة [تشوفو] بولاية [شانتونج] الحالية - وتقول سجلات الصين التاريخية بأنه كان من أسرة ثرية وكريمة الأصل وأجداده ينتسبون إلى البيت الملكي لمملكة [سونج] ، ولكن جده الأعلى قد رحل إلى مملكة [لو] بعد أن حل الفقر بالعائلة، ولذلك فإن **كونفوشيوس** وفقا لما هو مسجل عنه يعتبر انحدر من طبقة اجتماعية نبيلة وثرية إلى طبقة اجتماعية عامة وفقيرة بعد أن حدث اضطراب شديد في أوضاع أسرته المالية.

عندما بلغ **كونفوشيوس** سن الثالثة توفي والده فاضطر أن يعمل في سن مبكر أثناء تلقيه علومه في المدرسة من أجل أن يساعد في تخفيف الأعباء المالية عن أسرته، ويعول أمه، وتعلم العزف على الناي وأصبح عازفاً بارعاً رغم صغر سنه.

عندما بلغ التاسعة عشر تزوج والتحق بوظيفة أمين مخازن غلال بحكومة مملكة [لو] ثم شغل وظيفة ملاحظ أراضي المملكة، وبعد أن أصبح صاحب خبرة في الوظائف الحكومية عين عام ٥٠١ قبل الميلاد رئيس

وزراء مملكة [لو] ورغم أنه قد حقق نجاحاً ساحقاً في عمله إلا أنه بسبب انشغال الملك في ملذاته وإهماله لشئون مملكته أصيب بإحباط شديد فاستقال من منصبه في عام ٤٩٧ قبل الميلاد، وأخذ يجوب أرجاء الصين ينشر فكره الفلسفي عن الأخلاق الفاضلة حتى استقر به المطاف في مسقط رأسه بعد تجوال استمر ثلاثة عشر عاماً، فمكث هناك ثلاثة أعوام يلقي الدروس على مريديه حتى مات في عام ٤٧٩ قبل الميلاد ودفن بمقاطعة [تشوفو] ولا يزال قبره يزار حتى الآن[١].

وقد وصف كونفوشيوس نفسه بأنه عندما كان طفلاً ثم شاباً يافعاً – كان لا شأن له ولا مكانة، يعيش في ظل ظروف صعبة – ويعمل في حرف أغلبها حقير ليعول نفسه ويرعى أمه، إلا أنه دأب على تثقيف نفسه – ولذلك تعلم آراء الفلاسفة القدماء في العقيدة الدينية وأصول الأخلاق، ودرس التاريخ والشعر وآداب اللياقة والحكمة وتفهمها جيداً، ومع تأثره بكافة الظروف التي تعرض لها من تعليم وأسرة عظيمة ثم فقر شديد ثم صاحب مكانة في المملكة ثم رحال من مكان لآخر، كون في شخصه نزوعاً إلى معالي الأمور من غير استعلاء

---

١ – أ.د. فؤاد محمد شبل – حكمة الصين – مرجع سابق – ص٦٤ ، ص٦٥.

- Henry Thomas - The great Philosophers - Op. Cit - p53.

– ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع – مرجع سابق – ص٤٠، ص٤١.

ولا غرور، فشعوره بمجد أسرته وشرفها وكرمها جعله يتجه إلى العزة وكرامة النفس ويتجافي السفاف، وشعوره بالفقر والرزق المحدود بعد وفاة والده جعله شخص عطوف ورقيق مع الضعفاء ومتواضع ومندفع نحو محبة كل الناس - وبذلك أصبح فيلسوفاً وحكيماً تعلو نفسه عن الدنايا من غير كبرياء ، وكون من خلال هذه العوامل فلسفته الأخلاقية التي اهتدى إليها، وأصبح فيلسوف المادية والواقع الروحي ومن أعظم وأشهر فلاسفة الأخلاق في العالم القديم[1].

قرر كونفوشيوس في منهجه الفلسفي بأن جميع البشر طبيعتهم قد فطرت عند ميلادهم على الخير، وأن الإجرام أو الشر عموماً ليس سوى وليد ظروف طارئة وعوامل خارجية فاسدة تحيط بهم في معيشتهم وبعيدة تماماً عن أصل فطرتهم، وأن هذه الظروف والعوامل لها من القدرة في حالة عدم التغلب عليها بتحصين وصقل أصل الفطرة بالتربية الصالحة والتهذيب الراقي والتعليم النافع والتلقين المستمر بالقيم والمبادئ الدينية والأخلاقية، أن تحول الإنسان الخير بطبعه إلى مجرم أو شرير لأنها ذات فعالية في تحريك سلوكه نحو ارتكاب الجرائم أو

---

١ - حورج سارتون - تاريخ العلم - مرجع سابق - ص٩٧.

- د. نور الدين إشراقية - معركة الحياة - مرجع سابق - ص٢٢٧.

- Henry Thomas - The great Philosophers - Op. Cit - p55

الشر عموماً[١] – ولــذا كـان يقـول وهـو يجـوب بـلاد الصيـن داعيـاً إلـى إصـلاح أحـوال النــاس والمجتمـع [أن تحلـى الإنسـان بالفضيلـة هـو الـذي يجعلـه مؤتلفـا مـع نظـام السموات والأرض – فالعـالم يسـير بنظـام وقوانيـن محكمـة والنزوع إلـى الخـير والفضيلـة طبيعـة فطريـة فـي كيـان الإنسـان – فليسـت الفطـرة الإنسـانية ميالـه إلـى الشـر نزاعـة إليـه، بـل هـي خـيرة، ولكـن لـلإرادة المسـتقلة التـي منحـها الله للإنسـان مـع غريـزة الشـهوة واللـذات يمكـن أن تشد الإنسـان فـي حالـة عـدم التغلـب عليـها إلـى الإجـرام أو عوامل الشر عمومـاً ويفعـل مـا يـنزل بـه غضـب السـماء ... وإذا كـانت النفـس فـي أصلـها خـيره والشـر انحـراف عـن الفطرة، فـإن الإنسـان الفـاضل هـو الـذي يعمـل علـى إحيـاء الفضيلـة بتنميـة قـوى النفـس الخـيرة، لأن الفضيلـة لا تطلـب لمـا فيـها مـن لـذات وإنمـا تطلـب لأنـها كمـال الإنسـان وأسـاس فطرتـه السـلمية والتـي بـها يتـم التـآلف والانسـجام بيـن الإنسـان والعـالم – فمـن يتمسـك بالفضيلـة سـهل عليـه كـل صعـب وهـان عليـه كـل شـقاء – لأن رياضـة النفـس علـى الفضيلـة تجعـل الإنسـان مثـلاً يتحمـل الفقـر والغنـى، فإن افتقر لم يهن وأن غنـى لـم يطـغ ولـم يأشـر ولـم يرتكـب أي جريمـة – فـذو الفضيلـة مسـتريح فـي فضيلتـه حريـص عليـها، والغـير فـاضل لا يسـتطيع أن يبقـى خـيراً لفـترة

---

٢ – ور صن – وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة – مرجع سابق – ص٣ – ص٥.

طويلة سواء كـــان فقـيراً أو غنيــاً وإنمــا لابـد أن يـنزلق نحـو الجريمــة [أوعوامــل الشــر عمومـــاً ...](١).

ورغـم أن كونفوشـيوس قـد اعتـبر جميـــع العوامــل الخارجية الفاســدة التــي تحيـط بالإنســان مــن العوامـل المؤثـرة التي قـد تدفـع سـلوكه إلـى ارتكـاب الجرائـم أو عوامـل الشـر عموماً وتحوله إلـــى إنســان مجـرم أو شـرير إلا أنــه قـد جعـل الجـهل وعـدم التحلـي بالفضيلـة والقيـم والمبـادئ الأخلاقيـــة وعـدم ضبـط النفـس أمـام إغـــراءات الملـــذات والشـــهوات والظلم والطغيـــان والسياســة الغـير حكيمــة للحــاكم مــن أخطـر هذه العوامــل.

وعــن كيفيــة التغلــب علــى العوامــل الخارجيــة الفاســدة وتحجيـم ظــاهرة الإجــرام فــي المجتمــع أشــار **كونفوشـــيوس** فــي منهجــه الفلســفي بــأن الإنســان الأســمى الــذي يريـــد أن يحصـــن فطرتـــه الخـيرة وينميــها ويصقلــها عليــه أن يراعـــي أربعـة مبـادئ هـــي [**العلــم الغزيـــر والســلوك الحســن والطبيعــة الســمحة والعزيمــة القويــة**] حتــى يصبــح علـــى دراية كاملة بــالعلم والمعرفــة ويكـون دائمــاً حسـن السـلوك فـي معاملــة الآخريــن وطيــب القلــب ورحيمـــاً وعطوفـــاً علـــى الفقــراء والمحتــاجين وذا عزيمــة قويـــة يقـــدر بـــها علـــى مواجهـــة الأمـــور، ويتصـــدى لأي ظلـــم أو فســـاد وأن يحـــب كـــل

---

١ - د. محمد أبو زهرة - مقارنات الأديان - مرجع سابق - ص٩٤، ص٩٥.

البشر - وعن المحبة قال كونفوشيوس [أحبوا أصدقائكم وابعدوا عن الكراهية، فالكراهية لا تولد إلى كراهية، والمحبة يمكن لن تتغلب على الكراهية كما تتغلب المياه على النار] وقال أيضاً عن المعاملة الطيبة بين الناس والتي أطلق عليها القاعدة الذهبية [لا تفعل بالآخرين ما لا تحب أن يفعله الآخرين بك][1] ... وعلى هذا الأساس قام كونفوشيوس بوضع مجموعة من القواعد في حب النظام والطاعة والتعامل من أجل الحد من انتشار الجرائم والفساد في المجتمع، وطالب في تعاليمه الناس بأن يلتزموا بها بعد أن أطلق على هذه القواعد اسم القانون الأخلاقي وأهمها يتلخص في الآتي:-

١. كن وفياً لنفسك ومنصفاً للمظلوم.
٢. إذا اعتدت أن تمد يد الكرم إلى الآخرين فإنك ستدخر من الكرم رأس مال لنفسك.
٣. لا تفسد الآخرين بفرط حبك، ولا تقض عليهم بفرط كراهيتك وخير الأمور هي الوسط بين الطرفين.
٤. عليك أن تتغلب على الشهوات والرغبات وتتجنب وتبتعد عن كل عوامل الشر وتجنح دائماً نحو السلام والخير.
٥. يجب الاطمئنان إلى الحياة بوداعة ومحاولة العيش فيها بسعادة من خلال فهم أصولها - لأنه إذا فهمنا الحياة

---

١ - د. نور الدين اشرافية - معركة الحياة - مرجع سابق - ص ٢٢٨.
- ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - مرجع سابق - ص ٤٤ وما بعدها.
- رو صن - وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة - مرجع سابق - ص٩ - ص ١١.

فلا نخاف شيئاً لأن كل شيء حسن في هذا العالم الحي.

٦. عليك أن تعلم أن العدالة وتبادل المثل بالمثل شيئاً واحداً.

٧. الحاكم لا يمكن أن يحمل الناس على الجد والإخلاص والصدق والمحبة والتحلي بالأخلاق الكريمة من غير أن يحمل نفسه عليها.

٨. الحاكم الذي لا يغرس في الناس وفي نفسه القيم والمبادئ الأخلاقية الفاضلة ينزل عليه غضب السماء وتنهال عليه كل الكوارث لأنه لا تسامح في قانون الأخلاق ولو كان الآثم ملكاً.

٩. تكامل الفرد ينبع من العدالة الاجتماعية - لأن العيش في بلد تسوده العدالة الاجتماعية ويتساوى فيها الجميع يمكن الناس من ارتداء الشرف والمجد في تواضع ويتحملوا أحزانهم برباطة جأش.

١٠. المجتمع الصالح هو الذي تقوم فيه المحبة بين الناس مقام القانون.

١١. يجب أن يعلم الحكام جميعاً بأن السياسة هي الإصلاح، فلو كل حاكم جعل صلاح نفسه أسوة حسنة لرعيته فلا يجترئ أحد على ارتكاب الجرائم أو الانحراف نحو الفساد والرذيلة.

١٢. التهذيب الجيد والتربية الصالحة والتحلي بالفضيلة يجعل الإنسان حكيماً مع نفسه ومع الآخرين، وهادئ النفس طوال حياته.

- ووضح أيضاً في هذا القانون أسلوب الاحترام الذي ينبغي أن يؤديه الأفراد عندما يحيون بعضهم بعضاً، وسلوك الأطفال نحو والديهم، بالإضافة إلى أنه قد تضمن أيضاً أعظم أسس الديمقراطية السليمة والمحبة السامية لكل البشر[١].

وبالتالي يعتبر كونفوشيوس من حيث الشهرة المؤسس الثالث لمذهب الفطرة الخيرة وثالث فيلسوف في تاريخ العالم يفسر موضوعياً في ضوء مفهوم هذا المذهب ظاهرة الإجرام من خلال أثر العوامل الخارجية في السلوك الإجرامي وأن هذا التفسير قد انتشر مع فلسفته الأخلاقية في معظم أرجاء العالم القديم بعد أن أصبح اسمه يدوي في كل أنحاء الصين والمجتمعات القديمة الأخرى رمزاً للأخلاق الفاضلة وقوة المبدأ والثبات في وجه الباطل وصورة واضحة المعالم لما سماه بالتآلف العظيم بين الجنس البشري[٢].

---

1 - Henry Thomas - The great Philosophers - Op. Cit - p61 , 62.

- د. فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - مرجع سابق - ص٦٨ وما بعدها.
- جورج سارتون - تاريخ العلم - مرجع سابق - ص ٩٧.
- ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - مرجع سابق - ص ٥٦ وما بعدها.
- رو صن - وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة - مرجع ساق - ص ١٣ وما بعدها.

٢ - د. نور الدين إشراقية - معركة الحياة - مرجع سابق - ص ٢٢٨.

- للمزيد من التفاصيل عن هذا الفيلسوف وفكرة الراقي عن الأخلاق راجع د. حسن شحاته سعفان - كونفوشيوس - غير محدد سنة الطبع - دار النهضة العربية - ومؤلفنا السابق عن التاريخ العام لأهم خصائص نظم وقوانين الحضارة الصينية القديمة.

- A. Rygaloff. Viede confucius - Paris - 1946.

زرادشت

فيلسوف ولد في بلاد فارس قبل نهاية القرن الخامس قبل الميلاد، وهو من أسرة نبيلة وثرية، وتوجد أساطير عديدة على أن مولده قد صاحبه كثير من المعجزات أهمها ترديدا الرواية التي تقول بأن إله النور قد استمع إلى شعب بلاد فارس الذين شكوا إليه ما يعانوه من الظلم والاستبداد والفساد فأرسل لهم رجلاً قوياً هو زرادشت ليكون خلاصهم على يديه.

عندما بلغ زرادشت سن السابعة من عمره - قام برعايته عدد من الحكماء والأدباء، اهتموا به وعلموه سبيل التقوى والفضيلة، وبعض المؤرخين والعلماء الأقدمين يشير بأن الحكماء المصريين والعبرانيين قد اشتركوا في تربيته وتعليمه وبأنه توجد أدلة واضحة في فلسفة زرادشت الأخلاقية تفيد بأنه قد تأثر بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بوحي أفكار فلاسفة مصر القديمة مثل أبوور وبتاح حتب وإخناتون وجانب كبير من حكماء وفلاسفة الشرق القديم مثل بوذا في الهند ولا وتسي وكونفوشيوس في الصين[١].

---

1 - Henry Thomas - The great Philosophers - Op. Cit - p17.

- شارل فرتر - الفلسفة اليونانية - مرجع سابق - ص٢٥.

بعد أن بلغ الخامسة عشرة من عمره أتم تعليمه، وأصبح قادراً ومهيأ لأن يأخذ على عاتقه تسطير الحكمة والتدين - فكرس نفسه للخدمات الاجتماعية مثل خدمة المرضى، وإطعام الجياع، ومساعدة الفقراء والمحتاجين ومعاونة المسنين، وتذليل العقبات التي كانت تعترض حياة رفاقه - مع استمراره في الدراسة والعلم والمعرفة حتى أتم كل الدراسات العليا لعلم الحياة والتي تقوم على أسس المحبة والخدمات الإنسانية المتبادلة والتي بها تعمق في كل أمور الحياة، وما يجب أن ينتشر من حق وفضيلة بين كل الناس[1].

ولما أكمل سن الثلاثين - تأهب ليكون داعياً إلى عبادة الله وأستاذاً بارعاً لفلسفة جديدة للأخلاق - فأخذ يجوب العالم متنقلاً بين بلاد فارس والهند والصين وبلاد ما بين النهرين عشر سنوات داعياً إلى مبدئه، ولم ييأس أو ينهار بل كان صبوراً ومتحمساً في دعوة الناس إلى الهداية والحق، ومع استمراره في ذلك آمن به ملك الفرس وساعده على نشر دعوته في الاعتقاد الصادق والقول الطيب والعمل الصالح[2] - ولذلك انتشر دينه الأخلاقي في بلاد فارس، وازدهر في عهد الأسرة الساسانية التي

---

1 - Andre Aymard et Jeannine Auboyer - Histoire Generale Des Civilisations - Op. Cit - pp 224, 225.

٢ - د. نور الدين اشرافية - معركة الحياة - مرجع سابق - ص٢٢٢.

كانت فيها بلاد فارس في أعظم عهودها التاريخية حيث أصبح المنهج الأساسي للدين الأخلاقي في الدولة[1].

أشار زرادشت في منهج فلسفته الدينية والأخلاقية بأن جميع البشر قد ولدوا وطبيعتهم مفطورة على الخير ، وأن الشر طارئ وينتج من عوامل خارجية فاسدة بعيدة تماماً عن أصل طبيعتهم وعن تكوينهم العضوي - وفي ضوء اعتقاده بهذا المفهوم فسر الظاهرة الإجرامية بأنها وليدة العوامل الخارجية التي تحيط بالإنسان في معيشته وليس دون ذلك على أساس أن فسادها وعدم القدرة في التغلب عليها تحرك أو تدفع سلوك الإنسان نحو ارتكاب الجرائم أو عوامل الشر عموماً - وذلك لأنه كان يرى أن الطبيعة الخيرة التي فطر عليها الإنسان عند مولده لا تصلح بمفردها على أن تجعله خيراً طول حياته ويصمد في مواجهة المؤثرات الفاسدة التي يتعرض لها، وإنما لابد أن يدعم ويصقل وينمي هذه الطبيعة بصفة دائمة ومستمرة من خلال التربية الصالحة والعلم النافع الوفير والتلقين الواعي بالقيم والمبادئ الدينية والأخلاقية إلى جانب عوامل أخرى يلزم غرسها فيه لكي يستطيع أن يعيش

---

١ - جواهر لال نهرو - لمحات من تاريخ العالم - نقله إلى العربية لجنة من الأساتذة الجامعيين - الطبعة الأولى ١٩٥٧ - منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر - بيروت - ص٢٥.

حياة طيبة مليئة بصفاء النفس ومحبة الجميع وكل عوامل الخير [١].

وقد أوضح **رزادشت** في الكتاب الذي ألفه وجمع فيه كل مبادئه وآرائه عن الدين وفلسفة الأخلاق وسماه **[افستا]** ، ويعرف حالياً في عالم اليوم باسم **[زند افستا]** ومعناه **[تفسير الحكمة]** بأن العوامل الفاسدة التي تحول الإنسان الخير بطبعه إلى إنسان مجرم أو شرير أخطرها يتلخص في الآتي:

١ - **الظلم:** لأنه قد يدفع من يذوق طعمه ويفشل بالطرق القانونية أو المشروعة في الخلاص منه أو في رفعه عنه وأخذ حقه إلى ارتكاب سلوك إجرامي أو أي عمل من أعمال الشر معتقداً بأن هذا السلوك هو الوسيلة الوحيدة لرفع الظلم عنه وأثبات قدرته كإنسان له كيان في المجتمع، ويملك من الوسائل وإن كانت غير مشروعه في استرداد حقه.

٢ - **الإنغماس في الملذات والشهوات:** لأن الاستسلام للملذات والشهوات يضعف قدرة الإنسان في التحكم في إرادته وفي منع سلوكه من الانحراف وهذا يؤدي إلى

1- J. Duchesse - Guillemin. Zoroastre. etude criligue avec une traduction eommenter de gatha - Paris - 1950 pp 12 ets.

ارتكاب الجرائم أو عوامل الشر ويولد الحق والكراهية بينه وبين الآخرين بصفة دائمة.

٣ - الجهل: وهو أخطر عدو للإنسان ويجعله دائماً في غفلة عن الحقيقة وعن معرفة ما هو خطأ وما هو صواب وما هو حق وما هو باطل ، ولذلك قد يندفع إلى ارتكاب الجرائم أو عوامل الشر وهو غير مدرك عواقب سلوكه الإجرامي والنتائج السيئة التي تترتب عليه.

٤ - اعتناق الخرافات المضللة : لأنها تبعد الإنسان عن حقيقة وجوده في الحياة الإنسانية وتصيبه بحالة من الشعوذة والخوف وتجعله ينحرف عن فهم طبيعة الله ورؤية معالم الطريق الصحيح للأخوة الجامعة - وهذه الأوضاع تدفعه إلى ارتكاب الجرائم أو عوامل الشر عموماً وهو في حالة فقدان وعي من الضلال الذي يسيطر عليه بسبب وهم هذه الخرافات.

٥ - تعدد الآلهة: لأنها تجعل البشر يعيشون في انشقاق، ويفقدون بالتالي وحدتهم الإنسانية ويحدث دائماً بينهم صراع وتناحر، كما يضلوا الطريق الصحيح لفهم الإله الواحد الحق ويكفرون بنعمه وفضله عليهم وهذه الأمور الفاسدة قد تدفع سلوك بعض الناس نحو ارتكاب الجرائم

أو الرذيلة أو عوامل الشر عموماً وهم يعتقدون بأنها أمور مباحة في دينهم.

٦ - **التفرقة بين البشر:** لأن الإخلال بالمساواة بين الناس والتمييز بينهم داخل المجتمع بأن يصبح هذا سيد والآخر عبد ، وهذا صاحب سلطة ونفوذ والآخر ليس كذلك ، وهذا غني جداً والأخر فقير جداً ولا يملك قوت يومه وهذا من المقربين للسلطة الحاكمة والآخر من المغضوب عليهم وهذا من أصحاب المكانة في تقلد الوظائف العامة والآخر محروم منها - يولد حتماً الحقد والكراهية بين الناس - والحقد والكراهية من العوامل الخطيرة التي تدفع سلوك الإنسان نحو ارتكاب الجرائم أو عوامل الشر عموماً[1].

وقد عبر زرادشت أيضاً في كتابه بأنه لكي يحصن الإنسان نفسه من الانزلاق نحو الجرائم أو عوامل الشر ، ويصون طبيعته الخيرة ويتعلم كيف يفهم أخواته في الإنسانية وكيف تكون أخلاقه في تعامله مع كافة الناس عليه أن يغرس في كيانه علامات الطريق الصحيح للحياة

١- د. نور الدين اشراقية - معركة الحياة - مرجع سابق - ص٢٢٢.

- J. Duchesse - Guillemin Zoroastre - Op. Cit - pp34 ets.
- Andre Aymard et Jeannine Auboyer - Histoire Generale Des civilisation - Op. Cit. P226.

الإنسانية ويلتزم دائماً بها طوال حياته وهذه العلامات وإن كانت عديدة إلا أن أهمها يتلخص فيما يلي:-

١ - **العدالة**: وهي أول معالم الطريق للسلوك الحسن حيث تنحصر في التخلص من الظلم والاستبداد والطغيان وكل ما يرتكب من خطأ في حق الآخرين وذلك عن طريق المعرفة الحقة لكل ما هو صواب وإنه من خلال هذه المعرفة يظهر النور في حياة الإنسان الذي أدخلت فيه العدالة والتزم بها في معيشته - وقد اهتدى إلى هذا المبدأ الفيلسوف الإغريقي **أفلاطون** وجعله أساس مذهبه الفلسفي في الأخلاق.

٢ - **التعاون**: وهو ثاني معالم الطريق للأخلاق الطيبة وفي التقرب إلى الله حيث اعتبره **رزادشت** رمزاً للإخاء والمحبة بين كل البشر، وعن طريقه يزول كل ما يعوق ويعكر صفو الحياة ويتحقق الخير الدائم وتتحطم كل دوافع الجريمة أو كل عوامل الشر بين الناس.

٣ - **الإيمان** : وهو ثالث معالم الطريق المؤدي إلى الله والتقوى وقال **زرادشت** في ذلك بأن الرجل المؤمن هو الذي يصل إلى أذنيه صوت الله الهامس، وأن الله يغرس في قلبه الولاء لبيته ولمجتمعه ووطنه والعالم أجمع - فإيمان الإنسان بالله ما هو إلا حبه للجنس البشري لأن الله

يضم جميع البشر في حبه الشامل الجامع، ولكي يظهر الإنسان إيمانه بالله فعليه أن يقتدي بحبه، وهذا الحب يجب أن يكون إيجابياً لا سلبياً بأن يظهر في صورة أعمال [سلوك] لا مجرد أفكار وهذه الأعمال يجب أن تكون في سبيل الخير وتبتعد تماماً عن الجرائم وأعمال الشر وبذلك يكون زرادشت أيضاً قد مهد الطريق لأفلاطون عندما قال .. أن الحب يؤدي إلى العدالة والتعاون، كما أوحى أيضاً للقديس بولس عندما صاغ فكرته وقال لا يمكن أن تسود عدالة أو تعاون أو إيمان من غير أن تسود روح المحبة الشاملة.

٤ - السعي وراء الكمال: وهو رابع معالم الطريق المؤدي إلى التحلي بالفضيلة والأخلاق الكريمة - وقال زرادشت في ذلك بأن السعي وراء الكمال هو الغرض من الخليقة ومعنى أصول الحياة، وأن الله قد أرادنا أن نحارب إلى جانبه لنجعل من هذا العالم شيئاً فاضلاً وذلك من أجل أن نوطد فيه أركان الخير ونحطم فيه دوافع الجرائم وكل عوامل الشر كما قرر أيضاً بأن [الله يوصينا بأن نحول الشر إلى الخير ... فكل منا عامل في بستان الله، والحياة غاية تطمئن لها النفوس، والله يتعاون معنا لنخرج من الفوضى نظاماً ومن القبح جمالاً ومن الحرب سلاماً ومن الظلم عدلاً ... نحن جميعاً

علينـــاً أن نبنـــي مصيرنـــا علـــى الخـــير الـــذي طبعـــت فطرتنـــا عليـــه ... لأنـــه عندمـــا تنتـــهي مـــهمتنا فـــي الحيـــاة ســـيتم استدعاء كـــل منـــا لتقديـــم حســـابا عـــن عملـــه، فـــالذين فشـــلوا فـــي الســـعي وراء الكمـــال وفـــي تأديـــة واجبـــهم ســـينالون عقاباً شديداً مـــن الله عمـــا ارتكبـــوه مـــن ذنـــوب فـــي حياتـــهمِ] وهـــذا يشـــير إلـــى تـــأثر زرادشـــت بفلســـفة المصرييـــن القدمـــاء وبالفكر الفلســـفي لكتـــاب الموتـــى[١].

وعلـــى هـــذا الأســـاس يعتـــبر زرادشـــت مـــن حيـــث الشـــهرة هـــو المؤســـس الرابـــع لمذهـــب الفطـــرة الخـــيرة ورابـــع فلاســـفة الشـــرق فـــي تفســـير الظـــاهرة الإجراميـــة فـــي ضـــوء مفـــاهيم هـــذا المذهـــب - وأن فلســـفته عـــن الديـــن والأخـــلاق قـــد تســـربت واعتنقـــها شـــعوب كثـــيرة فـــي آســـيا الصغـــرى وفـــي بـــلاد اليونـــان والرومـــان[٢].

ورغـــم أن الشـــرق القديـــم قـــد ظـــهر فيـــه فلاســـفة آخـــرون اشـــتركوا فـــي تأســـيس مذهـــب الفطـــرة الخـــيرة وقـــاموا أيضـــاً فـــي ضـــوء مفـــاهيم هـــذا المذهـــب

---

1 - Henry Thomas - The great Philosophers - Op. Cit - pp 24 - 26.

- د. نور الدين اشراقية - معركة الحياة - مرجع سابق - ص٢٢٣.
- ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - مرجع سابق - ص١٥٩.
- برتراند رسل - حكمة الغرب - مرجع سابق - ص٢٠٥.

١ - جورج سارتون - تاريخ العلم - مرجع سابق - ص٨٩.

بتفسير ظاهرة الإجرام وأسندوها إلى عوامل خارجية فاسدة إلا أننا سنكتفي بما عرضناه عن هؤلاء الفلاسفة الأربعة لأنهم كانوا أشهر من عبر عن الفلسفة المتجهة نحو الإنسان في أرقى حضارات الشرق القديم واثبتنا من خلالهم وجود فكر إنساني قديم عبر بوضوح عن أثر العوامل الخارجية في السلوك الإجرامي.

سقـــراط

من أشـــهر فلاسـفة الإغريـق، ولـد فـي أثينـا عـام ٤٦٩ قبـل الميـلاد، وكـان مـن أسـرة متواضعـة حيـث كـان والـده يعمل نحاتـاً، ورغـم أنـه قـد تـدرب علـى هـذه الحرفـة فـي طفولتـه وأتقنـها تمامـاً فـي شـبابه، إلا أنـه قـد أظـهر ولعـاً مبكـراً بالفلسـفة بعـد أن تعلـم قسـطاً مـن الحسـاب والهندسـة وعلـم الفلـك وتعمـق فـي الإطـلاع علـى آراء وأفكـار بعـض العلماء والأدبـاء والفلاسـفة القدمـاء إلـي جـانب إطلاعـه علـي فكر الذيـن عـاصروا فـترة ظـهوره، وأصبـح بعـد ذلـك مفكـر دقيـق الملاحظـة ومـن أوسـع النـاس حكمـة فـي أثينـا، ومـن أشـهر فلاسـفة الغـرب القديـم - وعندمـا بلـغ سـن السـبعين غضبت عليه السـلطة العليـا فـي أثينـا واتهمتـه بثـلاث جرائـم كـبرى **الأولـى**: إنكـاره لآلهـة اليونـان وهـي تهمـة ملفقـة لأن سقراط كان عـف اللسـان نحـو الآلهـة وكثـيراً مـا سـاهم فـي تقديسهم، **والثانيـة**: دعوتـه إلـى آلهـة جديـدة بسـبب قولـه أنـه مسـير بصـوت بـاطني يوحـي إليـه بمـا يقولـه وبمـا يفعلـه .وهـي جريمـة أيضـاً ملفقـة لأن مـا قالـه لا يوحـي بأن يكون سـبباً لاتـهام .

والثالثـة: إفسـاده للشـباب وهـي جريمـة باطلـة أيضـاً لأن الأثر الـذي غرسـه سـقراط فـي نفـوس الشـباب ليـس سـوى التـهذيب والإصـلاح ورغـم أن هـذه التـهم كـانت غـير قائمـة

على أساس صحيح إلا أنــه قـد حكـم عليـه بـالإعدام، ولـم تفلـح محاولات دفاعه، وتـم بـالفعل إعـدام بشـراب مسـموم فـي عـام ٣٩٩ قبـل الميـلاد[1].

لقـد تعمـق سـقراط فـي فلسـفة الطبيعـة ومفـاهيم الأخلاق واهتـم بـهما فـي حداثتـه ، وحيـث أن الفلسـفة الغربيـة قد بدأت تتجـه نحـو الإنسـان مـن خـلال الفلسـفة السوفسـطائية التي قررت بـأن الإنسـان مقيـاس لكـل شـيء أي ليـس مقياسـاً للأخلاق وحدهـا بـل لكـل الحقـائق، وأن الحـواس هـي السـبيل الوحيـد لوصـول المعلومـات إلـى الذهـن بمعنـى أن الإدراك الحسـي هـو الأسـاس الوحيـد لجميـع المعلومـات، ولمـا كـان هذا الإدراك يختلـف مـن شـخص لآخـر فـإن المعلومـات التـي تتحصـل عـن طريقـه مختلفـة أيضـا وبالتـالي أنكـر السوفسطائيون وجـود حقـائق ثابتـة فـي الواقـع الخـارجي كمـا أنكـروا المثـل العليـا ومبـادئ الأخـلاق وأحدثـوا مـن خـلال ذلك بلبلة وشـك مريـب فـي الفكـر اليونـاني ولـذا فقـد تصـدى لـهم سـقراط وهـدم كـل أفكـارهم واصلـح بقـدر الإمكـان مـا أحدثـوه مـن انحـراف فـي التفكـير وجنـوح فـي الـرأي والتصـرف وذلـك بعـد أن قـرر بفكـره الفلسـفي بـأن الأفكـار العامة لم تصـل إلينـا عـن طريـق الحـواس وإنمـا مـن خـلال العقـل ذاتـه لأن العقـل هـو أداة تحصيـل المعرفـة وليـس

---

1 - Henry Thomas - The great Philosophers - Op. Cit - pp 79 - 82.

- جورج سارتون - تاريخ العلم - مرجع سابق - ص٦٧ - ص٦٩.

الحواس، وإذا كانت الحواس ومدركاتها تختلف باختلاف الأشخاص فليس العقل كذلك وإنما هو عام مشترك عند جميع الناس، وبالتالي هدم سقراط فكر السوفسطائيين من أساسه بعد أن أثبت بأن الحقائق الخارجية ثابتة، وبأن جميع الناس يرونها بمنظار واحد هو العقل الذي لا يختلف إدراكه من شخص لشخص آخر، وأعلن نظرية المعرفة التي تقوم على الإدراكات العقلية دون الحسية.

من خلال النظرية الأخلاقية التي أسسها سقراط بتوحيد الفضيلة والمعرفة بعد أن اعتقد اعتقاداً راسخاً بأن الإنسان لا يستطيع أن يعمل الخير إلا إذا عرف ما هو الخير، وبأن العمل الأخلاقي مؤسس على المعرفة ويجب أن يصدر عنها وأن الفضيلة والعلم شيء واحد ويستحيل على الشخص أن يعرف الخير معرفة صحيحة ولا يفعله أشار في منهجه الفلسفي بأن طبيعة الإنسان مفطورة على الخير ومجابهة الشر، وأن اندفاع أي إنسان نحو ارتكاب الجرائم أو أي عمل من أعمال الشر ليس سوى نتيجة مؤثرات خارجية عن أصل طبيعته وأهم هذه المؤثرات أو العوامل الخارجية التي تدفع سلوكه نحو الانحراف هو الجهل أو عدم تحصيل المعرفة[1]، وقال تأكيداً لذلك. بأن [**الإنسان إذا علم تماماً بأن الشيء خير**

١- د. محمد بيصار - العقيدة والأخلاق - مرجع سابق - ص ٢٠٢.

فإن هـذا يحملـه حتمـاً إلـى عملـه، وإذا عـرف بضـرر شـيء يحملـه حتمـاً علـى تركـه، لأنـه لا يعمـل الشـر وهـو يعلـم نتائجـه، فكـل الشـرور ناشـئة عـن جـهل، ولـو علـم المـرء أيـن الخـير لعملـه حتمـا، لأن كـل إنسـان بطبيعتـه يقصـد الخـير ويكـره الشـر، فمحـال أن يفعـل الضـرر أو يرتكـب جريمة أو أي عمل مـن أعمـال الشـر وهـو عـالم بذلـك وإنمـا مـا يصـدر عنـه مـن جرائـم وأفعـال دنيئـة منشـؤه الجـهل وعـدم المعرفـة][1].

وإذا كان سـقراط قـد اعتقـد بـأن الدوافـع التـي تحـرك سلوك الإنسـان نحـو ارتكـاب الجرائـم أو أعمـال الشـر عمومـاً جميعـها عوامـل خارجيـة إلا أنـه قـد ركـز هـذه العوامـل جميعـها فـي الجـهل حيـث اعتـبره علـى جـانب كبـير مـن الخطورة وهو الأسـاس الـذي يجعـل الإنسـان يـنزلق فـي تيـار فسـاد العوامـل الخارجيـة الأخـرى التـي تدفـع سـلوكه نحـو الانحـراف[2] - وأشـار توضيحـاً لذلـك فـي محاوراتـه بـأن الإجـرام أو الشـر عمومـا لا يصـدر إلا عـن الجـهل بالفضيلـة، لأن الإنسان لا يندفـع إلـى الإجـرام وفعـل الشـر وهـو يعلـم أو يعـرف تمامـا الخـير، ولا يمكـن أن يتعمـد ارتكـاب الجرائـم أو الوقـوع فـي الشـر إلا إذا كـان لا يعـرف الإدراك العقلـي

---

١ - د. زكي نجيب محمود، د. أحمد أمين - قصة الفلسفة اليونانية - مرجع سابق - ص٧٩ وما بعدها.

- د. محمد بيصار - الفلسفة اليونانية - مرجع سابق - ص ٧٦.

٢ - شارل فرنر - الفلسفة اليونانية - مرجع سابق - ص٦ وما بعدها.

للخير – ولذا فإن الجهل هو الشر ذاته، لأن الانغماس في الخرافات والانزلاق وراء الشهوات والملذات وارتكاب الظلم والرذيلة وعدم إطاعة القوانين العادلة وعدم ضبط النفس – وغير ذلك من العوامل الخارجية الفاسدة منبعها الأساسي يرجع إلى الجهل(١)

وجميع تلاميذ سقراط قد نادوا بهذه الفكرة من بعده مثل ارسطو عندما قال **[يمكن العفو عن جميع الخطايا التي يرتكبها الإنسان جاهلاً أنه يرتكبها، بل حتى التي يأتيها عن جهل] كما اقتنع بها بعض فلاسفة العصور الحديثة وجعلوها أساساً لمنهجهم الفلسفي مثل الفيلسوف الهولندي باروخ سبينوزا (١٦٣٢ - ١٦٧٧م) حيث قال [أن الجهل هو العلة الأولى لكل شر يرتكب]** (٢).

وكما اعتقد بأن الجهل ترتكز فيه كل العوامل الخارجية الفاسدة، اعتقد أيضاً بأن المعرفة ترتكز فيها كل العوامل الخارجية الحسنة التي تغذي وتصقل الطبيعة الخيرة في الإنسان، أي أن سقراط قد ردّ الفضائل كلها إلى المعرفة بعد أن أثبت بأن الفضيلة واحدة ومن الممكن تعليمها – وتوضيحاً لذلك قال **[لكي نعرف ما هي الفضيلة ينبغي لنا أن نعرف ما ينفع الناس، ولهذا ينبغي**

---

١ - د. محمد بيصار الفلسفة اليونانية - مرجع سابق - ص٧٩.

٢ - برتراند رسل - حكمة الغرب - مرجع سابق - ص٨٣.

لنا أن نفحص الأشياء النافعة لنا - أن الصحة والجمال والغنى هي الأمور التي تقول أنها نافعة لنا، ولكننا نقول عن هذه الأمور ذاتها أيضاً، أنها ضارة بنا، فهي نافعة لنا حينما نحسن استعمالها، وضارة حينما نسيء هذا الاستعمال، بيد أننا نحسن استعمالها حينما تكون لدينا معرفة عقلية عن الخير، وهذا ينتهي إلى أن هذه المعرفة هي التي تقرر ما هو نافع .وما هو الشر - والأمر ذاته نجده في صفات النفس التي هي قوام الفضائل المختلفة، مثل العفة والعدالة والشجاعة والمروءة وهذه الصفات نافعة لأنها فضائل حينما تقترن بالمعرفة العقلية، فإن لم تقترن بها كانت ضارة ولم تستحق اسم الفضائل، لأن ما من شيء نافع حقا إلا ما يراه العقل بالمعرفة الكلية، على أساس أنه هو الذي يقدم لنا علم الخير..] كما قال أيضاً (أن المرء يضل في إتيان الخير أو الشر بسبب نقص المعرفة - وأنه من المستبعد أن تكون لدي المرء رغبة عمدية في ارتكاب الشر أو ما يعتقد أنه شر - لأن تفضيل الشر علي الخير ليس من الطبيعة الإنسانية - وحتي إذا اضطر المرء في ظروف معينة - إلي اختيار أحد شرين فإنه لن يلجأ إلي الشر الأعظم إذا كان أمامه اختيار القدر الأقل)[١]

---

١ - د . محمود عز العرب السقا - أضواء في فلسفة العقوبة العظمي (عقوبة الإعدام) مرجع سابق ص٦١

وعلى أساس أن المعرفة تصقل وتنمي الطبيعة الخيرة في الإنسان ولا تنشأها قال سقراط أن علم الخير هو أساس الفضيلة وجوهرها وعلم الخير وهو المعرفة الكلية يدعي الحكمة، والفضيلة ليست شيئا آخر غير الحكمة بل أن الفضائل كلها ترتد إلى الحكمة، والحكمة هذه يمكن تعلمها، شأنها شأن العلم ذاته، ولكن ليست علم صوري، وإنما هي علم يساعد على كشف الباطن وصقل المكنون، مما يجعل طبيعة الإنسان تعبر عن حقيقة أصلها الخير فيسلك بذلك طريق الخير ويبتعد عن طريق الإجرام أو الرذيلة أو أي فعل من أفعال الشر ويعيش طوال حياته إنسانا خيرا موصوف بالفضيلة أو بالحكمة[1] - ولذلك فإنه بالنظر إلى نظرية سقراط [لا فضيلة إلا بالمعرفة (العلم)] يكون أمامنا نتيجتين **الأولى**: أن الإنسان لا يستطيع أن يعمل الخير المفطور عليه والكامن في ذاته إلا إذا كشفه وصقله ونماه بالمعرفة [العلم] - **والثانية**: أن علم الإنسان بالخير علما تاما يحمله حتما إلى عمله، وإذا عرف الشر تمام المعرفة يحمله حتما على تركه[2].

وإذا كان سقراط يعتبر من ضمن المؤسسين لمذهب الفطرة الخيرة مع فلاسفة الشرق القديم وخاصة بعد أن قال صراحة بأن **[كل إنسان يحمل الحقائق**

---

١ - شارل فرنر - الفلسفة اليونانية - مرجع سابق - ص٧٦.

٢ - د. زكي نجيب محمود، د. أحمد أمين - قصة الفلسفة اليونانية - مرجع سابق - ص١٠١.

الأخلاقية والخير كله في طبيعته منذ ولادته - وهو ليس في حاجة إلى أن يتلقاها من الخارج، بل عليه أن يتأمل في طبيعته الإنسانية بالمعرفة الكلية ليكتشفها كامنة فيه] - إلا أنه قد فسر من خلال منهجه الفلسفي ظاهرة الإجرام تفسيرا يرتكز على عامل واحد خطير وهو الجهل، واعتبر أن الجهل يكمن فيه كل العوامل الأخرى الفاسدة التي تحرك السلوك نحو ارتكاب الجرائم أو عوامل الشر عموما(١).

في حين فلاسفة الشرق لم يرتكزوا على عامل واحد خطير في تفسيرهم للسلوك الإجرامي وإنما استندوا على عوامل خارجية عديدة وكل عامل فيها يمثل خطورة منفصلة عن الآخر وإن كان من الممكن أن يؤثر عامل على عامل آخر في تحريك السلوك نحو الإجرام أو أي عمل من أعمال الشر.

ونظر لأن سقراط قد قال بأنه مسير بصوت باطني يوحي إليه بما يقول وبما يفعل أي أن الآلهة تأمره بأن يفعل ذلك ليحث الناس جميعا على المعرفة الكلية للفضيلة التي تكمن في طبيعتهم - وأن فلسفته تدور في جملتها حول موضوع واحد هو الإنسان حيث قال **[أن جل اهتمامي ليس بأسرار الله، وإنما بفعل الإنسان]** - فإن

١ - أمانويل كانت - تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق - مرجع سابق - ص٣٣.

هذه الأمور قد دفعت شيشيرون أشهر فقهاء وخطباء الرومان إلى القول بأن [سقراط قد أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض] (١).

ورغم أن التفسير الفلسفي **لسقراط** بأن أصل الفطرة الخيرة لا يصلح بمفرده دون دعم خارجي على أن يجعل الإنسان يعيش خيرا طوال حياته يتشابه تماما مع تفسير فلاسفة الشرق الذين اشتركوا في تأسيس مذهب الفطرة الخيرة، إلا أن سقراط قد عبر في منهجه الفلسفي عن هذا الدعم الخارجي الذي يصقل وينمي الفطرة الخيرة بأسلوب آخر عن الذي اتبعه فلاسفة الشرق - وذلك لأن فلاسفة الشرق الذين أشرنا إليهم قد اتفقوا جميعا بأن صقل وتنمية أصل الفطرة الخيرة عند الإنسان يكون من خلال عوامل التربية الصالحة والتهذيب الحسن والتعليم النافع والتلقين المستمر بالقيم والمبادئ الدينية والأخلاقية وغير ذلك من العوامل السابق الإشارة إليها - في حين أن سقراط قد سلك طريقا آخر في ذلك وجعل منهجه في صقل وتنمية أصل الفطرة الخيرة للإنسان يرتكز على ثلاث دعائم **الأولى: تنقية وتطهير الأذهان** - من كل المعلومات الضارة والخرافات المضللة والقضايا الكاذبة

1 - Henry Thomas - The great Philosophers - Op. Cit - p80.

والمعارف الخاطئة لتبقى مستعدة ومتهيئة لتلقى الحقيقة - وهذا يشابه ما يسمى عند علماء المسلمين **[التخلية قبل التحلية] الثانية: التولد** - وينبني على استنباط الحقيقة عن طريق الحوار مع الناس في نسق منطقي وترتيب فكري لاستخراجها من نفوسهم وما طبعت عليه من معان فطرية - **والثالثة : الغرس** - ومعناه أن يتلقى العقل المعرفة الكلية للحقائق الثابتة والمفاهيم الأصولية للفضيلة أو الحكمة حتى يعلم الإنسان الخير ويفعله ويعلم الشر والضرر ويبتعد عنه.

إن رقى فلسفة سقراط قد جعلت معظم المؤرخين يعقدون الرأي على أنه كان في تاريخ الفكر اليوناني بل والإنساني من القوة بحيث أتيح لاسمه أن يشطر الفلسفة اليونانية إلى شطرين ما قبله وما بعده[١].

---

١ - د. محمد بيصار - الفلسفة اليونانية - مرجع سابق - ص٧٤، ص٧٥.

- د. زكي نجيب محمود، د. أحمد أمين - قصة الفلسفة اليونانية - مرجع سابق - ص

ماركوس أوريليوس

من أشهر فلاسفة الرومان الذين اعتنقوا منهج الفلسفة الرواقية ودعم أصولها ومبادئها في الفكر الفلسفي الروماني بما كان يملك من شخصية وجاه وسلطان - ولد في عام ١٢١ ميلادية ومنذ صغر سنه كان شغوفاً بالفلسفة وحب الحكمة - ولشدة إعجابه بفكر وفلسفة **سقراط وديوجين وزينون وسينكا وابتكتاتوس** تعمق في دراسة مناهجهم الفلسفية إلى جانب دراسة فكر وآراء فلاسفة الشرق حتى أصبح على درجة كبيرة من العلم والمعرفة وصاحب فكر فلسفي لامع لمفاهيم الفلسفة الرواقية ولذا عاش حياة البساطة والتقشف في شبابه وهو مرتاح البال وسعيد بمحبة كل الناس إلا أنه عندما بلغ الثامنة عشر من عمره ارتفع قدره من فيلسوف فقير إلى فيلسوف أمير بعد أن اختاره عمه الإمبراطور الروماني **انطونيوس** في عام ١٣٩ ميلادية ليكون وريثة على العرش بعد وفاته.

وبالفعل بعد أن مات عمه في عام ١٦١ ميلادية جلس هذا الفيلسوف الرواقي على عرش الإمبراطورية الرومانية وكان يبلغ من العمر في ذلك الوقت أربعين عاماً كما ورث ثروة طائلة لم يكن يرغب فيها، واستمر في الحكم دون أن يهدأ في نشر فكره الفلسفي عن الرواقية

حتى مات وهو على كرسي العرش في عام ١٨٠ميلادية[١].

ورغم أن الفلسفة الرواقية قد اشتركت في تأسيس مفاهيم مذهب الفطرة الإنسانية الخيرة في العصر اليوناني، إلا أن ماركوس أوريليوس وإن كان من ضمن فلاسفة الرواقية في العصر الروماني قد أضاف بفكرة الفلسفي رونقا متسعا وتعبيرا واضحا ومقنعا لمفاهيم الرواقية عن الفطرة الخيرة كما جعل هذه المفاهيم تسير في مسارات صحيحة داخل الفكر الفلسفي الروماني وتنتشر في معظم أرجاء الإمبراطورية الرومانية وعلى الأخص خلال الفترة الأخيرة من حكمة بعد أن انتصر بفكرة الهادي على الفتن والمؤامرات التي دبرت ضده[٢] – وعلى هذا الأساس قد اعتقد بفكرة العميق أن جميع البشر طبيعتهم الإنسانية واحدة وأن هذه الطبيعة قد فطرت على الخير، وأن الشر ليس إلا وليد البيئة الاجتماعية والطبيعية الفاسدة التي تحيط بالإنسان والظروف القاسية التي يتعرض لها أثناء حياته، وأن هذه العوامل خارجية وبعيدة تماما عن الشخصية الذاتية للإنسان وعن شكله

---

1 - Henry Thomas - The great Philosophers - Op. Cit - p161.

٢- د. أبو بكر محمد ذكرى - تيسير فلسفة الأخلاق - مرجع سابق - ص ٣٧.

- ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الثالث من المجلد الثالث - قيصر والمسيح ترجمة محمد بدران - اختطرته واتفقت على ترجمته الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية عام ١٩٦١ - القاهرة - ص٥١ وما بعدها.

وعن تكوينه العضوي، ولها قدرة في حالة عدم التصدي لفسادها أن تدفع سلوك الإنسان إلى ارتكاب الجرائم أو أفعال الشر عموما وتحوله من إنسان خير بطبعه إلى إنسان مجرم أو شرير[1]. وقد عبر عن ذلك بالقول **[إننا جميعا أخوة، ومن طبيعة إنسانية واحدة، فطرت على الخير بحكم العناية الإلهية، فلا يسعني أن أغضب من اخوتي أو أقطع صلتي بهم لأننا قبلنا بحكم الوجود في الحياة الإنسانية أن يعين بعضنا بعضا كاخوة من أسرة بشرية واحدة... فأرفض دائما أن تكون روحا صغيرة تحمل جسدا كبيرا لأنه يجب أن تكون العكس حتى تكون بطبيعتك الخيرة أخا رحيما وعطوفا لاخوتك في كل بقاع الأرض..]**

وقال أيضا تعبيرا على أن الفطرة الخيرة لا تصلح بمفردها على أن تصون الإنسان طوال حياته من براثن الشر دون أن يدعمها ويصقلها بعوامل خارجية حسنة تغذي أواصرها حتى يبتعد عن ارتكاب الجرائم ويصمد في مواجهة الرذائل والانحراف نحو الملذات والشهوات بأن **[غاية المخلوق العاقل هو أن ينمي فطرته الخيرة بأفضل المبادئ الأخلاقية والمثل العليا حتى يصون نفسه من كل الاغراءات التي تهدد طبيعته الخيرة وسلوكه**

١- د. ذكي نجيب محمود، د. أحمد أمين - قصة الفلسفة اليونانية - مرجع سابق - ص٢٣١ وما بعدها.

المستقيم، ليعيش حياة هادئة ومليئة بالحب والسعادة ويمتنع بكل قوة وإرادة سليمة عن الانزلاق نحو الانحراف وارتكاب الجرائم التي تصيب وحدة الإنسانية بالآلام والمكايد والأحزان][1].

وإذا كان ماركوس أوريليوس قد اعتقد تماما بأن المؤثرات التي تدفع سلوك الإنسان نحو ارتكاب الجرائم أو الشر عموما جميعها نابعة من عوامل خارجية، إلا أنه كفيلسوف رواقي قد اعتبر أخطر هذه العوامل المؤثرة في السلوك الإجرامي هي نفس الأمور التي نهت عنها الفلسفة الرواقية وأهمها يتلخص في الآتي:

١- التردد وضعف القدرة في مواجهة الإغراءات والشهوات والانغماس في الملذات.

٢- الإهمال في تدعيم النفس بالفضيلة والمفاهيم الأساسية للأخوة الإنسانية.

٣- عدم الاحتكام إلى العقل فيما يرتكب من أفعال وأقوال.

٤ - الانفعال والتأثر بأحداث المصائب والكوارث، وضعف القدرة في تحمل المشاق والآلام التي قد تحدث من إصابة أو التعرض لمرض.

---

1 - Henry Thomas - The great Philosophers - Op. Cit - Pp 162 ets.

٥- عدم الاعتماد على النفس فيما يتخذ من قرارات وأعمال واللهث وراء الأوهام والخرافات دون وعي أو إدراك.[١]

وأيضا قد اعتبر العوامل الصالحة في الفلسفة الرواقية وهي التي تتمثل في الوصايا الأربعة المشهورة لهم وهي [احتمل - كف بنفسك - ساير الطبيعة - اطع العقل] هي أهم العوامل التي تصون وتصقل الفطرة الخيرة للإنسان وتجعله يعيش طوال حياته إنسانا فاضلا، وهادئ النفس ومرتاح البال ومشبع بمحبة الجميع[٢] - وفي ذلك يقول [الإنسان يقدر على أن يحافظ على طبيعته الخيرة وروحه الطاهرة وسلوكه المستقيم - إذا تخلص من حالات التعاظم والتباهي، وامتنع عن الترف ورغد المعيشة وتكيف مع الطبيعة ببساطة ورفق ...، وتحرر من الألم واللذة...، وتقبل بكل سرور وقناعة كل ما يصيبه من أحداث باعتبارها قدر ومن صنع الإله الأعظم الذي هو صنعه أيضا...، ويعلم جيدا بأنه لا يوجد شيئا يمكن أن ينفصل عن المجتمع وينتسب إليه وحده ....، ويطع عقله في كل شيء ويمتنع عن كل الأعمال التي فيها

---

١ - د. عثمان أمين - الفلسفة الرواقية - القاهرة ١٩٤٥ - مكتبة النهضة المصرية - ص١٥ وما بعدها.

١ - د. بطرس بطرس غالي، د. محمود خيري عيسى - المدخل لعلم السياسة - القاهرة ١٩٥٩ - مكتبة الأنجلو المصرية - ص١٠٦.

- د. أحمد سويلم العمري - أصول العلاقات السياسية الدولية - مرجع سابق - ص٤٧.

- د. أبو بكر محمد ذكرى - تيسير فلسفة الأخلاق - مرجع سابق - ص٣٢ وما بعدها.

رعونة أو كذب أو رياء ...، ويعلم أنه من ضمن أفراد أسرة بشرية واحدة يجمعها الأخوة الشاملة حتى يخلص تماما في مشاركة الآخرين وجدانيا ويتسع صدره دائما بين الحين والآخر ليضم بداخله محبة صافية وشاملة للجميع دون ملل أو كلل...، ويعتدل دائما في حديثه وأفعاله وعواطفه وأفكاره ويتجنب الإسراف في الطموح...، ويقوي اتزانه وزمام أموره ...، ويرضى بطيب خاطر وبال مرتاح ما قدر له ...، ويذعن بنفس طيبة لمشيئة الله في كل شيء ...، ويبعث في نفسه دائما الثقة والرزانة طوال حياته ...]

ورغم أن ماركوس أوريليوس هو ثالث فيلسوف رواقي في العصر الروماني حيث سبقه في اعتناق الفلسفة الرواقية الفيلسوف سنكا [٤ ق.م - ٦٥٠م] الذي عاش في بلاط الإمبراطور الطاغي [نيرون] ونتيجة تمسكه بمبادئ الرواقية أعدمه بقطع شريانه، والفيلسوف ابيكتاتوس [٦٠ - ١٢٠م] الذي كان من أشهر معلمي الرواقية في النصف الثاني للقرن الأول الميلادي رغم أنه كان عبدا ويذوق أشد ألوان العذاب من سيده دون أن يتألم - إلا أن ماركوس أوريليوس من خلال صفته كإمبراطور لأكبر وأقوى إمبراطورية عظمى في ذلك التاريخ قد انتشر فكرة الفلسفي عن الرواقية وعن مفاهيم الفطرة الإنسانية الخيرة وعن أثر العوامل الخارجية في

تفسير السلوك الإجرامي أكثر منهما حيث دوى بصوت واضح ومسموع في كل أرجاء الإمبراطورية التي كانت تسيطر في ذلك الوقت على معظم المجتمعات المتحضرة في شرق وغرب العالم القديم، ولذلك فإن ما قاله **[ما دمت إمبراطورا فمدينتي هي روما ولكن ما دمت إنسانا فوطني هو العالم ..]** يعطي تعبيزا صادقا عن مدى انتشار فكرة الفلسفي في معظم أرجاء العالم القديم[1].

تعقيب :

بناء على ما تقدم، وبما هو ثابت في سجلات تاريخ الفكر الإنساني القديم – يتضح أن أفكار وآراء مذهب الفطرة الإنسانية الخيرة والتفسيرات التي طرحت في ضوء مفاهيم هذا المذهب عن أثر العوامل الخارجية في السلوك الإجرامي كانت أوسع انتشارا في مجتمعات العالم القديم عن أفكار وآراء مذهب الفطرة الشريرة وتفسيراته لظاهرة الإجرام – هذا بالإضافة إلى أن معظم

---

١ – راجع في ذلك بالتفصيل:

Henry Thomas - The great Philosophers - Op. Cit - p53

- د. عثمان أمين الفلسفة الرواقية – مرجع سابق – ص ٢٥ وما بعدها
- ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الثالث – قيصر والمسيح – مرجع سابق – ص٨٢ وما بعدها.
- شارل فرنر – الفلسفة اليونانية – مرجع سابق – ص٢٣٠.
- د. زكي نجيب محمود، د. أحمد أمين قصة الفلسفة اليونانية – مرجع سابق – ص٢٢٦ – وما بعدها.
- د. سعد محمد الشناوي – مدى الأخذ بنظرية المصالح المرسلة في الفقه الإسلامي – فقه مقارن – مقارنات والفكر الغربي – الطبعة الثانية ١٩٨١ – ص٣٧٥ وما بعدها.

الشرائع والقوانين الجنائية في المجتمعات الحضارية القديمة قد تأثرت بمفاهيم وتفسيرات هذا المذهب - مثل الشرائع والقوانين الصينية التي صدرت في عهد إمبراطورية هان الغربية والشرقية وتأثرت بفكر وفلسفة كونفوشيوس خلال الفترة من [٢٠٢ق.م - ٢٢٠م] وكونفوشيوس من أشهر الفلاسفة المؤسسين لهذا المذهب وتفسيراته[١] - والقوانين الفارسية التي صدرت منذ بداية القرن الخامس قبل الميلاد قد تأثرت بفكر وفلسفة زرادشت ، وزرادشت أيضا من أشهر المؤسسين لهذا المذهب وتفسيراته[٢] .... وحتى القانون الروماين الذي أصبح قانون الشعوب الحديثة بعد ذلك قد تأثر بالفلسفة الرواقية بعد أن اعتنقها سنكا وابكتاتيوس وماركوس أوريليوس، وأيضا شيشيرون الذي يعتبر من أشهر خطباء وفقهاء الرومان، والفلسفة الرواقية قد اشتركت بقدر كبير في تأسيس مذهب الفطرة الخيرة وتفسيره لظاهرة الإجرام[٣].

وأيضا من أسباب اتساع فكر وفلسفة هذا المذهب بين شعوب العالم القديم هو أن جميع الفلاسفة الذين اشتركوا في تأسيسه وقاموا في ضوء مفاهيمه بتفسير أثر

---

١ - تاريخ الصين - الجزء الأول - مرجع سابق - ص٣٧ وما بعدها.

٢- د. نور الدين اشراقية - معركة الحياة - مرجع سابق - ص٢٢٢.

٣ - شارل فرنر - الفلسفة اليونانية - مرجع سابق - ص٢٣٠.

العوامل الخارجية على السلوك الإجرامي، كان كل واحد منهم فيلسوف متميز وصاحب مدرسة كبرى في الفلسفة المتجهة صوب الإنسان، وهذه المدارس هي التي أسست الأعمدة الرئيسية لحضارة الفكر الإنساني في العصور القديمة، كما أن معظم هذه المدارس قد ربطت في منهجها الفلسفي بين العقيدة الدينية والأخلاق وأصبحت منذ ظهورها وحتى عالم اليوم من ضمن أشهر المذاهب الدينية والأخلاقية في العالم واعتنقها عدد هائل من الشعوب وعلى الأخص في منطقة جنوب شرق آسيا وذلك مثل البوذية والكونفوشيوسيه والزرادشتية [١]

وهناك دليل آخر يمحو أي شك في أن مذهب الفطرة الخيرة وتفسيرات عن أثر العوامل الخارجية في السلوك الإجرامي قد ظهر وانتشر في معظم مجتمعات العالم القديم هو أن كثير من العلماء والمؤرخين قد أكدوا بأن مفاهيم هذا المذهب ومبادئه في المساواة وفي الأخوة الإنسانية وفي فكرة التوحيد وفي السلام والعدل والمحبة الشاملة بين كل البشر، قد مهدت الطريق أمام المسيحية بمبادئها الروحية السامية لكي تنتشر في كل أرجاء العالم القديم، فارتفعت بين الشعوب الصلبان رمزا للفداء والمحبة والتضحية والخلاص وقرعت الأجراس برنينها مؤذنة بميلاد جديد للعالم تهدأ فيه النفوس وتبتر فيه الوثنية

---

1 - Henry Thomas - The great Philosophers - Op. Cit - Pp 16 - 63.

والأوهام والأفكار المضللة، وليسود بين الناس نور الإيمان والمحبة وأسمى القيم والمبادئ الأخلاقية[١].

وأيضا بعد أن انتشر الإسلام بنور الحق والهداية في كل أرجاء العالم - أيد بعض رجال الفقه الإسلامي في العصور الوسطى فكر مذهب الفطرة الخيرة وتفسيره لظاهرة الإجرام - حيث قرروا بأن الإنسان قد ولد وهو يتحلى بفطرة الخير ويحمل في كيانه وفؤاده الأخلاق الفاضلة - وذلك تصديقا لقوله تعالى [فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله][٢] ولقوله تعالى [لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ..][٣] ومعنى ذلك أنه ليس من المعقول أن يخلق الله سبحانه وتعالى الإنسان في أحسن تقويم وفطرته شريرة وإنما لابد أن تكون فطرته قد طبعت على الخير وليس الشر، وقوله تعالى [ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا][٤] .

ومعنى ذلك أن الله سبحانه وتعالى قد كرم الإنسان أفضل تكريم وفضله على كافة المخلوقات على أساس أن فطرته مطبوعة على الخير وليس دون ذلك - وأيضا ما

---

٢ - د. نور الدين الشرقية - معركة الحياة - مرجع سابق - ص٢٣٨ - ص٢٤٠.

- شارل فرنر - الفلسفة اليونانية - مرجع سابق - ص٢٣٠.

١ - سورة الروم - الآية ٣٠.

٢ - سورة التين - الآية ٤.

٣ - سورة الإسراء - الآية ٧٠.

رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال [كل مولود يولد على الفطرة، وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه] ومعنى ذلك أن كل إنسان قد ولد وفطرته طاهرة ومليئة بالإيمان الحق والأخلاق الفاضلة أي ولد وفطرته مطبوعة على الخير وغير ملوثة على الإطلاق بأي عامل من عوامل الشر - ولذا فإن الإنحراف نحو الشر أو الجنوح نحو ارتكاب الجرائم والرذيلة هو وليد عوامل خارجية فاسدة وبعيدة تماما عن أصل الفطرة وهذه العوامل هي التي تحيط بالإنسان مثل التربية المنزلية الفاسدة والخلطة الاجتماعية السيئة، والتعليم الغير نافع، والتلقين المضلل بالأوهام المزيفة والإقناع بالأفكار الملحدة وهذه العوامل لها من القدرة في حالة عدم التصدي لها أن تحول الإنسان الخير بطبعه إلى مجرم أو شرير[1].

وبذلك فليس هناك أدنى شك عن وجود تفسيرات لظاهرة الإجرام في العصور القديمة توضح أثر العوامل الخارجية في السلوك الإجرامي وأن هذه التفسيرات قد ارتبطت بمفاهيم مذهب الفطرة الإنسانية الخيرة وانتشرت في معظم المجتمعات الحضارية التي

---

١ - راجع في ذلك - فضيلة الشيخ عبدالجواد رحب - مع الله [نظرات في الكون والحياة] تقدم الشيخ محمد الغزالي - الطبعة الثانية ١٩٧٤ - دار الاعتصام بالقاهرة - ص٣٨ وما بعدها - وفضيلة الشيخ عبدالله ناصح علوان - تربية الأولاد في الإسلام - الجزء الأول - دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - الطبعة الثالثة ١٩٨١ - ص١٥٢ وما بعدها.

ظهرت في العالم القديم - ولم يكن انتشارها في صورة آراء وأفكار مبعثرة تظهر وتتناسى بين الحين والآخر كما يدعي بعض علماء الغرب الذين تخصصوا في علم الإجرام خلال العصور الحديثة وعلى الأخص خلال القرن التاسع عشر[١]. وإنما كانت في شكل نظريات علمية مرتكزة على أسس ومفاهيم واضحة ولم يمسها طي النسيان طوال زمان العصور القديمة والوسطى وإنما مسها فقط النكران في العصور الحديثة على يد هؤلاء الذين يحاولون بالباطل وبدون أي حق طمس حقائقها ليكون لهم السبق في تأسيس ما سموه بعلم الإجرام الحديث[٢].

---

١ - د. محمد نيازي حتاتة - علم الإجرام - مرجع سابق - ص ٦ وما بعدها.

٢ - د. رؤوف عبيد - مبادئ علم الإجرام - مرجع سابق - المقدمة.

الباب الثالث

مفهوم مذهب الفطرة المختلطة
وتفسيـــره لظاهـــرة الإجـــرام

(أثر العوامل الخارجية والداخلية والمركبة في تفسير السلوك الإجرامي)

تقديـــــم :

– إذا كانت مجتمعات العالم القديم قد ظهرت فيها نظريات تفسر السلوك الإجرامي وترجعه أساساً إلي دوافع نابعة من عوامل داخلية في شخص المجرم وتبني هذا التفسير أصحاب مذهب الفطرة الشريرة ، ونظريات أخري تفسر السلوك الإجرامي وترجعه أساساً إلي مؤثرات ناشئة من عوامل خارجية بعيدة تماماً عن الشخصية الذاتية للإنسان وتكوينه العضوي والعقلي والنفسي وتبني هذا التفسير أصحاب مذهب الفطرة الخيرة ، فقد ظهرت أيضاً نظريات أخري أعطت تفسيرات لظاهرة الجريمة لا تتشابه مع التفسيرات السابقة وإن كانت لا تمثل اتجاه تفسيري واحد لدوافع السلوك الإجرامي – وهذه التفسيرات قد قررها وتزعم نشرها في معظم المجتمعات القديمة أصحاب مذهب الفطرة المختلطة الذين ذهبوا إلي القول "كما سبق أشرنا" بأن طبيعة كل البشر ليست واحدة – وإنما بعض الناس قد طبعت فطرتهم علي الخير وهم الأسوياء بطبعهم ولا يمكن أن يتحول أحداً منهم إلي مجرم أو شرير ، وبعض ثاني قد طبعت فطرتهم علي الشر وهم المجرمين بطبعهم ولا يمكن إصلاحهم أو من المستحيل تحويلهم إلي أسوياء ، وبعض ثالث توسطت فطرتهم بين الخير والشر وهم يمكن التأثير عليه وتحويلهم إلي مجرمين أشرار أو أسوياء أخيار بالعوامل الخارجية . وبالتالي فإنه علي أساس اختلاف كل طائفة عن الأخري في الطبيعة الإنسانية قد قرر أصحاب هذا المذهب بأن تفسير ظاهرة الإجرام بالنسبة لكل طائفة لا يتشابه مطلقاً مع تفسير الطائفتين الأخرتين ، وإن كانت

تفسيرات الطوائف الثلاثة تختلف تماما مع تفسيرات أصحـــاب مذهبـــي الفطرة الشريرة والفطرة الخيرة السابق عرضها في البابين الأول والثاني

ولكي نوضح مفهوم مذهب الفطرة المختلطة وتفســير المؤسســين لــه لظاهرة الإجرام سنعرض دراستنا في هذا الباب علي النحو الآتي :

الفصل الأول :

سنوضح فيه أساس هذا المذهب ومفهوم أنصاره فـــي تفســير ظاهرة الإجرام .

الفصل الثاني :

سنعرض فيه أهم فلاسفة العالم القديم الذين أسسوا مذهب الفطـرة المختلطة ، وقاموا في ضوء مفاهيم هذا المذهب بتفسير ظـــاهرة الإجرام كما نثبت من خلالهم وجود تفســيرات فــي العصــور القديمة عن أثر العوامل المركبة في السلوك الإجرامي .

الفصل الأول

أهم أسس ومفاهيم مذهب الفطرة المختلطة في تفسير السلوك الإجرامي

يشير أصحاب مذهب الفطرة المختلطة وعلي الأخص الفلاسفة الأوائل الذين قاموا بتأسيسه في شرق وغرب العالم القديم - بأنه إذا كان جميع البشر طبيعتهم الإنسانية ليست واحدة ، وإنما منقسمون من حيث أصل الفطرة وتفسير ظاهرة الإجرام إلي ثلاثة طوائف ، **الأولي** : تضم الأخيار بالطبع ، **والثانية** : تضم الأشرار بالطبع ، **والثالثة** : تضم الذين توسطت فطرتهم بين الخير والشر ، ومن الممكن أن يتحولوا إلي أخيار بالعوامل الخارجية الصالحة أو إلي أشرار إذا كانت هذه العوامل فاسدة - إلا أن ذلك لا يعني أن مفهوم أصل فطرة طائفة الأخيار يتشابه مع مفهوم أصل فطرة مذهب الفطرة الخيرة ، ومفهوم أصل فطرة طائفة الأشرار يتشابه مع مفهوم أصل فطرة مذهب الفطرة الشريرة ، أو أن مفهوم أصل فطرة طائفة الذين توسطت فطرتهم بين الخير والشر يجمع بين مفهوم المذهبين - وإنما يوجد اختلاف ظاهر بين مفاهيم الطوائف الثلاثة وبين مفاهيم المذهبين الآخرين في تحديد أصل الفطرة وفي تفسير ظاهرة الإجرام [١]

ولكي نوضح مظاهر هذا الاختلاف سنعرض مفهوم أصل الفطرة عند كل طائفة وأساس تفسيرها للسلوك الإجرامي ، وذلك علي النحو التالي :

أولا : بالنسبة لطائفة الأخيار بالطبع .

يقول أصحاب هذا المذهب بان طائفة الأخيار بالطبع هم الذين ولدوا وطبيعتهم مفطورة تماما علي الخير - ولا يمكن أن يتحولوا إلي مجرمين أو أشرار إذا تعرضوا لعوامل خارجية فاسدة ، كما لا يمكن أن

---

1 - C . Flugel – Man , Morals and Society . Op . cit . P 31 ets .

يرتكبوا أي جريمة إلا إذا فرضت عليهم ظروف قاسية أو طارئة أو قهرية ليس من السهل دفعها أو الإفلات منها - ولذلك فإن مفهوم مذهب الفطرة المختلطة بالنسبة لأصل طبيعة طائفة الأخيار يختلف عن مفهوم مذهب الفطرة الخيرة السابق عرضه في الباب الثاني ، الذي يقرر بأن الأخيار بالطبع من الممكن أن يتحولوا إلي مجرمين أشرار إذا تعرضوا لعوامل خارجية فاسدة نابعة من البيئة الاجتماعية أو الطبيعية التي يعيشون فيها [١] وأيضا تفسير ظاهرة الإجرام بالنسبة لطائفة الأخيار بالطبع يختلف عن تفسير مذهب الفطرة الخيرة لظاهرة الإجرام ، وتتلخص أوجه هذا الاختلاف في الأتي :

١- الطبيعة الخيرة التي فطر عليها أفراد هذه الطائفة عند ميلادهم ، نقية تماما ولا يوجد بها مطلقا أي أثر للإجرام أو الشر ، وأن هذه الطبيعة صلدة تماما وتملك القوة بمفردها علي أن تظل صافية وتجعل الإنسان يعيش طوال حياته خيرا بالطبع - أي عكس مفهوم أصل طبيعة مذهب الفطرة الخيرة التي لا تصلح بمفردها علي أن تجعل الإنسان يظل دائما من الأسوياء أي خيرا بطبعه وإنما لابد أن تساندها عوامل أخري خارجية مثل التعليم النافع والتربية الحسنة والتهذيب الصالح والتلقين المستمر بالقيم والمبادئ الدينية والأخلاقية [٢]

٢- الدوافع النابعة من العوامل الخارجية الفاسدة التي يعتقد أصحاب

١- د / محمد بيصار - العقيدة والأخلاق - مرجع سابق - ص ٢٠٠

٢ - محي الدين بن عربي الحاتمي الطائي - تهذيب الأخلاق - طبعة ١٣٣٢ هجرية - وأعيد طبعه ومراجعته بمعرفة د /عبدالرحمن حسن محمود عام ١٩٨٦ م - القاهرة - مكتبة عالم الفكر - ص ١٤ .

مذهب الفطرة الخيرة بأنها هي التي تحرك سلوك الإنسان نحو ارتكاب الجرائم ، لا تحدث في اعتقاد أصحاب مذهب الفطرة المختلطة أي أثر في سلوك أفراد طائفة الأخيار بالطبع ولا يمكن أن تعكر صفو طبيعتهم الخيرة .

٣- طبيعة أفراد طائفة الأخيار بالطبع أقوى من البيئة الطبيعية والاجتماعية التي يعيشون فيها لأنها لا تتأثر بها وإنما هي التي تؤثر فيها ، حيث تملك القدرة علي أن تنشر فيها القيم والمبادئ الصالحة النابعة من أصلها الخير - وهذا عكس ما يقرره أصحاب مذهب الفطرة الخيرة حيث يعتقدون بأن البيئة التي تحيط بالإنسان أقوي من طبيعته الخيرة وأنها هي التي تؤثر فيه ولا يؤثر هو فيها [١]

٤- لا يمكن لأفراد طائفة الأخيار بالطبع أن يرتكبوا أي جريمة تحت أي مؤثرات أو دوافع خارجية - إلا في حالة الضرورة القصوي أو الظروف القهرية التي ترغمهم علي ارتكابها مثل حالة الدفاع الشرعي عن النفس أو المال أو العرض أو لإنقاذ حياتهم من الهلاك ، أو من خطر مفاجئ سيلحق بهم ضررا جسيما وبذلك فإذا ارتكبوا أي جريمة نتيجة تعرضهم لهذه الظروف القاسية فإن هذا لا يعني بأن لديهم ميول إجرامية ، وإنما أجبروا وأرغمت إرادتهم علي ارتكابها وطبيعتهم مازالت خيرة ، وذلك مثل من يقوم بدفع إنسان كان يقف أمامه ويطرحه أرضا ويصيبه من أجل الفرار من حريق مدمر أو من منزل ينهار أو

---

١ - د / محمد بيصار - العقدية والأخلاق - مرجع سابق - ص ٢٠٢

من يقوم بارتكاب جريمة سرقة من أجل إنقاذ حياته من هلاك الجـوع أو العطش ، ففي هــذه الحــالات لا يعتــبر مرتكبــها مجرمــا أو لصــا وإنما اندفع إلي ارتكابها وطبيعته كمــا هــي خــيرة و صلــدة عندمــا أحس بأن حياته في خطر أو أنها سوف تهلك ولا سبيل لإنقاذ نفســه إلا بهذا العمل الغير سوي .

بعض أنصار مذهب الفطرة المختلطة يروا بأن الجرائم التــي ترتكــب بدون قصد كالإصابة خطأ أو القتل الخطأ تأخذ نفس صفة الجرائم التــي قد يرتكبها أفراد طائفة الأخيار عندما يتعرضون لظروف قاســية علــي أساس أنها تفتقد أيضا لركن العمد والذين ارتكبوها ليست لديــهم ميــول إجرامية – في حين يري البعض الآخر وهم يمثلون الأغلبية بــأن هــذه الجرائم لا تأخذ نفس الصفة لأنها تخلوا من حالة الضرورة ويتوافر فيها عنصر الإهمال الذي يجب ألا يوجد مطلقا في صفــات أفــراد طائفــة الأخيار بالطبع الذين يتميزون دائمــا بالحكمــة والحيطــة والحــذر [١]

٥- أفراد طائفة الأخيار نيتهم دائما حسنة ويسعوا طوال حياتــهم إلــي تحقيق الخير ونشر كل العوامل الصالحة في المجتمع – وهم أول مــن يشعرون بآلام الناس ومصائبهم – ويجتهدوا بكل ما يملكون من قوة فــي تخفيف هذه الآلام والمصائب عنهم – ويشعرون بالسعادة والســرور إذا

1- Allan Bloom – the closing of the American Mind : How Higher Education Has Failed Democracy and inpouerished the souls of todays studrmis . Simon & schuster . New York – 1988 – p 16-20

تحقق للناس خيرا لأن طبيعتهم نقية ولا تعرف أي معني للكراهية والحقد والحسد والضغينة [١] .

٦- في حالة ارتكاب أحد أفراد هذه الطائفة لأي جريمة نتيجة تعرضه للظروف القاسية أو القهرية السابقة الإشارة إليها - فإنه يشعر بعد ارتكابها بألم شديد وعذاب ضمير قاس بسبب ما أحدثه من ضرر للمجني عليه ، ولذلك يقوم علي الفور بعد أن تزال عنه حالة الخطر أو حالة الظروف القهرية بإصلاح ما أحدثه من ضرر للمجني عليه طواعية ويدون أن يلزمه أحد لكي يرضيه ويأخذ منه التسامح ليرتاح ضميره [٢] وعلي هذا الأساس فإن أصحاب مذهب الفطرة المختلطة يعتقدون تماما بأن طائفة الأخيار بالطبع جميعهم أصلهم طيب وملئ بالخير ، وأنهم مثل المعادن النفيسة كالذهب والماس والألماظ التي لا تصدأ أو تتغير أو تتبدل من زمان لزمان أو من مكان لمكان حتي لو كانت العوامل الخارجية التي تحيط بهم شديدة الفساد وأن جميع العلماء والحكماء والأدباء والفلاسفة وأصحاب الفضيلة والقدسيين الذين ظهروا في مجتمعات العالم القديم كانوا من ضمن أفراد هذه الطائفة [٣]

ثانيا : بالنسبة لطائفة الأشرار بالطبع .

وهم الذين ولدوا وطبيعتهم مفطورة تماما علي الإجرام والشر ، ولا يمكن إصلاحهم أومن المستحيل تحويلهم إلي أسوياء أخيار بأي عوامل

---

١ - د / محمد بيصار - العقدية والأخلاق - مرجع سابق - ص ٢٠٣ .

2 - I . C . F lugl . Man , Morals and Society . op - cit - P. 29

- ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - مرجع سابق - ص ٩٧

خارجية صالحة مثل التربية والتعليم والتهذيب والتلقين المستمر بالقيم والمبادئ الدينية والأخلاقية حتى لو كثفت لهم هذه العوامل وفرضت عليهم قواعد قانونية شديدة الحزم أو وقعت عليهم عقوبات بالغة القسوة وبالتالي فإن مفهوم أصل طبيعة هؤلاء يختلف تماماً عن مفهوم مذهب الفطرة الشريرة السابق عرضه في الباب الأول حيث يقرر أصحابه بأن الأشرار بالطبع من الممكن علاجهم وتحويلهم إلي أسوياء أخيار بالعوامل الخارجية الصالحة (١) - ولذلك فإن تفسير ظاهرة الإجرام بالنسبة لطائفة الأشرار بالطبع يتخلص في الآتي :

١- أن الشر والإجرام قد تملك تماماً طبيعة أفراد هذه الطائفة وتوغل في كيانهم منذ ميلادهم ، وجعلهم غير قادرين مطلقاً أثناء حياتهم علي اكتساب أي عوامل خارجية صالحة تعالج طبيعتهم الشريرة وتحولهم إلي أسوياء أخيار .

٢- طبيعتهم الشريرة صلدة تماماً ولا يمكن علي الإطلاق ترويضها بأي وسيلة من وسائل الإصلاح أو العلاج - ومن المستحيل كبح جماحها وتحجيمتفاعلاتها في تحريك السلوك نحو الإجرام أو الشر عموماً بأي عوامل أو مؤثرات خارجية صالحة (٢)

٣- طبيعة أفراد هذه الطائفة أقوي من البيئة الطبيعية والاجتماعية التي يعيشون فيها لأنها لا تتأثر بها وإنما هي التي تؤثر فيهاوتملك القدرة علي

---

١ - د / محمد بيصار - العقيدة والأخلاق - مرجع سابق - ص ٢٠٢

2- jean pinatel – Lombroso et la Criminalogie – paris – 1977 – p . 541 . ets .

- رو صن - وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة - مرجع سابق - ص ٧ .

أن تنشر فيها الإجرام وأمور الفساد والإنحلال والفوضى وهذا عكس ما يقرره أصحاب مذهب الفطرة الشريرة حيث يعتقدون بأن البيئة التي تحيط بالإنسان أقوي من طبيعته الشريرة وأنها هي التي تؤثر فيه ولا يؤثر هو فيها في حالة ما إذا كانت صالحة وعامرة بالفضيلة والحكمة والأخلاق الطيبة .

٤- أفراد هذه الطائفة لهم ميل أصيل للإجرام مغروس في طباعهم ولا يمكن أن يحدوا عنه ، وبالتالي ليس لديهم أي استعداد للالتزام بالقوانين والأحكام الرادعة ، ولا يجدي فيهم مطلقاً أي عقاب مهما بلغت قسوته وتنوعت أساليبه .

٥- جميع أفراد هذه الطائفة غير قادرين تماماً علي التكيف مع أي بيئة صالحة حتى لو قدمت لهم رعاية متميزة أو عناية خاصة للحد من سلوكهم الإجرامي .

٦ - أفراد هذه الطائفة غير قادرين مطلقاً علي اعتناق أي قيم أو مبادئ دينية أو أخلاقية صالحة ، كما لا يمكن إجبارهم علي الالتزام بالعادات والتقاليد الحسنة التي توجد داخل المجتمع [١] .

٧ - كل أفراد هذه الطائفة نيتهم دائماً سيئة ، ويقوموا طوال حياتهم بارتكاب الجرائم ونشر الفوضى والفساد والانحلال داخل المجتمع - وهم لا يشعرون مطلقاً بآلام الناس ومصائبهم - ويفرحوا إذا تحقق في

---

1 - Thomas Hobbes – leuiathan – op . cit . p 119 ets .
- G. F . F . Hegel – the phenonenology of Mind – Op . cit . 140 ets .
- د / أبو بكر محمد ذكري - تيسير فلسفة الأخلاق - مرجع سابق - ص ٧٧

المجتمع شرا أو كارثة وذلك لأن طبيعته فاسدة ومليئة بالإجرام والحقد والحسد والضغينة وكل أمور الشر .

٨- لا يشعر مطلقا أي فرد من أفراد هذه الطائفة بأي ندم بعد أن ينتهي من جريمته حتى لو كانت جسيمة ومثلت خطورة بالغة في المجتمع الذي يعيش فيه - كما لا يشعر بأي ألم نفسي أو بتأنيب للضمير بسبب ما ارتكبه من جرم وأحدث به ضررا للمجني عليه - وذلك لأن جميع أفراد هذه الطائفة عدماء الضمير وفاقدين تماما الإحساس بآلام الآخرين [١]

٩ - جميع أفراد هذه الطائفة يندفعون نحو ارتكاب الجرائم بلا مبالاة وبدون خوف أو تردد لأن الاستعداد الإجرامي مغروس فيهم ، والجريمة بالنسبة لهم ظاهرة تعبر بوضوح عن الفساد الأصيل الموجود في طباعهم الشريرة [٢]

١٠ - قرر المؤسسين لمذهب الفطرة المختلطة في العصور القديمة بأنه يوجد ارتباط وثيق بين أصل طبيعة طائفة الأشرار وتكوينهم العضوي وأن هذا الارتباط قد جعل أفراد هذه الطائفة لهم أشكال وتقاطيع مختلفة إلي حد ما عن أصل الصفات الإنسانية المنتظمة الموجودة في الأفراد الذين طبعت فطرتهم علي الخير والذين توسطت فطرتهم بين الخير والشر ، وذلك مثل عدم التناسق في شكل الجسم واختلاف حجم وشكل

---

1 - j . c. F lugel – Man. Marals and society – Op . Cit – P 166 ets

- د / عبدالرحمن بدوي - الأخلاق النظرية - وكالة المطبوعات بالكويت - طبعة ١٩٧٥ - ص ٧٧ - ٨٦

٢ - رو صن - وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة - مرجع سابق - ص ١٨ وما بعدها .

الرأس وتشويه العينين ، وعدم تناسب وانتظام تقاطيع الوجه ، وقصر الرقبة وكبر الأنف والفم ، وفلطحة الشفتين والطول الزائد في الزراعين وأصابع اليد والقدمين ، وأنه علي اساس هذا الشكل الغير منظم والتقاطيع السيئة قد أعتبر أصحاب مذهب الفطرة المختلطة طائفة الأشرار بالطبع يشبهون الحيوانات الشرسة أو الوحوش المفترسة أو الكلاب الضالة ، كما اعتبروهم بهذه الصفات الدميمة والأشكال القبيحة يمثلون أعداء البشر والحياة الإنسانية وهذا قد جعل الأسوياء في كل المجتمعات القديمة ينظرون إليهم بالنفور والتقزز ، و يعتبرونهم كالأرواح الشريرة التي لا هم لها سوي لرتكاب الجرائم ونشر الفوضى وكل أمور الفساد .

وهذا الاعتقاد لا يتفق تماماً مع مفهوم مذهب الفطرة الشريرة – وذلك لأن أصحاب هذا المذهب قد قرروا بأنه لا يوجد حكم قاطع يشير بأن هناك ارتباط وثيق بين أصل طبيعة المجرم أو الشرير وبين شكله وملامحه [(١)]

١١- جميع أفراد طائفة الأشرار قد ولدوا بدون ضمير فطري – وحيث أن طبيعتهم الشريرة صلدة ولا تتأثر بأي عوامل خارجية صالحة نابعة من البيئة التي يعيشون فيها – فإنه من المستحيل أن يكتسب هؤلاء ضمير من خلال المران والتجربة – ولذا فإن أفراد هذه الطائفة قد ولدوا

1- Gaston stefani et George levasseur – droit penal general et proc . p . Dalloz – 1971 – P 45 .

- د/ علي راشد – فلسفة وتاريخ القانون الجنائي – طبعة ١٩٧٤ – كلية حقوق عين شمس – ص ١٨٧ .

- د/ نغاتي سند – علم الإجرام – مرجع سابق – ص ١٦ ، ص ١٧ .

بدون ضمير فطري وسيعيشون طوال حياتهم وهم غير قادرين علي اكتسابه [١]

١٢ – وجود أفراد طائفة الأشرار داخل المجتمع يمثل خطراً دائماً علي الأسوياء نتيجة ميلهم الأصيل للإجرام واندفاعهم المستمر في نشر الفوضى والإنحلال والخروج علانية عن النظام والعادات والتقاليد المتبعة داخل المجتمع [٢] – وحيث لا يرجي إصلاح أمر هذه الطائفة أو ردع أفرادها – فقد طالب أصحاب مذهب الفطرة المختلطة أمام خطورة هؤلاء وللوقاية من إجرامهم وكل أفعالهم الشريرة ، بضرورة عزلهم عن باقي أفراد المجتمع الذين يمثلون الطائفتين الأخريتين حتي لا يختلطوا بهم أو يتعاملوا معهم – كما طلبوا أيضاً ضرورة التخلص من أخطرهم بالإعدام ذبحاً أو حرقاً أو بدفنهم أحياء إذا اشتدت خطورتهم وعكروا صفو الحياة داخل المجتمع ولم يفلح معهم العزل أو الإبعاد [٣]

وأمام انتشار فكر هذا المذهب وتفسيره لظاهرة الإجرام في المجتمعات الحضارية التي ظهرت في شرق وغرب العالم القديم – قد اتبعت معظم حكومات هذه المجتمعات تلك الوسائل لتحقق الدفاع الاجتماعي والوقاية من الخطورة الناجمة من أفراد هذه الطائفة الشريرة علي الهيئة الاجتماعية – وصفحات التاريخ مليئة بهذه الشواهد وذلك مثل ما نصت عليه قوانين بلاد ما بين النهرين والإغريق والرومان والفرس بما كان يتبع مع

1 - E.Mounier – Traite de Caracrtere . Paris – 1946 – p 708 ets
– Max scheler – le sens de la souffrance – paris – 1963 – p 88
2 - j . c. Flugel - Man, Morals and society – op . cit . p 169
٣ – ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع – مرجع سابق – ص

عتاة الإجرام حيث كان يتم التخلص منهم بالإعدام ذبحاً أو حرقاً ، وأيضاً ما كان يتخذه ملوك وأباطرة الصين مع أخطر المجرمين بالفطرة حيث كانوا يدفنوهم أحياء أو يمزقوا أجسادهم بمنشار حتي يتخلصوا من شرهم ، وما نص عليه في قانون مانو بالهند القديمة بالنسبة لطبقة المبنوذين حتي اعتبر معظمهم من المجرمين بالفطرة وأمر بعزلهم ، وحرم علي جميع أفراد الشعب الذين يمثلون الطبقات الأخري أن يختلطوا معهم أو يتصلوا بهم أو يلمسوهم حتى يتجنبوا أفعالهم الشريرة وسلوكهم الإجرامي [1] .

وحيث أن النظام الطبقي كان متبع في كل المجتمعات القديمة ، فكانت بعض هذه المجتمعات تلحق طائفة الأشرار بالطبع ضمن طبقة العبيد ، والعبيد في معظم هذه المجتمعات وعلي الأخص المجتمعات الغربية التي مثلها حضارياً الإغريق والرومان لم تكن لهم أي حقوق علي الإطلاق وإنما كانوا مثل الأشياء أو الحيوانات التي تباع وتشتري وكان يجوز للأحرار أن يسخروهم بلا رحمة أو شفقة أو يكلفوهم بالأعمال الشاقة التي تفوق بقدر كبير جداً قدراتهم وطاقاتهم ، كما كان يجوز للأحرار أيضاً أن يعذبوهم بقسوة شديدة قد تصل إلي حد القتل دون أدني مسئولية علي أساس أنهم كانوا يعتبرونهم من أصحاب الطبيعة

---

١ - اندريه كريسون - المشكلة الأخلاقية والفلاسفة - ترجمة الدكتور عبدالحليم محمود - والدكتور / أبو بكر محمد ذكري - طبعة ١٩٧٩ - مطابع دار الشعب بالقاهرة - ص ٥٤ وما بعدها .

الشريرة ، وكان غالباً يتم قيد أيديهم وأرجلهم بالسلاسل الحديدية حتي لا يهربوا ويمثلوا خطراً علي المجتمع [١] .

- ونلاحظ من خلال ذلك أن تفسير هذا المذهب لظاهرة الإجرام بالنسبة لطائفة الذين طبعت فطرتهم علي الشر لا يختلف كثيراً في جوهره العام أو في مفهوم أساسياته لدوافع المحركة لارتكاب الجريمة عن تلك التفسيرات الخاصة بأثر الفطرة في السلوك الإجرامي التي جاء بها علماء علم الإجرام في العصر الحديث - وعلي الأخص العالم الإيطالي سيزار لمبروزو (Cesar lambroso) الذي ولد في عام ١٨٣٥ م وتوفي في عام ١٩٠٩ م حيث أطلق علي أفراد هذه الطائفة الشريرة صفة المجرمين بالفطرة أو بالميلاد ، وأن كان قد أضاف علي التفسير القديم بعض النتائج التي استخلصها من أبحاثه ودراساته وهي تتعلق بشكل وملامح مجرمين هذه الطائفة ووضعها في مؤلفه الشهير (الإنسان المجرم) (L'homme Crimial) الذي صدر في عام ١٨٧٤م ، وأغفل فيه كل أثر لعامل البيئة والظروف الاجتماعية في نشأة الجريمة [٢]

---

١ - د / عبدالسلام الترمانيني - محاضرات في تاريخ القانون - طبعة ١٩٦٤ - كلية الحقوق - جامعة حلب - سوريا - ص ٦٧ - ص ٦٨

- عمر ممدوح مصطفي - القانون الروماني - الطبعة الخامسة ١٩٦٥ / ١٩٦٦ - دار المعارف بالقاهرة - ص ١٢٤ وما بعدها

- د / عبدالمنعم البدراوي - تاريخ القانون الروماني - الطبعة الأولي ١٩٤٨ ، ١٩٤٩ - دار الثقافة بالقاهرة - ص ٦٧ - ص ٧٠ .

٢ - د / رمسيس بهنام - المجرم تكويناً وتقويماً - طبعة ١٩٧٩ - كلية الحقوق - جامعة الإسكندرية - ص ٤٠

- د / مأمون سلامه - أصول علم الإجرام والعقاب - طبعة ١٩٧٩ - كلية الحقوق - جامعة القاهرة - ص ٢٩ -

- د / رؤوف عبيد - مبادئ علم الإجرام - الطبعة الثانية ١٩٧٢ - دار الفكر العربي - ص ٥١ ، ص ٥٢

- د / غالي سند - علم الإجرام - الطبعة الثالثة ١٩٨٩ - ١٩٩٠ - كلية الحقوق - جامعة الزقازيق - ص ١٦ وما بعدها

– وإذا كان لمبروزو ومن اتبعه من العلماء مثل رافائيلي جارو فالوا (raffaele Garofalo) (١٨٥١ م – ١٩٣٤ م) قد توسعوا في تفسيراتهم عن أثر الفطرة في السلوك الإجرامي بالنسبة لأفراد طائفة الأشرار بالطبع – فإن هذا التوسع لم يخرج عن كونه مرحلة تطورية للفكر الإنساني القديم وليس تفسيراً جديداً ظهر لأول مرة . كما أن النتيجة التي انتهي إليها لمبروزو بالنسبة لأفراد هذه الطائفة بأنه من المستحيل علاجهم أو إصلاح أمرهم وبأنهم يمثلون أشد الفئات خطراً علي الهيئة الاجتماعية ولا سبيل للوقاية من إجرامهم وكل أفعالهم إلا بإعدامهم أو بإبعادهم نهائياً عن المجتمع من خلال احتجازهم احتجازاً مؤبداً [١] وهي نفس النتيجة التي قررها أصحاب مذهب الفطرة المختلطة بالنسبة لطائفة الأشرار بالطبع في العصور القديمة والتي سبق أن أشرنا إليها .

ثالثاً : بالنسبة لطائفة الذين توسطت فطرتهم بين الخير والشر .

يقول أصحاب مذهب الفطرة المختلطة بأن أفراد هذه الطائفة ولدوا وطبيعتهم أو فطرتهم قد توسطت بين الخير والشر ، وهم يمثلون أعلي نسبة في مجموع البشر ، وعددهم قد يساوي تقريباً مجموع عدد أفراد الطائفتين الآخرتين (**الأخيار بالطبع والأشرار بالطبع**) ، ومن خلال البيئة التي يعيشون فيها وما يلقن لهم من تعليم ومعرفة قد يتحولوا إلي أخيار صالحين أو إلي أشرار ومجرمين [٢] – وحيث أن هذا المفهوم يعني أن أصل طبيعة أفراد هذه الطائفة يختلف تماماً مع أصل طبيعة

---

١ – د . رؤوف عبيد – مبادئ علم الإجرام – مرجع سابق – ص ٥٢ .

٢ – د / محمد بيصار – العقيدة والأخلاق – مرجع سابق – ص ٢٠٣

الطائفتين الآخرتين – فإن مفهوم أصل طبيعة الذين توسطت فطرتهم بين الخير والشر وتفسير ظاهرة الإجرام بالنسبة لهم . يتخلص في الآتـــي :

١- أفراد هذه الطائفة ولدوا وفطرتهم تحمل بذور من الخير وقدرمساوي لها من بذور الشر – أي في طبيعتهم ميل إلي الخير وميل آخر يعادلـــه إلي الإجرام والشر .

٢- طبيعة أفراد هذه الطائفة غير صلدة ، ولذا فإنه من الممكـــن جـداً التأثير عليها وجعلها تتحول كلية إلي الخير أو تجنح إلي الإجرام والشر.

٣- طبيعة أفراد هذه الطائفة أضعف من البيئة الطبيعيـــة والاجتماعيـــة التي يعيشون فيها ولذا فإنها تتأثر بها ولا يمكن أن تؤثر هي فيها وهـــذا عكس طبيعة أفراد الطائفتين الآخرتين لأنهما أقوي من البيئة ويؤثـــران فيها دون أن يتأثرا بها علي الإطلاق [١]

٤- ضمير افراد هذه الطائفة فطري ومتأرجح بين سمات الخير وبراثـن الشر ، ومن خلال المران والتجربة قد يكتسب النقاء والصلاح وتتوقـف فيه تفاعلات براثن الشر وقد يكتسب العكس وتتوقف فيه كـــل سـمات الخير والفلاح ويصبح متحركاً فقط بسموم الحقـد والحسـد والكراهيـة والضغينة والخداع والغش والخيانة [٢]

---

١ - رو صن – وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة – مرجع سابق – ص ١٩

- R . Le senne – Traite de Morale generale – poris – 1947 – p . 628
- j .c . Flugel . Man, Morals and society – op . cit – p . 91 .

2 - E . Boiroc . Lecons de Morale – paris . 1910 – p . 7 ets
- le senne – Traite de Morale generale – op . cit – p 314

٥ - والدوافع والمؤثرات التي تحرك سلوك أفراد هذه الطائفة نحو ارتكاب الجرائم وأمور الشر الأخري ترجع إلي عوامل داخلية موجودة في أصل فطرتهم مع عوامل أخري خارجية فاسدة نابعة من البيئة الطبيعية الاجتماعية التي يعيشون فيها - أي أن ظاهرة الإجرام عند أفراد هذه الطائفة تكون بسبب عوامل مركبة بعضها داخلي في شخص الجاني والبعض الآخر خارجي موجود في البيئة التي يعيش فيها - وعلي هذا الأساس قد انفردت طائفة الذين توسطت فطرتهم بين الخير والشر بتفسير متميز للسلوك الإجرامي عن تفسيرات المذاهب الفطرية الأخري التي لا تقرر سوي عوامل واحدة فقط كأثر للسلوك الإجرامي وذلك لأن مذهب الفطرة الشريرة لا يعترف مطلقاً إلا بالعوامل الداخلية الموجودة في أصل طبيعة الإنسان كأثر للسلوك الإجرامي ويؤيده في ذلك مذهب الفطرة المختلطة بالنسبة لطائفة الأشرار بالطبع ومذهب الفطرة الخيره لا يعترف بأي دوافع أو مؤثرات تحرك السلوك الإجرامي إلا إذا كانت نابعة من العوامل الخارجية الموجودة في البيئة التي تحيط بالجاني (١) .

ورغم أن أصحاب مذهب الفطرة المختلطة قد تصدوا بعنف لكل من عارض رأيهم عن أثر العوامل المركبة في تفسير السلوك الإجرامي لطائفة الذين توسطت فطرتهم بين الخير والشر - إلا أنهم قد انقسموا إلي فريقين من حيث فاعلية كل من العوامل الداخلية والعوامل الخارجية وأيهما أقوي في بداية التأثير علي الأخرى .

---

١ - د / محمد بيصار - العقيدة والأخلاق - مرجع سابق - ص ٢٠١ وما بعدها

- thomas Hobbes – leuiathan – op . cit – p . 122
- G . Hegel – the phenomenology of Mind – op . cit – p 145

الفريق الأول : يري أن العوامل الداخلية الكامنة في طبيعة الإنسان هي أكثر فاعلية وأقوي تأثيراً علي السلوك الإجرامي من العوامل الخارجية التي تتفاعل معها في تحريك هذا لسلوك في حين يري **الفريق الثاني** : العكس ويقرر بأن العوامل الخارجية المحيطة بالإنسان والموجودة في البيئة التي يعيش فيها هي أكثر فاعلية وأقوي تأثيراً علي السلوك الإجرامي من العوامل الداخلية الفاسدة التي تستجيب معها في تحريك هذا السلوك .

– وإذا كان هذا الانقسام قد ظل موجوداً طوال العصور القديمة دون أن تكون لأي فريق كفة أرجح عن الأخر [1] ، إلا أنه خلال العصور الوسطي وعلي الأخص بعد ظهور الإسلام قد رجحت كفة الفريق الثاني [2] ، ثم في العصور الحديثة بعد أن تبلورت فلسفة وحدة الإنسان أصبح عدد الفريق الأول قليل جداً والفريق الثاني يمثل معظم أنصار هذا المذهب [3]

– والعوامل الداخلية والخارجية التي تعتبر عوامل مركبة في نظر أصحاب هذا المذهب هي نفس العوامل الداخلية التي يقررها أصحاب مذهب الفطرة الشريرة ونفس العوامل الخارجية التي يقررها أصحاب مذهب الفطرة الخيرة ، وحيث أنه قد سبق عرض أهم هذه العوامل في

---

١ - روص - وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة - مرجع سابق - ص ٢١

- لويس بازان - وحدة الإنسان في الفكر التركي المغولي - ترجمة محمد جلال عباس - القاهرة - ١٩٨٩ - ص ٣٥ - ٤٢

٢ - محمد أركون - وحدة الإنسان في الفكر الإسلامي - ١٩٨٤ - الجزائر - ص ٥٧ - ٦٥ .

٣ - د. رؤوف عبيد - مبادئ علم الإجرام - مرجع سابق - ص ٢١٢ وما بعدها .

الباب الأول والثاني فإننا سنكتفي بذلك حتي نبعد عن التكرار وعن الإطالة في عرض ما هو ليس جوهري في هذه الدراسة .

٦ - إذا تحول أحد أفراد هذه الطائفة إلي مجرم أو شرير ، وارتكب جرائم عديدة - فإنه من الممكن علاجه وتحويله إلي إنسان خير بالعوامل الخارجية الصالحة - لأن طبيعته التي توسطت بين الخير والشر غير صلدة ، ولذا فإن كانت سمات الخير قد توقفت عنده عندما تحول إلي مجرم أو شرير ، فإن العوامل الخارجية الصالحة تملك القدرة علي ان تشعل فيها النشاط مرة أخري لكي تتمكن بقوة في إسكات براثن الشر وإيقاف كل تفاعلاتها المؤثر علي السلوك وبالتالي فإن طبيعة أفراد هذه الطائفة عندما يتحولوا إلي مجرمين أو أشرار ليست مثل طبيعة طائفة الأشرار الصلدة التي لا يمكن علاجها علي الإطلاق أو كبح جماحها أو تحجيم تفاعلاتها المؤثرة علي السلوك [1]

٧ - إذا قام أحد أفراد هذه الطائفة بارتكاب أي جريمة معينة بعد أن يتحول إلي مجرم أو شرير - فإنه لا يفقد الإحساس تماماً بالندم بعد أن ينتهي من جريمته مثل أفراد طائفة الأشرار بالطبع ، وأيضاً لا يفقد الشعور تماماً بالألم النفسي وتأنيب الضمير بسبب ما ارتكبه من جرم وأحدث به ضرراً للمجني عليه مثل أفراد طائفة الأشرار بالطبع ، وذلك لأن أفراد طائفة الذين توسطت فطرتهم بين الخير والشر قد ولدوا

---

١ - د / حسن شحاته سعفان - علم الجريمة - القاهرة - ١٩٦٦ - مكتبة نهضة مصر - ص ١٠١ وما بعدها

بضمير فطري وإن كان متأرجح بين سمات الخير وبرائن الشر[١] وترتيباً علي ما تقدم – لم يكن المذهب التكاملي لعلم الإجرام الذي ظـــهر فـــي منتصف القرن التاسع عشر الميلادي وتولي زعامته الكثير من علمـــاء أوربا ، علي رأسهم الإيطاليين **بنينـــو ديتوليـــو Beynino Di Tullio ونيكولا بندي N. Pende** والعـــالم الســـويدي **أولـــوف كينـــبرج olof Kinberg** هو أول من قام بتفسير ظاهرة الإجرام وأرجعها إلي عوامـــل مركبة بعضها داخلي في طبيعة الإنسان والبعض الأخر خـــارجي فـــي البيئة والوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه[٢] ، وإنما ســـبقه فـــي ذلـــك العلماء والفلاسفة أصحاب مذهب الفطرة المختلطة في العصور القديمـــة عندما قاموا بتفسير السلوك الإجرامي لأفراد طائفـــة الذيـــن توســـطت فطرتهم بين الخير والشر ولذلك فإن المذهب التكاملي لم يكـــن ســـوي مرحلة تطورية للفكر الإنساني القديم عن أثر العوامـــل المربكـــة فـــي السلوك الإجرامي .

– ولكـــي يؤكـــد أصحـــاب مذهـــب الفطـــرة المختلطـــة اعتقـــادهم بأن طبيعة البشر ليست واحدة ويبرهنوا تفســـيرهم لظـــاهرة الإجـــرام

---

1 - Max scheler – le sems de la souffrance – op – cit – p 91
- V . j ankelevitch - La mauvaise conscience – paris. AL can – 1939 – pp 54 – 55
– د / عبدالرحمن بدوي – الأخلاق الفطرية – مرجع سابق – ص ٧٧ – ٨٦

2 - B . Di tullie – principi di Crimenalogia – Roma – 1954 . pp – 7 – 81 .
- N . Pende . trattato di biolipologia umana – Milano 1939 – pp . 11 ets .
- Olof . Kinberg. Les problemes fondomentoux de la criminologe . trad . fr . 1960 – pp 39 – 92 .
– د / رؤوف عبيد – مبادئ علم الإجرام وعلم العقاب – القاهرة ١٩٨٣ – ص ٨٥
– د / نجاتي سيد – علم الإجرام – مرجع سابق – ص ١٨٤ وما بعدها .
– د / سلوي توفيق بكير – مبادئ علم الإجرام وعلم العقاب – القاهرة ١٩٨٣ – ص ٨٥ .

– قد قرروا نفس ما انتهجه أصحاب مذهب الفطرة الشريرة عن مراحل ظهور الجماعات الإنسانية وتطورها عبر التاريخ ولكن بتبرير آخر استندوا عليه كسياج منطقي لانقسام طبيعة البشر إلي ثلاث طوائف،وهذا التبرير يتلخص في الآتي :

* في العهود الأولي لتاريخ البشرية ، وخلال أزمان العصر الحجري القديم كان أفراد الجماعات البدائية وهم يتجولون في الجبال والأحراش والغابات بحثاً عن القوت اليومي لهم ، منقسمون إلي ثلاث طوائف – **الأولي** : الأخيار بالطبع وكان عددهم قليل جداً ، **والثانية** : الأشرار بالطبع وكان عددهم كثير جداً ، **والثالثة** : تضم الذين توسطت فطرتهم بين الخير والشر وكان عددهم يزيد عن طائفة الأخيار ويقل عن طائفة الأشرار ، وحيث أن الحياة الإنسانية في ذات الوقت كانت قاسية للغاية ، والقوة كانت هي الأساس لجمع القوت وحماية النفس من الأخطار – فقد دخل طائفة الأشرار بالطبع في صراع مرير مع بعضهم البعض بعد صراعهم مع طائفة الأخيار ، ولذلك ساد في هذا العصر مبدأ القوة تنشئ الحق وتحميه .

* بعد أن ظهرت العقائد الدينية وتبلور مفهوم التدين عند الجماعات الفطرية وأصبح لكل جماعة رجال دين تولوا إقامة لطقوس وغرس مبادئ العقيدة الدينية في نفوس الناس إلي جانب تهذيب أخلاقهم وجعلهم يتحلوا بالورع والتقوى – ازداد عدد الأسوياء والصالحين نتيجة تحول بعض من الذين توسطت فطرتهم إلي طائفة الأخيار ... واستمر هذا التزايد إلي أن أصبح عدد الأخيار يزيد عن عدد الأشرار ، وظهر علي أثر ذلك مبدأ تهذيب القوة بالالتجاء إلي نظام التصالح والتحكيم ، ثم

تطور هذا المبدأ مع زيادة عدد الأتقياء والصالحين وظـــهرت مرحلـــة القواعد الدينية لتنظيم العلاقات بين أفراد الجماعة وضبـــط ســلوكهم .

* مع استمرار تطور الحياة الإنسانية وتبلور المفاهيم الدينية والأخلاقيــة والفلسفية عند الناس خلال العصور القديمة ظــهرت القواعــد العرفيــة لضبط سلوك الأفراد بعد أن ظهرت الدولة ثم دونت هذه القواعـــد فــي شكل شرائع بناء علي أوامر من السلطة الحاكمة أو بناء علي مطـــالب الشعب - وأنه في ضوء هذه الشرائع تم إحكام السيطرة علي معظم أفراد طائفة الأشرار ، أما بإعدامهم للتخلص من خطورتهم علي المجتمـــع أو بقيد حريتهم إلي الأبد في أماكن خصصت لذلك حتي لا يختلطوا بالشعب ويرتكبوا الجرائم داخل المجتمع .

- وبناء علي هذا التبرير يقول أيضاً أصحاب مذهب الفطرة المختلطـــة بأنه لولا وجود طائفة الأخيار ، وطائفة الذين توسطت فطرتهم وتحـــول بعضهم إلي أخيار بالتعليم والتهذيب والتلقين المستمر بالقيم والفضائل ما استمرت الحياة الإنسانية وتطورت عبر التاريخ ... وأنهم في ضوء هـــذا القول قد عارضوا مفهوم التبرير الذي استند عليه أصحاب مذهب الفطرة الشريرة علي أساس أنه لو كان طبيعة كل البشر مفطورة علـــي الشـــر لكانت الحياة البدائية عبارة عن صراع مستمر ولا بـــد أن تنتـــهي لأن الأقوياء سوف يتخلصون من الضعفاء ثم يدخلون بعد ذلك في صراع مع بعضهم البعض باعتبارهم جميعاً أشرار حتى يقضوا تماماً علي أنفســـهم وبالتالي فإن الحياة الإنسانية كانت ستنتهي في مرحلتها الأولي لو أخـــذ بالتبرير الذي استند عليه أصحاب مذهب الفطرة الشـــريرة ... وأيضـــاً عارضوا التبرير الذي استند عليه أصحاب مذهب الفطـــرة الخـــيرة ...

علي أساس أنه لو كان جميع البشر طبيعتهم مفطورة علي الخير فمن أين أتي الشر ومن الذي ارتكب الجرائم ، ومن المعلوم والمؤكد أن الحياة البدائية كانت مليئة بالصراع وساد فيها مبدأ القوة تنشئ الحق وتحميه .. وأن الشر والإجرام قد ظهر منذ بداية ظهور الحياة الإنسانية واستمر مع تطورها ولم ينتهي ما دامت هذه الحياة مستمرة ، ويعيش فيها الأخيار والأشرار والذين توسطت طبيعتهم بين الخير والشر [1].

وذلك يعتقد أصحاب مذهب الفطرة المختلطة بأن التبرير الذي استندوا عليه هو الأساس الذي يعبر عن مراحل تطور الحياة الإنسانية في ضوء مفهوم مذهبهم عن أصل الطبيعة الإنسانية للبشر وتفسيره المنطقي لظاهرة الإجرام .

---

١ - د / نور الدين إشراقية - معركة الحياة - مرجع سابق - ص ١٥ وما بعدها .

- رو صن - وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة - مرجع سابق - ص ٢٣ وما بعدها .
- لويس بازان - وحدة الإنسان في الفكر التركي المغولي - مرجع سابق - ص ٣٩ وما بعدها .
- محمد أركون - الوحدة الإنسانية في الفكر الإسلامي - مرجع سابق - ص ٦٣ ، ص ٦٢ .

- Thomas Hobbes – Leuiathan – Op . cit – p . 37 ets .

الفصل الثاني

أهم فلاسفة العالم القديم المؤسسين لمذهب الفطرة المختلطة وتفسيره للعوامل المؤثرة في السلوك الإجرامي

تقديـــــم :

تشير المصادر التاريخية بان الفلاسفة الأوائل الذين اعتقدوا بأن طبيعـــة جميع البشر ليست واحدة وعبروا عن ذلك في منهجهم الفلسفي لم يحددوا بالكامل مفاهيم مذهب الفطرة المختلطة الذي يقرر بأن البشر منقســمون إلي ثلاث طوائف ، وأن لكل طائفة تفسير معين لظاهرة الإجرام وإنمــا اكتفوا فقط بالقول بأن طبيعة الناس ليست واحدة وأن بعضهم قد فطـــر علي الخير والبعض الآخر قد فطر علي الشر وعــارضوا بذلـك آراء أصحــاب مذهــب الفطــرة الخــيرة ومذهــب الفطــرة الشــريرة [١] وعلي هذا الأساس يعتبر الفلاسفة الأوائل قــد وضعــوا فقــط البــذور الأساسية لمذهب الفطرة المختلطة دون أن يحــددوا بالكــامل مفــاهيم وتفسيرات هذا المذهب وأصل طبيعة كل طائفة - وأهم هؤلاء الفلاســفة بتاح حتب وأفلاطــون وارســطوا وتتخلــص ســيرتهم فــي الآتــي :

* بتاح حتب Ptah Hotep :

فيلسوف مصري ظهر في عام ٢٧٠٠ ق . م . ولعلمه وفطنتــه عيــن حاكم لمدينة ممفيس ، وبعد أن اكتسب شهرة في الحكمة والعدل أختــاره ملك مصر رئيسا لوزرائه ، وعندما اقتربت حياته من نهايتــها أعــتزل منصبه وكرس نفسه لتعليم النشئ والتنديد بالمجرمين الأشــرار الذيــن يرتكبون الجرائم ويشيعوا الفوضـــى والانحــلال داخــل المجتمــع [٢]

- اعتقد هذا الفيلسوف بأن طبيعة البشر ليست واحدة وإنما بعض النــاس قد فطروا علي الخير والبعض الآخر قد فطروا علي الشر و أن الذيـــن

---

١ - د / نور الدين إشراقية - معركة الحياة - مرجع سابق - ص

2 - Andre Aymard et jennine Auboyer - op - cit - p . 72 .

فطروا علي الخير قد ظهر منهم العلماء ورجال الدين والحكماء والأتقياء والصالحين ، أما الذين فطروا علي الشر فقد ظـــهر منـــهم المجرميــن والسفاحين والطغاة الذين يمثلون خطراً علي المجتمع وعلي هذا الأساس كان دائماً يطالب الذين تتوافر فيهم طبيعة الخير أن يتصدوا بكل قوة لمن تظهر فيهم صفات الطبيعة الشريرة حتى يتغلبوا عليهم وينتصر دائمـــا الخير علي الشر من أجل أن تســـتمر الحيـــاة الإنســانية وتتطــور [١] – ونتيجة للشهرة التي اكتسبها بتاح حتب بين فلاسفة العالم القديم – قـــد قال عنه المفكر الأمريكي هنري توماس بأنه { مـــن أوائــل الفلاســفة المصريين وأول فليسوف في العالم أعطي أكبر المثـــل فـــي الحكمـــة والفضيلة – كما يعد أيضاً أول فيلسوف في العالم يبرز معنـــــي وحـــدة الإنسانية تحت ألوهية واحدة وبأن هناك إله واحد لجميع البشــــر – وأن مخطوطاته في الحكمة وتعاليم الأخلاق قد أثرت في الفيلسوف اليونـــاني أفلاطون الذي ظهر بعده بما يقرب بنحو ٢٣٠٠ ســـنة ، كمـــا أثـــرت الصورة التي رسمها للرجل المتحلي بالأخلاق في أرسطو تلميذ **أفلاطون** عندما رسم صورة الرجل الكامل المتزن الشخصية } [٢]

*** أفلاطون Aflatoon :**

ولد في أثينا عام ٤٢٧ ق . م ، وهو تلميذ سقراط ومن أشـــهر فلاســـفة العالم القديم – ويقول معظم العلماء والمفكرين بأنه قد نزل من الســـماء ليرسم للبشر الطريق الذي يجب أن يسيروا فيه نحو الخير ولذلك أطلـــق

---

1 - Henry thomas – the Great Philosophers – Op . cit – P . 4

– شارل ورنر – الفلسفة اليونانية – مرجع سابق – ص ٢١ .

2 - Henry Thomas - The Great Philosophers – op . cit – p . 5

عليه فيلسوف المثل والتخطيط لعالم أفضل ، وفلسفته عن المثل تعني أن كل إدراك كلي له حقيقة خارجية تعبر عن صورته ، وهـذه الحقـائق الخارجية هي المثل ، وهذه المثل عديدة كـالعدل والحكمـة والفضيلـة والشجاعة والجمال ، وأن كل المثل تسير نحو المثال الأعلى للخير [١] .

وقد أشار في عبارات عديدة عن اعتقاده بأن طبيعة البشر ليست واحـدة مثل قوله بأن { **الناس متفاوتين في طبيعتهم فمنهم من ولد خيراً ومنهم من ولد خبيثاً شريراً – ولذا يجب ألا يقدم العلم والمعرفـة إلا للأفـراد الذين يتميزون بالأخلاق الفاضلة والحكمـة ويطلـق عليـهم الأرواح الذهبية)** [٢] **– وقوله أيضاً .. (أن المثل خالدة إلي الأبد ولكن النفـوس المفردة هي إما خسيسة أو شريفة** } – وعلي هـذا الأسـاس يعتـبر أفلاطون من ضمن الفلاسفة الأوائل الذين وضعـوا البـذور الأساسـية لمذهب الفطرة المختلطة دون أن يحددوا المنهج المتكامل لهذا المذهـب وذلك لأن أفلاطون كان مثل **بتاح حتب** في الاعتقاد بأن البشر إما أخيار بالطبع أو أشرار بالطبع ولذا لم يشير أحداً منهما في منهجه الفلسفي بأن الناس منقسمون إلي ثلاث طوائف وحدد بوضوح أصل طبيعة كل طائفة وتفسير ظاهرة الإجرام بالنسبة لأفرادها – والدليل علي ذلك أيضـاً أن أفلاطون قد قالها صراحة فـي بعـض كتاباتـه بـأن طبـائع البشـر بين الخـير والشـر ولـم يقـول بـأن هنـاك طائفـة مـن النـاس

---

١ – د / محمد بيصار – الفلسفة اليونانية – مرجع سابق – ص ٩٨ ، ص ١٠٩

٢ – رو صن – وحدة الإنسان في الفلسفة الصينية القديمة – مرجع سابق – ص ١٧

– رؤوف عبد – مبادئ علم الإجرام – مرجع سابق – ص ١

توسطت فطرتهم بين الخير وبين الشر [١] - كما كان يعتقد بأن فلسفة العقوبة يجب أن تتحدد وتسير نحو ثلاث غايات كالأتي :

١- جبر ما حدث من ضرر .

٢- إصلاح من (وما) هو قابل للإصلاح .

٣- اقصاء من لا يرجى له الشفاء .

وهو بذلك يشير بأن البشر منقسمين إلي أخيار وأشرار كما يعبر عن مدي الترابط بين فلسفة العقاب ومفهوم علم الإجرام . [٢]

* **ارسطو Arstoo :**

ولد في عام ٣٨٤ ق . م . بمدينة (**اسطاغيرا**) التي كانت مستعمرة يونانية وتبعد حوالي ٣٢٠ كيلومتر عن أثينا - وهو تلميذ أفلاطون ومن أكثر فلاسفة العالم القديم شهرة كما أنه أيضا من أفضل ما أنجبته الحضارة الإغريقية للفلسفة العالمية - وحيث أنه يعتبر صاحب أول نظرية للفلسفة العقلية عن الطبيعة ، وأشار كثيرا إلي مفهوم الفطرة الإنسانية وحدد كل معاني الخير والشر [٣] ، إلا أن منهجيه الفلسفي يؤكد تماما بأنه كان مثل بتاح حتب وأفلاطون في الاعتقاد بأن طبيعة البشر غير متحدة وأن الناس أما أخيار بالطبع وإما أشرار بالطبع [٤] والدليل علي ذلك أنه قال بأن { **العقل الكامل هو الله ، ومقياس الرقي والانحطاط هو مقدار ما يتمتع به الكائن من عقل والعقل يعبر عن طبيعة الإنسان إذا كانت خيرة أم شريرة** } ومعني ذلك أنه يشير بفكره الفلسفي بأن الله هو الكمال الكلي للخير باعتباره صاحب العقل الكامل ،

---

1 - Henry Thomas – The Great Philosophers – op . cit – p 108 ets

٢ - د . محمود عز العرب السقا - أضواء علي فلسفة العقوبة (العقوبة العظمي) عقوبة الإعدام - مرجع سابق - ص ٤٥ .

٣ - شارل فرنر - الفلسفة اليونانية - مرجع سابق - ص ١٢٨ وما بعدها .

4 - Henry Thomas – The Great Philosophers – op . cit – P 108 ets

وأن الفرق بين الإنسان الخير والإنسان الشرير هو مقدار ما يتمتع به كل منهما من عقل ، وأن هناك ارتباط وثيق بين العقل والطبيعة الإنسانية - فالإنسان الخير هو الذي يتمتع بقدر كبير من العقل والإنسان الشرير هو الذي لا يتمتع بالعقل - ولم يشير أيضا بأن الناس ينقسمون إلي ثلاث طوائف وأن لكل طائفة مفهوم خاص عن أصل الطبيعة الإنسانية وعن تفسير ظاهرة الإجرام بالنسبة لأفرادها [١]

- وعلي هذا الأساس يعتبر كل من بتاح حتب وأفلاطون وأرسطو هم أشهر الفلاسفة الأوائل الذين ظهروا في شرق وغرب العالم القديم وقاموا بوضع البذور الأساسية لمذهب الفطرة المختلطة - أما الفلاسفة الذين وضعوا المفهوم المتكامل لهذا المذهب وقسموا البشر إلي ثلاث طوائف **الأولي** : تضم الأخيار بالطبع وهم الأسوياء الصالحين في المجتمع ولا يمكن أن يتحولوا إلي مجرمين أو أشرار بأي مؤثرات خارجية فاسدة ، **والثانية** : تضم الأشرار بالطبع وهم المجرمين الأشرار الذين يمثلون خطرا جسيما علي المجتمع وأن معظمهم لهم وجوه دميمة وأشكال قبيحة ولا يمكن علي الإطلاق علاجهم وتحويلهم إلي أخيار أسوياء بأي عوامل خارجية صالحة ، **والثالثة** : تضم الذين توسطت فطرتهم بين الخير والشر وهم قد يتحولوا إلي أخيار أسوياء أو إلي مجرمين أشرار بالعوامل المركبة - فقد ظهروا بداية من القرن الخامس قبل الميلاد وأشهرهم **هان في تسي ، وفيلو ، وجالينوس** .
ولكي نثبت بأن المفهوم المتكامل لمذهب الفطرة المختلطة وتفسيره لظاهرة الإجرام قد ظهر وانتشر في معظم مجتمعات العالم القديم سنعرض موجز عن منهج كل فيلسوف من هؤلاء الفلاسفة الثلاثة لنحدد مفهومه لمذهب الفطرة المختلطة ومدي تفسيره لظاهرة السلوك الإجرامي .

---

١ - د / نور الدين الشراقية - معركة الحياة - مرجع سابق - ص ٢٣٥ ، ص ٢٣٦

هان فيى تسي

- فيلسوف صيني ولد في عام ٢٨٠ قبل الميلاد في مملكة هان (Han) أواخر حقبة الممالك المتحاربة - وهو من أسرة ارستقراطية تنتمي بصلة القرابة إلي الأسرة المالكة في مملكة هان - تعلم منذ صغره مفاهيم الفكر الأدبي والفلسفي ، وفي شبابه كان دائماً يعبر عن آرائه نحو مفهوم الحياة بصراحة تامة وبدون خوف أو تردد .

- أهتم بدراسة فكر الفلسفة (الطاوية) التي تناقض تماماً فكر الفلسفة الكونفوشيوسيه ، وتدعو إلي الآتي :

١ - اطراح الواجبات التي يفرضها المجتمع ونبذ كل الأعمال التي يترتب عليها مسئولية .

٢ - اعتناق اللامبالاة بكل القيم والمبادئ التي تقيد حرية الإنسان في الإنسجام الكلي مع الطبيعة أي تدعو الإنسان إلي الابتعاد عن مسئوليات الحياة الرسمية واللجوء إلي التأمل في مفاتن الطبيعة والتسامي بروحه مع الماديات .

أهتم أيضاً بدراسة القانون وعلم الإدارة وركز أكثر فيها بسبب ما تبين له من وجود ضعف في كيان المملكة التي ينتمي إليها وهي مملكة هان .

ورغم أنه كان من ضمن تلاميذ الفيلسوف (شيون تسي) المؤسس الثاني لمذهب الفطرة الشريرة كما سبق أن

أوضحنا .. وتأثر كثيرا بفكره الفلسفي إلا أنه لم يسايره في منهجه الفكري ، وإنما اتخذ منهجا فلسفيا آخر مستقل عنه بعد أن انضم إلي مدرسة الشرائعين التي وضع أساسها الفلسفي من قبل المشرعين الأوائل وعلي رأسهم الفيلسوف اللامع (شانج يانج) (١)

ونتيجة اتساع فكر وآراء (هان فيي تسي) وانتشار فلسفته في جميع أرجاء المجتمع الصيني القديم بعد أن أصبح من أكبر رغماء المدرسة الشرائعية ، فقد اعتبره العلماء والمؤرخين من أعظم المشرعين أهمية من الناحية الفكرية ، ومن أكبر المؤسسين للمدرسة الشرائعية بعد المشرعين الأوائل (٢)

وأيضا رغم أن المدرسة الشرائعية قد وضعت في بداية تأسيسها البذور الأولي لمذهب الفطرة المختلطة بعد أن رفضت تماما ما ذهب إليه الفيلسوف كونفوشيوس وأنصاره بأن جميع البشر فطرتهم مطبوعة علي الخير ،

---

١ - ولد شانج يانج في عام ٣٩٤ قبل الميلاد بمملكة تشين ، واستطاع بفكره الفلسفي أن يجعل هذه المملكة قوية ومرهوبه الجانب ، إلا أنه بعد وفاة حاكم هذه المملكة الذي كان دائما يقربه إليه ويكرمه ويصبغ عليه حمايته ويتبني بنفسه تنفيذ سياسته - قام أفراد الطبقة التي حردت من نفوذها وامتيازاتها بسبب آراءه بتمزيق جسده أربا في عام ٣٣٨ قبل الميلاد بعد أن ربطت أطرافه الأربعة في جياد تسير في اتجاهات مختلفة .

٢ - د / فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - مرجع سابق - ص ٢٨٢

- تاريخ الصين - الجزء الأول - مرجع سابق - ص ٢٨
- جيان بوه تسان ، شاوشيون تشنغ ، هوهوا - موجز تاريخ الصين - مرجع سابق - ص ١٦

ولم تقر بالكامل ما ذهب إلي الفيلسوف **(شيون تسي)** بان طبيعة جميع البشر مفطورة علي الشر - إلا أن**(هان فيى تسي)** قد بلور بالكامل مفهوم مذهب الفطرة المختلطة وتفسيره لظاهرة الإجرام في ضوء الاتجاهات الفكرية للمدرسة الشرائعية التي أكمل تأسيسها حيث أشار بأن البشر طبيعتهم غير متحدة ومنقسمون إلي ثلاث طوائف **الأولى** : تضم الذين طبعت فطرتهم علي الخير ، **والثانية** : تضم الذين طبعت فطرتهم علي الشر ولا يمكن أن يتحولوا إلي أخيار ، **والثالثة** : تضم الذين توسطت فطرتهم بين الخير والشر وهم قد يتحولوا إلي الخير أو إلي الشر طبقاً لظروف المجتمع وأوضاع السلطة الحاكمة كما علل بفكره الفلسفي الآتي :

١- أن سبب انتشار الجرائم والفوضى والانحلال وظهور روح التمرد والعصيان داخل المجتمع إلي جانب اللامبالاة في أعمال الناس التي تؤدي إلي تدهور الإنتاج وشيوع الفقر وفقد العزيمة في الدفاع عن البلاد ، يرجع إلي ضعف السلطة الحاكمة وغياب القوانين العادلة والرادعة ولا سيما القوانين الجنائية وذلك لأن ضعف السلطة وغياب القوانين يفتح المجال علي مصراعيه أمام طائفة الأشرار بالطبع لكي ينفذوا رغباتهم الوحيدة وهي ارتكاب الجرائم وكل الأفعال الشريرة بالطبع لكي ينفذوا رغباتهم

الوحيدة وهي ارتكاب الجرائم وكل الأفعال الشريرة التي تؤدي إلي انهيار كيان المجتمع .

٢- ترك طائفة الأشرار بالطبع تتحرك بحرية داخل المجتمع تحت أي مسميات أو أي شعارات تنادي بإعطائها حقوق في ذلك - سوف يؤدي إلي هلاك طائفة الأخيار وتحويل طائفة الذين توسطت فطرتهم إلي أشرار .

٣- لا يمكن تحويل طائفة الأشرار بالطبع إلي أخيار بأي وسيلة من الوسائل المتعارف عليها ، وإنما يمكن فقط بالحكمة والعدل عزلهم أو التخلص منهم لإنقاذ المجتمع من جرائمهم ومن مخاطر شرورهم .

٤- تحجيم نشاط طائفة الأشرار بالطبع لايمكن أن يتم بعوامل التربية والتهذيب والتعليم ولا من خلال سلطة الحكومة التي يمثلها أفراد يديرون دفتها وفقا للمبادئ والقيم الأخلاقية [١]

- وحيث أن فلسفة المدرسة الشرائعية قد اتخذت القانون دعامتها الرئيسية وعظمت من شأن الإدارة والتنظيمات الحكومية ، وجعلت من القوة والسلطة محور منحاها التفكيرى ، وسبقت بالتالي فكر الماكيافيلية الذي انتشر

---

١ - رو صن - وحدة الصين في فلسفة الصين القديمة - مرجع سابق - ص ٢٧ وما بعدها

- د / فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - مرجع سابق - ص ٢٨٣

في أوربا خلال القرن السادس عشر الميلادي بعد أن أسسه (نيكولوماكيافيلي) (Niccolo Machiavelli) (١٤٦٩ - ١٥٢٧ م) وهو من أبرز أعلام النهضة الايطالية في الفلسفة السياسية [1] فإن الفيلسوف (هان فيي تسي) قد بلورة أيضاً منهج هذه المدرسة في كيفية تنظيم الإدارة الحكومية لمواجهة طائفة الأشرار بالطبع ومنعهم بكل قوة من ارتكاب الجرائم وكافة أعمال الشر داخل المجتمع من خلال نظم وإجراءات جادة وصارمة ، أهما يتخلص في الأتي :

١- أن يمسك الملك الدولة بيد من حديد ويكون له بصفة مطلقة كل السلطات وحكومته يجب أن تكون ذات طابع مركزي صارم .

٢- أن يمارس الملك وحكومته السلطات المطلقة بواسطة التهديد بتوقيع العقوبات القاسية علي كل من يحاول تحديهم أو يقاوم نفوذهم وسلطانهم بأي صورة من الصور

٣- أن يسن الملك وحكومته قوانين دقيقة تعلن لجميع أفراد الشعب وأن تضم بين طياتها قائمة ضخمة من الجزاءات والعقوبات حتي يكون جميع الموطنين علي علم دقيق بما سيحدث لهم إذا ارتكبوا أي جريمة أو معصية .

٤ - تنظيم أفراد الشعب في جماعات تتألف من عائلات - لتكون كل عائلة متضامنة بالكامل عن سلوك وأفعال كل

---

٢ - برتراند رسل - حكمة الغرب - مرجع سابق - ص ٢٩ .

فرد فيها - فإذا كان بينهم شرير يجب عليهم أن يقيدوا حركته وتصرفاته حتي لا يتم عقابهم جميعاً .

٥ - يقتل كل شرير بطبعه إذا ارتكب جريمة قتل أو ضرب أو سرقة - أو حاول أن يشيع الفوضى والانحلال داخل أي مكان في المجتمع .

٦- كل من يشترك مع شرير بطبعة في أي جريمة يقطع جسمه قطعتين من عند الخصر - وكل من يتستر علي شرير بطبعه ارتكب جريمة معينة ولم يبلغ عنه توقع عليه عقوبة من يستسلم للعدو وهي الإعدام بفصل الرأس عن الجسم .

٧- كل من يبلغ عن شرير بطبعة ارتكب جريمة معينة ينال من الحكومة مكافأة من يطيح برأس جندي من جنود الأعداء .

٨ - يجب معاقبة مرتكبي الجرائم الصغيرة عقابا صارما حتي لا يرتكبوا الجرائم الكبيرة ، ويرتدع بشدة كل شرير بطبعه - وذلك تنفيذا للمبدأ الذي اعتقده أصحاب هذه المدرسةوهو (استخدام العقاب للتخلص من العقاب) [(١)]

- وبذلك يري (هان فيي تسي) من خلال المنهج الفلسفي للمدرسة الشرائعية بأن أفراد طائفة الأشرار

---

١ - ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - مرجع سابق - ص ٩٧

- رو صن - وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة - مرجع سابق - ص ٢١

- د / فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - مرجع سابق - ص ٢٨٥ - ٢٨٧ .

بالطبع لايمكن تحويلهم إلي أخيار ولكن يمكن تقيد نشاطهم الإجرامي وإنقاذ المجتمع من مخاطر أفعالهم عن طريق السلطة القوية والقوانين الجنائية الصارمة ... وفي ذلك يقول في الكتاب الذي ألفه وأطلق عليه أسمه وضم بين دفتيه أكمل صورة لفلسفة الشرائعية (... **السلطة القوية التي تلقى الرهبة في القلوب ، تستطيع إخماد العنف بسهولة ، في حين لا يتأتي للشفقة والنخوة ردع البغاة ، أن الإنسان الحصيف وهو يسير شئون الحكم ، لا يأتمن رجالاً علي إتيان الأفعال الحميدة بمحض اختيارهم ، فعليه أن يسد أمامهم طريق ارتكاب الأفعال الشائنة ... وفي الحق ، ليس في وسعك أن تجد في دولة بأسرها عشرة رجال يوثق بفعلهم الخير تلقائياً ... ولكن أن أملتك الحيلولة بين الناس وارتكاب الشر ، فستضمن إستقرار النظام في الدولة ، فبإذا كانت غالبية الناس تنزع إلي الشر ، فأجدر بالحاكم أن يقيم سياسته وفقاً لنزعات الأغلبية ، لا أن يؤسسها علي فطرة الخير الكامنة في أفراد قلائل ، فلا فائدة ترجي من أخذ الفضيلة بعين الاعتبار عند تقرير السياسة ، ولكن يجب أن يكون القانون الفيصل والحكم ... لأنه عن طريق القانون** وبفضل التفنن في التشريع ، لا سيما التشريع الجنائي والعقوبات القاسية يصبح في مكنة الحاكم الحصيف إرغام الناس علي انتهاج السبيل الذي يتفق مع المصلحة العامة

... كما يجعله لا يخشي خطورة الأشرار ، ولا يقيم وزناً لأي اعتبار ، أو يحسب حساباً لرغبات الأفراد لأنها منقلبة ولا يمكن الركون إليها ... ويستطيع بكفاءة واقتدار إقرار النظام واستتاب الأمن في المجتمع فلا يجرؤ أحد علي تحديه أو الانحراف عن جادة الصواب حتي لو رغب ذلك) (١)

- ومن الملاحظ أن الفرق بين مذهب الفطرة الشريرة الذي اعتنقه الفيلسوف (**شيون تسي**) وبين مذهب الفطرة المختلطة الذي اعتقده الفيلسوف (**هان فيي تسي**) وكل زعماء المدرسة الشرائعية في تفسير الظاهرة الإجرامية داخل المجتمع الصيني القديم وتأثرت به المجتمعات الحضارية الأخري التي أقامت علاقات مع الصين في العصور القديمة وعلي الأخص خلال العصر الإمبراطوري لإمبراطورية تشين وإمبراطورية هان الغربية والشرقية والذي امتد من عام ٢٢١ ق . م حتي عام ٢٢٠ ميلادية يتلخص في الآتي :

١- أن (**شيون تسي**) اعتقد بأن جميع البشر فطرتهم طبعت علي الشر في حين يعتقد (**هان فيي تسي**) ومعه زعماء المدرسة الشرائعية بأن البشر فطرتهم مختلطة وغير متحدة ومنقسمون إلي ثلاث طوائف أو ثلاث فئات **الأولي** : طبعت علي الخير **والثانية** : طبعت علي الشر

---

١ - د/ فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - مرجع سابق - ص ٢٨٨

والثالثة : توسطت طبيعتها بين الخير والشر .

٢- يري (**شيون تسي**) بأنه يمكن تحويل البشر المفطورين علي الشر إلي أخيار بترويض طبيعتهم الشريرة وتحجيم انفعالاتهم حتي لا يتحرك سلوكهم نحو الشر وارتكاب الجرائم - في حين يري (**هان في تسي**) والشرائعيون عموماً بأنه لا يمكن تحويل طائفة الذين طبعت فطرتهم علي الشر إلي أخيار وإنما يمكن فقط تقييد نشاطهم الإجرامي وإنقاذ المجتمع من مخاطر شرورهم أما بإعدامهم أو بحجزهم إلي الأبد في مكان بعيد ومعزول عن المجتمع .

٣ - يري (**شيون تسي**) بأن ترويض طبيعة الأشرار وتحجيم انفعالاتهم يتم من خلال عوامل التربية والتعليم والتهذيب والتلقين المستمر بالقيم والمبادئ الدينية والأخلاقية إلي جانب سلطة حاكمة تتمتع بالعدل والحكمة والفضيلة - في حين يري (**هان في تسي**) والشرائعيون عموماً بأن تقييد نشاط طائفة الأشرار وإنقاذ المجتمع من مخاطرهم يتم من خلال السلطة القوية صاحبة السيادة والنفوذ والحكم المطلق وما تفرضه من قوانين جنائية صارمة وعقوبات شديدة القسوة أما بالإعدام أو بالسجن المؤبد .

- انتقل (هان في تسي) إلي مملكة تشين ليعيش فيها بعد

أن أعجبت سلطتها الحاكمة بآراءه وفكره الفلسفي عن الحكومة الصالحة واصبحت من خلال ذلك من أقوي الممالك الصينية في العهد الأخير للممالك المتحاربة ، إلا أنه بعد أن رحب به الملك وأغدق عليه بالمال والجاه ، قام خصومه الذين حقدوا عليه من زيادة تقربه لبلاط السلطة الحاكمة بإثارة الدسائس حوله مما جعل ملك تشين يغضب عليه وازداد هذا الغضب حتي أمر بإعدامه في عام ٢٣٣ قبل الميلاد بعد أن بلغ من العمر سبعة وستين عاماً [١]

---

[١] - ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - مرجع سابق - ص ٩٧ وما بعدها .

- د / فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - مرجع سابق - ص ٢٩٠ .

فيلو Philo

- فيلسوف يهودي الأصل ، ولد عام ٢٥ قبل الميلاد في مدينة الإسكندرية وكان من أسرة نبيلة ، ومات في سنة ٥٠ ميلادية بعد أن بلغ من العمر ٧٥ عاما - وهو من أشهر فلاسفة الإسكندرية في الوقت الذي كانت فيه الإسكندرية أهم منارة علمية في العالم القديم وملتقي جميع المذاهب والمدارس الفلسفية التي ظهرت في الشرق والغرب - وقد عبر عن ذلك الفيلسوف (أنج Inge) بالقول (**تقابلت كل العلوم وكل الفكر الأدبي والفلسفي لشرق وغرب العالم القديم في شوارع الإسكندرية وفي قاعات الدرس بها وفي معابدها ، كما أصطبغت فيها اليهودية أولا ثم المسيحية ثانيا بالصبغة اليونانية**) .

- كان هذا الفيسلوف من أشد المؤمنين بالوحي حسب ما جاءت به التوراه ، كما كان يؤمن بتعاليم وأسس الفلسفة اليونانية - وكان يري أن الفلسفة اليونانية وحي عميق غامض لبيان الحقائق في حين أن الكتاب الإلهي المقدس به وحي أكثر عمقا وواضح الرؤية تماما ،وجلي وساطع البيان لما في هذا الكون من حق وعدل وحكمة - وقرر أيضا من خلال ما غرس في عقيدته وفكره الفلسفي المتسع بأن الفلسفة اليونانية مأخوذه من تعاليم العبرية ، وأن **أفلاطون وأرسطو** أخذ تعاليمها

الأساسية من موسي عيه السلام ومن التوراة ، ومن هنا نشأ ما لهما من حكمة [١]

- يقول معظم العلماء والمؤرخين بأن الفيلسوف فيلو هو المسئول الأول الذي حمل راية الفكر الفلسفي في خلط التعاليم الفلسفية بالوحي وبالإلهام الشرقي منذ بداية القرن الأول الميلادي ، كما أنه أول من أسس مذهب الأفلاطونية الحديثة ، ومدينة الإسكندرية قد ساعدته في ذلك حيث كانت بها ثروة علمية وثقافية وفلسفية هائلة مكنته من بلورة منهجه الفلسفي وجعلته ينتشر كفكر عالمي جديد في معظم مجتمعات العصور القديمة والوسطي ، ويصبح الآن في نظر الفكر الحديث من أهم إنجازات الحضارة العالمية القديمة في مجال الفكر الأدبي والفلسفي-[٢]وجميع أصحاب الفكر الغربي الحديث يعتبرون فيلو من الثمرات الناضجة التي أنجبتها الفلسفة اليونانية في عهد اتجاهاتها الحديثة - في حين ليست كذلك لأن الحقيقة أن فيلو لم يخرج عن كونه فيلسوف مصري خلط التعاليم الفلسفية بالوحي الإلهي وذلك لأنه ولد في مصر في عام ٢٥ قبل الميلاد وتعلم ونما عقله وفكره وأصبح فيلسوف فوق أرضها ومات ودفن أيضا في مقابرها في

---

١ - د / زكي نجيب محمود ، د / أحمد أمين - قصة الفلسفة اليونانية - مرجع سابق - ص ٣٦٤ .

٢ - د / سعد محمد الشناوي - مدي الحاجة للأخذ بنظرية المصالح المرسلة في الفقه الإسلامي - مرجع سابق - ص ٣٧٥

عام ٥٠ ميلادية بعد أن أصبح من أشهر فلاسفة عصر الاختيار للمذاهب الفلسفية المختلفة ، و كانت الإسكندرية التي عاش فيها طوال حياته تمثل المكان الأول والمركز الرئيسي للفلسفة هذا العصر ، وفي ذلك يقول الدكتور / محمد بيصار (أن فيلو قد ولد في الإسكندرية وأعتنق الديانة اليهودية ، وتعلم وأصبح صاحب فكر فلسفي متميز في الإسكندرية ، وأنه يحمل الطابع الانتخابي ما دام قد قضي الطرف الأول من حياته في القرن الأول قبل الميلاد بما له من طابع مميز ثم قضي أيضا الطرف الثاني فيها في القرن الأول الميلادي بعد أن دب فيه حينذاك من طابع مميز كذلك .)[١]

وإذا كانت هذه الحقيقة ينكرها أصحاب الفكر الغربي فعليهم أن يثبتوا العكس ويعطونا دليلا واحدا بأن فيلو قد عاش وتعلم في مكان آخر غير الإسكندرية أو أنه قد غادر مصر طوال حياته ونشر فكره الفلسفي في مكان آخر .

- كان {فيلو} يعلم بأن الله العلي القدير الذي لا يحده حد - يجب أن يكون فوق هذا العالم المحدد بالكامل - وأنه ليس هناك مطلقا لفظ ولا فكر يستطيع أن يساير أبديته ، ولا يمكن لأي فكر أن يدرك كنهه لأنه جل شأنه فوق أن تدركه العقول ، ونفس الإنسان لم تصل إلي الله الواحد

١- د / محمد بيصار - الفلسفة اليونانية - مرجع سابق - ص ١٥٣

الأحد عن طريق العقل والتفكير ، ولكن عن طريق رياضة النفس والكشف عن حقائق الطبيعة ولعظمة الله وعلو مكانته لا يدير هذا العالم مباشرة لأن هذا العالم مادي محدود ، وإنما له بمقدرته كائنات روحانية هم سفراءه يعملون في هذا العالم لما يريده ، ويخلقون ويحكمون – وعلاقة الله جل شأن بالملائكة وعلاقة الملائكة بالعالم علاقة انبثاق كأشعة الضوء تنبثق من مركز ساطع ، ويقل ضوء الأشعة إذا حدث إبتعاد عن المركز .. وفي ضوء ذلك يقول **الدكتور / زكي نجيب محمود والدكتور / أحمد أمين** بأن هذا الكلام الذي قرره **{ فيلو }** يعطي مدي التصوف الذي كان عليه وبعده عن منحني التفكير الذي كان عند اليونان [١]

– علي هذا الأساس اعتقد **{ فيلو }** من خلال ديانته اليهودية وفكره الفلسفي المتميز بان جميع البشر طبيعتهم ليست واحدة وإنما منهم الأخيار ، ومنهم الأشرار ، ومنهم من توسطت طبيعتهم بين الخير والشر - وأن الناس أصحاب الطبيعة الخيرة يدركون تماما قدرة الله سبحانه وتعال ، ولا يعصوا أوامره ونواهيه ، ويتبعون حسن السبيل وقلوبهم صافية ، ومغروس فيهم للأبد المحبة والإخلاص ، والملائكة ترعاهم دائما ، ولا يمكن أن

١- د / زكي نجيب محمود ، د / أحمد أمين – قصة الفلسفة اليونانية – مرجع سابق – ص ٢٦٥

تتغير طبيعتهم ويتحولوا إلي أشرار - أما أصحاب الطبيعة الشريرة فهم حلفاء الشياطين ، وفي غفلة مظلمة تعميهم عن قدرة الله ، ولا طريق لهم سوي الاندفاع نحو ارتكاب الجرائم وكل عوامل الفساد والشر ، ولا يدركون مطلقا معاني الخير والصلاح ، ولا تهدأ نفوسهم أبدا من الغل والحقد وشهوة الإضرار بالناس ، ولا يمكن أن يتحولوا إلي أخيار لأنهم في الآخرة من أهل النار - أما بالنسبة للذين توسطت فطرتهم بين الخير والشر ، فهم قد يتحولوا بالعلم والإيمان وبقدرة الله سبحانه وتعالي إلي أخيار ويسلكوا طريق الورع والتقوى ، وقد يتحولوا إلي أشرار إذا حجب عنهم الإيمان الحق والعلم الوفير ويصبحوا حلفاء الشياطين في الدنيا ومن أهل النار في الآخرة .

- وبالتالي فإذا كان الفيلسوف { فيلو } يعتبر من حيث الشهرة المؤسس الثاني للمذهب الفطرة المختلطة إلا أن تفسيره لظاهرة الإجرام بالنسبة لطائفة الذين طبعت فطرتهم علي الشر قد اصطبغ بالطابع الديني للديانة اليهودية عن تفسير مدرسة الشرائعين التي مثلها في الصين **شانغ يانغ وهان فيي تسي** حيث جعل الأشرار كفار وحلفاء للشياطين ، وقدرتهم معدومة تماما في أن يسلكوا طريق الإيمان والتقوي أو أن ينصلح حالهم في الحياة ويدركوا عظمة الله في هذا العالم المحدود الذي

خلقه ، وأن اندفاعهم نحو ارتكاب الجرائم وكل عوامل الشر مصدره الأساسي نابع من طبيعتهم الشريرة الخالية تماما من الإيمان وكل عوامل الحق والهداية والصلاح .

وأيضا إذا كانت المدرسة الشرائعية قد استندت في تفسيرها علي نظام الحكم القوي والقوانين الصارمة ولا سيما القانون الجنائي والعقوبات القاسية لحماية المجتمع من طائفة الأشرار بالطبع بكل شدة وصرامة قد تصل إلي حد التخلص منهم بفصل رؤوسهم أو بدفنهم أحياء أو بتمزيق أجسادهم وذلك مثل ما حدث في عهد الإمبراطور **{ تشن شه هوانغ دي }** { ٢٥٩ - ٢١٠ ق . م } الذي اعتنق فكر هذه المدرسة وطبقة في نظام حكمه بعد أن جلس علي عرش **مملكة تشين** ، وبعد أن وحد الصين وأسس أول إمبراطورية عظمي هي إمبراطورية تشين وأصبح أول إمبراطور لها في عام ٢٢١ قبل الميلاد [١] - إلا أن الفيلسوف { **فيلو** } قد استند كلية إلي أمور الديانة اليهودية في حماية المجتمع من هؤلاء الأشرار ، أي لم يستند إلي نظم وقوانين من صنع البشر ، وإنما من الشريعة الموسوية التي أنزلها الله سبحانه علي سيدنا موسي عليه السلام [٢] وذلك مثل ما جاء بالوصايا العشر من نهي وتحريم كامل عن ارتكاب الجرائم سواء كانت

---

١ - تاريخ الصين - الجزء الأول - مرجع سابق - ص ٣٠ وما بعدها .

٢ - د / محمد بيصار - الفلسفة اليونانية - مرجع سابق - ص ١٥٤ .

جرائم اعتداء علي الأشخاص أو اعتداء علي الأموال ومنها لا تقتل { الوصية السادسة } ، ولا تزن { الوصية السابعة } ، ولا تسرق { الوصية الثامنة } ، ولا تشهد شهادة زور { الوصية التاسعة } ، وبالتالي استندت الشريعة الموسوية علي نصوص واضحة غير قابلة للتأويل تحرم الجرائم وتجعلها من الأفعال التي تغضب الله كما تجعل العقوبة عبارة عن كفارة للإثم الذي ارتكبه الجاني ، ومن أهم العقوبات التي كانت تطبق علي طائفة الأشرار بالطبع هي الإعدام أو النفي بأن يرسل الجاني إلي مكان بعيد عن بلدته أو الجلد أو الحبس ، كما كانت تطبق عليهم عقوبة القصاص في غير جرائم القتل وهي { العين بالعين ، والسن بالسن ، والزراع بالزراع ... إلخ }[1]

- ولذلك يعتبر الفيلسوف { فيلو } أول من أدخل الطابع الديني الموحد بالله الخالق الأعظم لهذا الكون وكل ما عليه في تفسير الظاهرة الإجرامية لطائفة الأشرار بالطبع في مذهب الفطرة المختلطة الذي اعتنقه في تحديد طبيعة البشر[2] .

---

١ - د / محمود عز العرب السقا - أبحاث في تاريخ الشرائع القديمة - طبعة ١٩٩١ ، دار النهضة العربية بالقاهرة - ص ١٦٩ وما بعدها .

٢- د / نور الدين الشراقية - معركة الحياة - مرجع سابق - ص ٢٣٧

جالينوس البرغامي

- فيلسوف روماني عاش في القرن الثاني الميلادي وكان يعمل { كما سبق أن أشرنا } طبيبا خاص للإمبراطور الروماني ماركوس أوريليوس { ١٢١م - ١٨٠ م } الذي حكم الإمبراطورية الرومانية خلال الفترة من { ١٦١ م - ١٨٠ } وكان من ضمن الذين اعتنقوا مذهب الرواقية وأصبح هو وسينكا { ٤ ق . م - ٦٥م } وابيكتاتوس { ٦٠ م - ١٢٠ م } من أشهر فلاسفة الرواقية في العصر الروماني [١]

- قرر جالينوس بأن جميع البشر طبيعتهم الإنسانية ليست واحدة وإنما مختلطة فبعض الناس فطرتهم طبعت علي الخير وعددهم قليل جدا ولا يمكن أن يتحولوا إلي الشر ، وبعض الناس فطرتهم طبعت علي الشر وعددهم أكثر من الأخيار بالطبع ولا يمكن إصلاحهم وتحويلهم إلي أخيار ، وبعض ثالث توسطت فطرتهم بين الخير والشر ويمكن أن يتحولوا إلي مجرمين أشرار بالعوامل الخارجية الفاسدة أو إلي أخيار أسوياء بعوامل التربية والتهذيب والتعليم والتلقين المستمر بالقيم والمبادئ الدينية والأخلاقية إلي

---

١ - د / عثمان أمين - الفلسفة الرواقية - طبعة ١٩٤٥ - القاهرة - مكتبة النهضة المصرية - ص ١٨١ وما بعدها .

جانب القواعد العادلة لضبط سلوكهم [١]

- وعند تفسيره لظاهرة الإجرام بالنسبة لطائفة الأشرار بالطبع قرر بأن هؤلاء طبيعتهم سوداء مثل سواد الليل الدامس الذي يختفي فيه أي بصيص للقمر ، ولا يوجد فيهم أي شعاع نور نحو الخير ، وأن السواد الحالك لطبيعتهم لا يمكن أن يتغير حتي لو سلطت عليه أشعة الشمس وقت الظهيرة ، وأنهم سيظلوا علي ذلك طوال حياتهم منذ مولدهم وحتي يحتضن التراب أجسادهم وتصعد أرواحهم النجسة من عالم الحياة إلي عالم الغيب وهؤلاء الأشرار يندفعون بسلوكهم إلي ارتكاب الجرائم وعوامل الشر حتي لو عاشوا في نعيم دائم وتوفرت لهم كل سبل المتعة والحياة الناعمة السعيدة وأزيلت من علي كاهلهم كل المشاكل التي تعكر صفو معيشتهم ، وذلك لأنهم لا يروا مطلقا نور الخير أمامهم ، نتيجة تفاعل طبيعتهم الشريرة داخل نفوسهم بصفة دائمة ومستمرة وتجعلهم في صراع دائم نحو ارتكاب المزيد من الجرائم وأعمال الشر [٢]

- وعلي هذا الأساس يري جالينوس بأن الدوافع المحركة لسلوك طائفة الأشرار بالطبع نحو ارتكاب الجرائم مصدرها الأساسي نابع من طبيعتهم الشريرة التي فطروا

---

١ - د / محمد بيصار - العقيدة والأخلاق - مرجع سابق - ص ٢٠٢

2 - R . Le Senne . Traite de morale generale – op . cit – p 171 ets .

عليها منذ مولدهم وخروجهم إلي الحياة – وأن طبيعتهم الشريرة صلدة تماما ولا يمكن ترويضها أو كبح جماحها بأي عوامل خارجية وأن هؤلاء الأشرار غير قادرين تماما علي التكيف مع أي بيئة طبيعية أو اجتماعية صالحة وليس لديهم مطلقا أي استعداد للالتزام بالنظم والقوانين السائدة في المجتمع ، ولا يردعهم أي عقاب لكي ينضبط سلوكهم وينصلح حالهم ويتجهوا نحو طريق الهداية والخير [1]

– أشار أيضا **جالينوس** بأن الجرائم التي يرتكبها طائفة الأشرار بالطبع إما أن تكون متصفة بالعنف والقسوة و الوحشية والغدر مثل جرائم الاغتصاب للإناث أو الذكور ، والسرقة بالإكراه ، والقتل بالخنق أو بالذبح أو بتمزيق الجسد وذلك في حالة ما إذا كان الأشرار أقوياء البنية وصحتهم جيدة – وإما أن تكون متصفة بالخسة والخيانة مثل جرائم السرقة العادية والحريق العمد والقتل بالسم في حالة ما إذا كان الأشرار ضعفاء البنية وصحتهم ليست جيدة بالكامل [2]

– وحيث كان النظام الطبقي سائدا في كل مجتمعات العالم القديم وكانت الإمبراطورية الرومانية تطبقه بشدة وصرامة ، فقد أشار **جالينوس** بأن أغلبية طائفة الأشرار بالطبع من طبقة العبيد ، وأن عدم إعطائهم أي حقوق علي الإطلاق

---

1 - Thomas Hobbes – Leuiathan – Op . Cit – P 127 ets

2 - Arser Melzet – The Natural Goodness Of Man – Op . Cit – P . 92 ets

واعتبارهم مثل الأشياء أو الحيوانات التي تباع وتشري ، ومعاملة الأحرار لهم بكل قسوة مع تسخيرهم في الأعمال التي تفوق طاقاتهم وهم مقيدين بالسلاسل الحديدية ، يعتبر من ضمن الوسائل التي تحجم نشاطهم الإجرامي ، ومن العوامل التي تساعد علي السيطرة عليهم وحماية المجتمع من إجرامهم وشرورهم ، وتوفر لأصحاب الفطرة الخيرة الآمان والاستقرار ، وتساعد الذين توسطت فطرتهم بين الخير والشر علي الابتعاد عنهم وعن كل أفعالهم الشريرة والاتجاه طواعية واختيارا صوب طريق الخير [١] وهذا الرأي كان يخالف تماما ما كان يعتقده الإمبراطور الروماني ماركوس أوريليوس باعتباره من أشهر فلاسفة المذهب الرواقي في العصر الروماني حيث كان دائما يقرر بأن { **الإنسانية جسدا واحدا وطبيعة كل البشر واحد ولا فرق بين إنسان وآخر لأننا جميعا أخوة - فلا يسعني أن أغضب أخوتي أو اقطع صلتي بهم لأننا قبلنا بحكم الطبيعة أو أن شئت فقل بحكم العناية الإلهية علي أن يعين بعضنا بعضا كأخوة من أسرة بشرية واحدة - ففي وسعك أن تضم بين جوانحك أفضل صديق أو أسوء عدو فارفض دائما أن تكون روحا صغيرة تحمل جسدا كبيرة بل العكس حتي**

---

١ - د / محمد كامل ياقوت - الشخصية الدولية في القانون الدولي والشريعة الإسلامية - طبعة ١٩٧٠ م - القاهرة - عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع - ص ٦٧٦ وما بعدها .

تكون إنسانا لأخوتك في الإنسانية ، لأنه لا يخطر ببالك أن هناك شيئا يمكن أن ينفصل عن المجتمع البشري المتحد وينتسب إليك وحدك ... } ... وحيث أن جالينوس كان يعمل طبيبا خاصا لهذا الإمبراطور ، فكان دائما هذا الإمبراطور يحاوره في الرأي عندما يراه لكي يعدل عن فكره ، ويجعله يعتقد بأن طبيعة العبيد ليست مختلفة عن طبيعة الأحرار ، وأن الظروف الاجتماعية وقسوة الحياة هي السبب الرئيسي الذي جعل بعض الناس عبيد والبعض الآخر أحرار وليس دون ذلك [1] .

- ورغم أن كثيرا من الفلاسفة والمفكرين الذين ظهروا قبل القرن الثاني الميلادي قد عبروا عن رأي جالينوس في العلاقة بين الطبيعة الإنسانية وطبقتي الأحرار والعبيد - إلا أن جالينوس هو الذي نال حظ وافر من الشهرة في هذا الرأي ، ولذا انتشر رأيه كاتجاه فلسفي يحمل أسمه في العصور القديمة والوسطي ، كما انتشر في العصور الحديثة وأثر علي فكر بعض الفلاسفة مثل الفيلسوف الفرنسي مونتسكيو { ١٦٨٩ - ١٧٥٥ م } عندما ميز بين البشر في مؤلفه { روح القوانين } واتخذ من اللون والعبودية معيارا للتفرقة بين الأجناس وادعي بأن العبيد السود ليس لهم نفوس خيرة وإنما طبيعتهم قد فطرت علي الشر ولديهم ميل دائم نحو ارتكاب الجرائم ، وقال في ذلك

---

1 - Henry thomas – The Great Philosophers – Op . Cit – P 161 K 162

عبارته المشهورة { لا نستطيع أن نفهم أن الله الذي هو موجود وحكيم قد ركب نفسا خيرة في جسم عبد أسمر تماما } [١] وأيضا الفيلسوف فردريك ولهلم نيتشه الذي ولد في بروسيا عام ١٨٤٤ م وتوفي في عام ١٩٠٠ م حيث ميز بين الناس وجعلهم ثلاث طوائف ولكل طائفة منهم أخلاقياتها الخاصة . وهي السادة والعبيد ، والأبطال وذلك من خلال نظريته الأخلاقية التي صاغها في مؤلفه { ما وراء الخير والشر } الذي أصدره في عام ١٨٨٦ م - حيث قرر فيه بأن { جميع الفضائل التي يتصف بها الإنسان الخير ذو النفس الكريمة ترتبط بالاستقلال والكرم والاعتماد علي النفس والابتعاد عن الفساد والانحراف ، وأن هذه الصفات متوافرة فقط في السادة الأحرار - أما النقائض المقابلة لهذه الصفات وهي الخضوع والوضاعة والتهيب والانحراف وارتكاب الجرائم وما إلي ذلك والتي تمثل الشر توجد فقط في طبقة العبيد لأن طبيعتهم فطرت علي الشر - أما أخلاق الأبطال في المعارك فهي أرقي من أخلاق العبيد وأقل من أخلاق الأحرار النبلاء وتقع فيما بين الخير والشر) - وبالتالي ميز نيتشه في منهجه الفلسفي بين البشر ، وجعل السادة الاحرار أخيارا بالطبع ، والعبيد أشرارا

---

١ - د / حسن شحاته سعفان - مونتسكيو ، سلسلة قادة الفكر في الشرق والغرب - مرجع سابق - ص ١٤٤ ، ص ١٤٥ .

بالطبع ، وأبطال المعارك طبيعتهم تقع بين الخير والشر [١]

- معظم علماء أوربا قد قرروا أمام شهرة جالينوس في التصنيف الثلاثي لطبيعة البشر وفي تفسيره لظاهرة الإجرام لطائفة الأشرار بالطبع وطائفة الذين توسطت فطرتهم بين الخير والشر ، بأنه المؤسس الأول لمذهب الفطرة المختلطة ولم يسبقه في هذا الفكر الفلسفي أي عالم أو فيلسوف من قبل [٢] والحقيقة ليست كذلك لأن مدرسة الشرائعين التي ظهرت في الصين القديمة ومثلها فلاسفة كثيرون علي رأسهم { شانغ يانغ ، وهان فيى تسي } قد أسست هذا المذهب وتفسيره لظاهرة الإجرام من قبل جالينوس بما يزيد عن ٤٥٠ سنة ، وأنه من المحتمل أن يكون جالينوس قد تأثر بفكر هذه المدرسة وما ردده ليس سوي تعبير واضح عن منهجها الفلسفي في الفطرة الإنسانية لأن فكر المذاهب الفلسفية الصينية قد انتشر في أوربا أواخر القرن الثاني قبل الميلاد وعلي الأخص بعد إنشاء طريق الحرير الذي ربط بين الصين وغرب أسيا وأوربا في عهد إمبراطورية هان الغربية ثم الشرقية { ٢٠٢ ق . م - ٢٢٠ م }[٣] كما أن الفيلسوف اليهودي

---

١ - براتراند رسل - حكمة الغرب - مرجع سابق - ص ٢٠٢ .

٢ - د . محمد بيصار - العقيدة والأخلاق - مرجع سابق - ص ٢٠٢

٣ - جيان بوه تسان ، شاوشيون تشنغ ، هوهوا - موجز تاريخ الصين - مرجع سابق - ص ١٥ وما بعدها .

- تاريخ الصين - الجزء الاول - مرجع سابق - ص ٤٢ وما بعدها .

{فيلو} الذي يعتبر المؤسس الثاني لهذا المذهب قد انتشر فكره الفلسفي في روما منذ منتصف القرن الأولي الميلادي ، ويحتمل أيضا أن يكون جالينوس قد تأثر بفكر هذا الفيلسوف وصاغ علي أساسه وبطابع مادي رأيه في الفطرة المختلطة ، وذلك لأن آراء وتفسيرات جالينوس عن الفطرة المختلطة وعن ظاهرة الإجرام لن تخرج عن تفسيرات وآراء المدرسة الشرائعية ولا عن المنهج الفلسفي الذي أتبعه فيلو من حيث طابعة المادي دون طابعه الروحي الذي تميز به واعتبر من خلاله من أشهر فلاسفة التوحيد في العصور القديمة

- جانب من العلماء والفلاسفة وخاصة أنصار المذهبين الفطرة الخيرة والفطرة الشريرة قد وجهوا نقدا شديدا لمذهب الفطرة المختلطة حيث قرروا بأن هذا المذهب لم يقطع بحكم واحد بالنسبة لطبيعة جميع البشر ، وإنما قسمهم من حيث الفطرة إلي ثلاث أقسام في حين أن الطبيعة الإنسانية واحد لكل البشر وأن تقسيم الناس إلي طوائف من حيث الفطرة يؤدي إلي إهدار وحدة الجنس البشري - كما أن تفسير هذا المذهب لظاهرة الإجرام غير متحد في الفكر والمفاهيم لوجود اختلاف في دوافع السلوك الإجرامي بين طائفة الأشرار بالطبع وبين طائفة الذين توسطت فطرتهم بين الخير والشر وأنه علي هذا الأساس لا يصلح فكر هذا المذهب في تحديد الطبيعة الإنسانية ولا

في تفسير العوامل التي تدفع سلوك الإنسان نحو ارتكاب الجرائم بشكل واضح ودقيق [١]

- ولكن رغم هذا النقد الشديد - إلا أن بعض علماء الفقه الإسلامي في العصور الوسطي قد أيدوا هذا المذهب وقالوا بأنه يتفق إلي حد ما مع وجهة النظر الإسلامية استنادا علي ما ورد في صحيح البخاري أن النبي صلي الله عليه وسلم قال { المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالثمرة طعمها طيب وريحها طيب ، والمؤمن الذي لا يقرأ القرآن ويعمل به كالثمرة طعمها طيب ولا ريح لها ، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كالريحانه ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كالحنظلة طعمها مر وريحها مر } [٢] - وأيضا بما رواه ابوموسى الأشعرى عندما قال - سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول {أن الله عز وجل خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنوا أدم علي قدر الأرض، فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك والسهل والحزن والطيب والخبيث) - كما استندوا إلي بعض الأيات القرأنية مثل قوله تعالي للأخيار بالطبع { أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوي لهم مغفرة وأجر عظيم} [٣]

---

١ - د / محمد بيصار - العقيدة والأخلاق - مرجع سابق - ص ٢٠٣ وما بعدها .

٢ - محي الدين بن عربي الحاتمي الطائي - تهذيب الأخلاق - مرجع سابق - ص ١٥ ، ص ٢٢ .

٣ - سورة الحجرات - الآية ٣

ومثل قولـه تعـالي للأشـرار بـالطبع { أن الذيـن كفـروا سـواء عليـهم أأنذرتـهم أم لـم تنذرهـم لا يؤمنـون ختـم الله علـي قلوبـهم ، وعلـي سـمعهم ، وعلـي أبصـارهم غشـاوة ، ولـهم عـذاب عظيـم } (١) ومعنـي هـذه الآيـة أن بعـض النـاس قـد تبلـدت حواسـهم ، وختـم الله علـي قلوبـهم فقسـت حتـي صـارت كالحجـارة أو أشـد قسـوة ، فـلا يحديـهم وغـط ولا ينفـع فيـهم نصـح ولا يسترشـدون بتوجيـه ، ولا يسـتفيدون مـن الـدروس والعـبر ، مثـل قولـه تعـالي فـي أولئـك الذيـن تـأرجحت فطرتـهم بيـن الخـير والشـر فيميلـون إلـي أحدهمـا تـارة وإلـي الآخـر تـارة أخـري { ثـم أورثنـا الكتـاب الذيـن اصطفينـا مـن عبادنـا ، فمنـهم ظـالم لنفسـه ، ومنـهم مقتصـد ، ومنـهم سـابق بـالخيرات بـإذن الله . ذلـك هـو الفضـل الكبـير } (٢) ومعنـي هـذا أن الظـالم مـن رجحـت سـيئاته ، والسـابق مـن رجحـت حسـناته ، والمقتصـد مـن استوت حسـناته وسـيئاته (٣)

- أن ما نهدف إليه مـن خـلال عـرض مـا وجـه لـهذا المذهـب من نقد وتأييد هـو اثبـات للحقـائق التـي سـجلت فـي صفحـات التـاريخ الإنسـاني بـأن مذهـب الفطـرة المختلطـة وتفسـيره لظـاهرة الإجـرام بالنسـبة لطائفـة الأشـرار بـالطبع قـد تأسـس

---

١ - سورة البقرة - الآية ٧٢٦

٢ - سورة فاطر - الآية ٣٣

٣ - د / محمد بيصار - العقيدة والأخلاق - مرجع سابق - ص ٢٠٦

بفكر واعي مستنير من فلاسفة وعلماء العصور القديمة وأن الذين ذكرناهم ليس إلا مثال لهؤلاء - لأنه يوجد أيضا علماء وفلاسفة آخرون قد ساهموا في بلورة مفاهيم هذا المذهب وتفسيره . لظاهرة الإجرام في معظم المجتمعات الحضارية التي ظهرت في شرق وغرب العالم القديم .


الخاتمة

في ضوء ما تقدم يتضح أن الحقائق المسجلة في تاريخ الإنسانية لا يمكن طمسها أو تبديد أصولها بعد أن امتد جوهرها بخطوات ثابتة ومتزنة عبر العصور المختلفة ، وأكدت في سياق الوجود الكلي لهذا العالم الحي بأن الفكر الإنساني لابد أن يكون في حلقات متصلة عبر الزمان ، وأن معظم الأفكار الجديدة ليست سوي أفكار قديمة لبست ثوب من التطور وسلطت عليها الأضواء المبهرة لمتطلبات هذا العصر - ولذا فإن نظريات علماء الغرب التي فسرت السلوك الإجرامي في العصور الحديثة وعلي الأخص خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر مثل نظريات المدرسة الوضعية الإيطالية ومدرسة الدفاع الاجتماعي لم تكن سوي مرحلة تطورية من مراحل تطور علم الإجرام وليست كما يقول فقهاء وعلماء الغرب بأنها البداية الأولية لتأسيس هذا العلم ، لكي ينسبوا أصوله إلي فكرهم الحديث ويقطعوا كل الأواصر الممتدة نحو جذور التي غرست ونبتت وتفرعت في الماضي البعيد .

وإذا كان مضمون ما عرضناه عن الفكر الإنساني القديم قد أكد بالأدلة والبراهين بأن علم الإجرام له جذور عميقة في العصور القديمة - إلا أنه يشير أيضا إلي حقيقة أخري هامة لا تقبل الشك ولا التأويل وهي أن جذور هذا العلم قد تأسست وتأصلت أولا بفكر وآراء فلاسفة وعلماء الشرق القديم ثم امتدت بعد ذلك إلي الغرب الذي مثله في العصور القديمة الإغريق والرومان ، والدليل علي ذلك يتلخص في الآتي :

• فجر التأمل الفلسفي سطع أولا في الشرق منذ أربعة آلاف سنة قبل

الميلاد ، في حين بزغ أول شعاع له في الغرب منذ ألف سنة قبل الميلاد - وهذه الحقيقة لا يمكن إنكارها أو بث ما يضللها لأن معظم الحضارات الشرقية الكبرى مثل مصر الفرعونية وبلاد ما بين النهرين والهند والصين قد ظهرت وتألقت في مجالات عديدة وعلي الأخص في مجال الفلسفة والفكر النافع قبل الحضارة الغربية التي مثلها الإغريق الرومان بما يزد عن ألفي سنة .

* الفلسفة الشرقية قامت منذ بدايتها في العصور الأولي لتاريخ الإنسانية علي أسس مليئة بالقيم الروحية ومبادئ الأخلاق فاهتمت بالتالي بمفهوم الفطرة الإنسانية وبتحديد نسبتها إلي الخير أو الشر واستطاعت من خلال ذلك أن تصل إلي أطر موضوعية بتفسر الدوافع التي تحرك السلوك الإجرامي - في حين أن الفلسفة الغربية التي ظهرت بعد الفلسفة الشرقية بمئات السين وتمثلت أولاً في الفلسفة اليونانية قد قامت في مرحلتها الأولي علي أسس مادية بحتة وبعيدة تماماً عن المفاهيم الروحية والخلقية ، وذلك بداية من فيلسوف **طاليس {Talies}** الذي ولد في مدينة ملطية عام ٦٢٤ ق . م وقرر في منهجه الفلسفي بأن الجوهر الأوحد الذي خلقت منه السماء والأرض هو الماء ، حتي ظهور الفيلسوف **امبازوكليس { Ambazokles}** الذي ولد في جزيرة صقلية علم ٤٤٥ ق . م وقرر في منهجه الفلسفي بأن المادة الحية التي خلقت هذا الكون تتكون من أربعة جواهر هي النار والهواء والماء والتراب .

وحيث أن الفلسفة المادية لا تهتم بأي فكر غير مادي ، ومفهوم الفطرة يدخل في إطار الفكر الروحي والخلقي ، فإنه لا يمكن أن تكون الفلسفة

اليونانية في مرحلتها الأولي قد اهتمت بموضـــوع الفطــرة الإنســانية واستندت عليها في تفسير ظاهرة الإجرام وذلـــك باعتبــار أن جميـــع التفسيرات التي ظهرت في العصور القديمة عن الدوافع المؤثـــرة فـــي السلوك الإجرامي كانت مرتبطة تماماً بمفهوم الفطرة الإنسانية وبتحديـــد نسبتها إلي الخير والشر (١).

* المرحلة الثانية : للفلسفة اليونانية التي بـــدأت بفلاســـفة فيمـــا وراء الطبيعة بداية من **اكسانوفان** { xanovan } الذي ولد في عــلم ٥٨٠ ق . م **ثم** الفلاسفة الذين جاءوا من بعده **وأشهرهم سقراط وأفلاطون وأرسطو وديوجين** { مؤسس المدرسة الكلبية } **وزينـــون** { مؤســس المدرســة الرواقية } – وهي تعتبر مرحلة النضج الكامل للفلسفة اليونانيـــة حيــث كانت غنية بالفلسفة الروحية والخلقية وبالفكر العميق عن حقيقة الوجــود في الحياة الإنسانية – قد استندت في معظم أساسيات فكرها الفلسفي عــن الفطرة الإنسانية ومدي ارتباطها بتفسير ظاهرة الإجرام علي ما تأســس من قبل في الفلسفة الشرقية القديمة بداية من فلسفة مصر الفرعونيـــة ، وقد أكد ذلك الفيلسوف الأمريكي المعاصر **هنري توماس** فــي الكتــاب الذي ألفه عن إعلام الفلاسفة ، حيث قرر فيه صراحة بأن { **اليونــانيون قد اخذوا فلسفتهم عن الطبيعة الإنسانية وفي تحديد نسبتها إلي الخــير والشر من فلسفة الشرق القديم مبتدئا بالنيل – ونحن بدورنا لابــد أن نعترف بذلك حتي لا نخالف الحقيقة التي تقرر بدون أدني شك بأن تيار الفكر الإنساني قد تدفق من الشرق إلي الغرب بدون توقف** } ، كما قرر

---

١ – د / نـــور الديـــن إشـــراقية – معركـــة الحيـــاة – مرجـــع ســـابق – ص ٢٢٩ .

أيضاً ليقطع كل شك في ذلك { ينسب كثير من المهتمين بدراسة الفلسفة إلي اليونان فضل السبق ، وليس هذا إلا وقوعاً في خطأ فاحش لأن حب الحكمة والفكر الإنساني النافع كالشمس تماماً ، بزغ نوره في الشرق ثم ما لبث أن انتشر تجاه الغرب - ولذلك ليس في وسعنا أن نفهم فلسفة اليونان فهماً تاماً إلا إذا عرفنا أنها مدينة للفلسفة في مصر والهند والصين وفارس ، لأن جميع الخيوط والآراء الفلسفية قد انتقلت من الشرق إلي بلاد اليونان ، وأن فلاسفة اليونان قد نقحوها دون أن يغيروا في أصولها ومعناها ... ولذا فإن كان الفلاسفة والحكماء الشرقيون قد لقنوا العالم جمال القداسة فإن فلاسفة اليونان قد أكدوا قداسة الجمال }[1]

* الحضارة الرومانية التي تعتبر الحضارة الثانية في الغرب القديم - قد استندت في فكرها الفلسفي عن مفهوم الفطرة الإنسانية وعن تفسير الدوافع المحركة للسلوك الإجرامي علي ما جاء في الفلسفة اليونانية من نظريات مستمدة أصولها من الفلسفة الشرقية وذلك مثل الفلسفة الرواقية التي اعتنقها أشهر فلاسفة الرومان وهو سنكا {SeniekaC } الذي ولد في عام ٥٤ ق . م ومات في عام ٥٨ ميلادية ، وابيكتاتوس { Apiektatos C } الذي ولد في عام ٦٠ ميلادية ومات في عام ١٢٠ ميلادية - والإمبراطور الروماني ماركوس أوريليوس { Markos Orieluos } الذي ولد في عام ١٢١ ميلادية ومات وهو علي كرس العرش في عام ١٨٠ ميلادية ، والفلسفة الرواقية وإن كانت من

1- Henry Thomas - The Great Philosophers - op . cit - p . 4, 67 . 68 .

أشهر المدارس الفلسفية التي ظهرت في بلاد اليونان خلال القرن الرابع قبل الميلاد واهتمت بموضوع الفطرة الإنسانية وبتحديد نسبتها إلي الخير أو الشر – ألا أن كثيراً من المسلمات الفكرية تشير بأن معظم أصول هذه الفلسفة قد تم اقتباسها من فكر المدرسة الموهية التي أسسها الفيلسوف { موه تسي } وظهرت في الصين القديمة خلال القرن السادس قبل الميلاد (١)

إن اهتمامنا بإظهار هذه الحقيقة ليس من قبيل التعصب لفكر الفلسفة الشرقية ، ولا من قبيل إنكار الدور العظيم الذي قامت به الفلسفة اليونانية والرومانية في تحديد أصل الفطرة الإنسانية ومدي ارتباطها بتفسير الدوافع المؤثرة في السلوك الإجرامي – وإنما من أجل أن نحدد نقطة البداية التي تدفق منها تيار الفكر الإنساني في مساراته الصحيحة عبر الزمان – ونكشف الآراء المضللة التي تنكر ذلك .

ولذلك ... فإن كانت هذه الدراسة تهدف في المقام الأول إلي كشف الجذور الأصولية التي أسست علم الإجرام في العصور القديمة – إلا أنها تهدف أيضا إلي ضرورة إحياء كل أصول الفلسفة الشرقية القديمة حتي لا يضعها الفكر الغربي الحديث بين أنيابه وينسبها إليه بعد أن يلبسها ثوب عصري براق لإخفاء جوهرها .

---

١ – د / فؤاد محمد شبل – حكمة الصين – مرجع سابق – ص ٦٧ وما بعدها .

– رو صن – وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة – مرجع سابق – ص ٨ .

كشـــــاف

(فهرسي - أبجدي)

(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

(جـ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ط)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

قائمة المراجع

أولاً : المراجع العربية .

- د . أبوبكر محمد زكري : تيسير فلسفة الأخلاق – الطبعة الأولي – ١٩٦٧ – ١٩٦٨ – دار التأليف بالقاهرة .
- د .أحمد الخشاب : دراسات في النظم الاجتماعية – طبعة ١٩٥٨ – مكتبة القاهرة الحديثة .
- د.أحمد جاد المولي : مذكرات عن مفهوم الخير – طبعة ١٩٥٦ – القاهرة .
- د. أحمد خليفة : النظرية العامة للتجريم – دراسة في فلسفة القانون الجنائي القاهرة – ١٩٥٩ .
- د .أحمد سويلم العمري : أصول العلاقات السياسية الدولية – الطبعة الثالثة – ١٩٥٩ القاهرة – مكتبة الأنجلو المصرية .
- د . أحمد فتحي سرور : السياسة الجنائية – مجلة القانون والاقتصاد – العدد الأول – مارس ١٩٦٩ – كلية الحقوق – جامعة القاهرة .
- د. أحمد كمال ، د .كرم جبيب : علم الاجتماع الحضري – طبعة ١٩٧٣ – القاهرة – دار الجيل للطباعة .
- د.اسحق عبيد: تاريخ العصور الوسطي المبكرة – طبعة ١٩٨٠ /١٩٨١ القاهرة – مكتبة الحرية – جامعة عين شمس .
- د.اسماعيل مظهر: فلسفة اللذة والألم – القاهرة ١٩٣٧ – مكتبة النهضة المصرية .
- د.القشيري : الرسالة القشيرية – طبعة ١٩٥٩ القاهرة كلية آداب عين شمس .
- د.بطرس بطرس غالي ، د/ محمود خيري عيسي : المدخل لعلم السياسة – القاهرة – ١٩٥٩ – مكتبة الأنجلو المصرية .
- د.حسن شحاته سعفان : علم الجريمة – طبعة ١٩٦٦ – مكتبة نهضة مصر بالقاهرة.
- .... : مونتسكيو – سلسلة قادة الفكر في الشرق والغرب – مكتبة نهضة مصر – القاهرة – (غير محدد سنة الطبع) .

- .... : كونفوشيوس - غير محدد سنة الطبع دار النهضة العربية - بالقاهرة .
- د.رمسيس بهنام : المجرم تكويناً وتقويماً - طبعة ١٩٧٩ كلية الحقوق - جامعة الاسكندرية .
- د.رؤوف عبيد : مبادئ علم الإجرام - طبعة ١٩٧٢ دار الفكر العربي بالقاهرة .
- د.ذكي نجيب محمود ، د / أحمد أمين : قصة الفلسفة اليونانية - الطبعة الثانية ١٩٨١ - مكتبة النهضة المصرية .
- د.سعد محمد الشناوي : مدي الأخذ بنظرية المصالح المرسلة في الفقه الإسلامي - مقارنات والفكر الغربي - الجزء الأول والثاني الطبعة الثانية - ١٩٨١ - القاهرة .
- د.سلوي توفيق بكير : مبادئ علم الإجرام وعلم العقاب - القاهرة ١٩٨٣ .
- د .سمير عبدالمنعم أبو العنين: العلاقات الدولية في العصور القديمة - طبعة ١٩٨٩ - القاهرة - دار النهضة العربية .
- .... : أصول الاخلاق - طبعة ١٩٩٠ - القاهرة - دار النهضة العربية .
- .... : المضمون الأخلاقي لقواعد القانون - طبعة ١٩٨٩ - مكتبة مدبولي بالقاهرة .
- .... : الجرائم العدوانية علي حقوق الوحدة البشرية في العصور القديمة - طبعة ١٩٩١ - القاهرة - دار النهضة المصرية .
- .... : المبادئ العامة لتاريخ النظم والشرائع - طبعة ١٩٩٨ - القاهرة - دار النهضة المصرية .
- د.صوفي حسن أبو طالب: مبادئ تاريخ القانون - طبعة١٩٦٧ - دار النهضة العربية
- الشيخ.عبدالجواد رجب : مع الله (نظرات في الكون والحياة) تقدم الشيخ / محمد الغزالي - الطبعة الثانية - ١٩٧٤ - دار الاعتصام بالقاهرة
- د.عبدالرحمن بدوي : الأخلاق النظرية - الطبعة الأولي ١٩٧٥ - وكالة المطبوعات بالكويت .

- د.عبدالسلام الترمانيني : محاضرات في تاريخ القانون - طبعة ١٩٦٤ كلية الحقوق - جامعة حلب - سوريا .
- د.عبدالفتاح الصيفي : علم الإجرام - طبعة ١٩٧٣ - كلية الحقوق - جامعة الإسكندرية .
- الشيخ/عبدالله ناصح علوان : تربية الأولاد في الإسلام - الجزء الأول - دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع -بيروت - لبنان الطبعة الثالثة - ١٩٨١ .
- د.عبدالمنعم البدراوي : تاريخ القانون الروماني - الطبعة الأولي ١٩٤٨ /١٩٤٩ دار الثقافة بالقاهرة .
- د.عثمان آمين : الفلسفة الرواقية - طبعة ١٩٤٥ - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة .
- د.علاء الدين عبدالمحسن : رؤية مصر لجيرانها في الشرق الأدني - من واقع النصوص المصرية القديمة - بحث منشور بمجلة المؤرخ العربي - العدد الثامن - المجلد الأول - مارس ٢٠٠٠ م .
- د.علي راشد : فلسفة وتاريخ القانون الجنائي - طبعة ١٩٧٤ القاهرة - كلية الحقوق جامعة عين شمس
- د.عمر ممدوح مصطفي : القانون الروماني - الطبعة الخامسة - ١٩٦٥/١٩٦٦ دار المعارف بالقاهرة .
- د.فؤاد محمد شبل : حكمة الصين - دراسة تحليلية لمعالم الفكر الصيني منذ أقدم العصور - الجزء الثالث ١٩٦٨ - تم طبعه بمكتبة الدراسات الفلسفية - ونشره بدار المعارف بالقاهرة
- د.مأمون سلامة : أصول علم الإجرام والعقاب - طبعة ١٩٧٩ كلية الحقوق - جامعة القاهرة .
- د.محمد أبو زهرة : مقارنات الأديان - الديانات القديمة - طبعة ١٩٦٥م دار الفكر العربي - القاهرة .
- د.محمد أركون : وحدة الإنسان في الفكر الإسلامي - ١٩٨٤

الجزائر – كلية آداب جامعة القاهرة .

- د.محمد بيصار : العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع الطبعة الثانية ١٩٧٢ – مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة
- د.محمد بيصار : الفلسفة اليونانية –الطبعة الأولي – غير محدد سنة الطبع جامعة السيد محمد بن علي السنوسي – ليبيا
- د.محمد عبدالمنعم القيعي: عقيدة المسلمين – الطبعة الثانية ١٩٨٦ القاهرة وزارة الأوقاف – المجلس الأعلي للشئون الإسلامية
- د. محمد كامل ياقوت : الشخصية الدولية في القانون الدولي والشريعة الإسلامية طبعة ١٩٧٠ م –القاهرة – عالم الكتب للطباعة والنشر والتزيع .
- د.محمود عز العرب السقا : أبحاث في تاريخ الشرائع القديمة – طبعة ١٩٩١ دار النهضة العربية بالقاهرة .
- د.محمود عز العرب السقا : تاريخ النظم القانونية والاجتماعية – الطبعة الاولي – ١٩٧٠ – مكتبة القاهرة الحديثة .
- د.محمود عز العرب السقا : فلسفة العقوبة العظمي (عقوبة الإعدام) طبعة نوفمبر ١٩٩٧ – كلية الحقوق – جامعة القاهرة .
- د. مصطفي محمود : الماركسية والإسلام – طبعة ١٩٨٣ دار المعارف بالقاهرة .
- الشيخ/محى الدين بن عربى الحاتمي الطائي : تهذيب الأخلاق – طبعة ١٣٣٢ هجرية – وأعيد طبعه ومراجعته بمعرفة د / عبدالرحمن حسن محمود – عام ١٩٨٦م – مكتبة عالم الفكر بالقاهرة .
- د. نجاتي سند : علم الإجرام – الطبعة الثالثة ١٩٨٩ / ١٩٩٠ كلية الحقوق – جامعة الزقازيق .
- د. نور الدين إشراقية : معركة الحياة (الثورة العالمية – النضال الثوري من أجل الوحدة العالمية) – الطبعة الأولي ١٩٧٢ – مطابع دار الكتب – بيروت – لبنان .

- د. يسـري أنـور، الدكتورة / آمال عثمان : أصول علمي الإجرام والعقاب – طبعة ١٩٧٠ – القاهرة .

ثانيا : المراجع المترجمة .

- ارسـطو طـاليس : علم الأخلاق إلي نيقوماخوس – الجزء الثاني – ترجمة من اليونانية إلي الفرنسية بارتملي سانتهلير – أستاذ الفلسفة اليونانية في الكولج دي فرانس ثم وزير خارجية فرنسا سابقا – ونقلـه إلي العربيـة أحمد لطفي السيد – طبعة ١٩٢٤ – القاهرة – دار الكتب المصرية .
- أفلاطـون : جمهورية أفلاطون – الكتاب الرابع – ترجمة الدكتور / فؤاد زكريا – مراجعة عن الأصل اليوناني – د / محمد سليم سالم – طبعة ١٩٦٨ م القاهرة – دار الكتاب العربي للطباعة والنشر .
- أمـا نويـل كـانت : تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق – مراجعة وتقديم وتعليق د / عبدالغفار مكاوي – مراجعة د / عبدالرحمن بدوي – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة .
- أندريه كريسـون : المشكلة الأخلاقية والفلاسفة – ترجمة الدكتور / عبدالحليم محمود والدكتور / أبوبكر محمد زكري – طبعة ١٩٧٩ – مطابع دار الشعب بالقاهرة
- برترانـد رسـل: حكمة الغرب – لندن ١٩٦١م – ترجمة الدكتور / فؤاد زكريا – الطبعة الأولي ١٩٨٣م عالم المعرفة بالكويت .
- تـاريخ الصـين : الجزء الأول – سلسلة كتب سور الصين العظيم مجلة بناء الصين – إعداد مجموعة من أكبر المؤرخين في الصين – بكين ١٩٨١ – مترجم باللغة العربية – الطبعة الأولي .

- جواهر لال نهرو : لمحات من تاريخ العالم - نقله إلي العربية لجنة من الأساتذة الجامعين - الطبعة الأولي ١٩٥٧ - منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر بيروت - لبنان .
- جورج سارتون : تاريخ العلم - الجزء الثاني - نيويورك ١٩٥٢ ترجمة لفيف من العلماء بإشراف لجنة مولفة من الدكاترة (إبراهيم بيومي مدكور ، ومحمد كامل حسين ، وقسطنطين رزيق - ومحمد مصطفي زيادة) - الطبعة الثانية - أكتوبر ١٩٧٨ - دار المعارف بالقاهرة .
- جيان بوه تسان ، شاوشيون ، تشنغ ، هوهوا : موجز تاريخ الصين - دار النشر باللغات الأجنبية - الطبعة الأولي ١٩٨٥ - مترجم باللغة العربية - بكين - الصين .
- راجا هويتشنج : (فيلسوف هندي) السلام العظيم - نيويورك ١٩٥٩ - ترجمة وديع سعيد - القاهرة ١٩٧٣ - دار الفكر العربي .
- رالف . ب . وين : قاموس جون ديوي للتربية - نيويورك ١٩٥٩ ترجمة د / محمد علي العريان - تصدير عبدالعزيز سلامة - الطبعة الأولي ١٩٦٤ - مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة .
- رو صن : وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة - ترجمة د/محمد جلال عباس - طبعة ١٩٨٩ -كلية آداب جامعة القاهرة .
- شارل فرنر : الفلسفة اليونانية - ترجمة تسير شيخ الأرض - الطبعة الأولي ١٩٦٨ - دار الأنوار - بيروت - لبنان .
- لويس بازان : وحدة الإنسان في الفكر التركي المغولي - ترجمة محمد جلال عيسى - ١٩٨٩ - كلية آداب جامعة القاهرة .

- مــــــــــــاكيفر : المجتمع – ترجمة أحمد عيسي – الطبعـــة الأولي ١٩٧٣ – القاهرة – مكتبة نهضة مصر .
- ول ديورانــــــــت : قصة الحضارة – الجزء الرابع – الشرق الأقصى – ترجمـــة د/محمد بدران – اختارته وأنفقت علي ترجمته الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية – غير محدد سنة الطبع
- ول ديورانــــــــت : قصة الحضارة – الجزء الثـــالث مـــن المجلـــد الثـــالث – قيصر والمسيح – ترجمة محمد بـــــدران – اختارتـــه وانفقت علي ترجمته الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية عام ١٩٦١ – القاهرة .
- سانت . ل . ب . موس : ميلاد العصور الوسطي – نيويـــورك ١٩٣٥ – ترجمـــة عبدالعزيز جاويد – مراجعة الدكتور / السيد البــــاز العريني – الطبعة الأولي ١٩٦٧ عالم الكتب بالقاهرة

٩٥٠

ثالثا : المراجع الأجنبية .

- **Allan Bloom** : The closing of the American Mind – How Higher Education has failed Democracy and inpouerished the souls of todays studrmis – Simon & Schuster New York – 1988 .
- **Alpert Herch Man:** the passions and the interests – New Gersy – 1977 .
- **Andre Aymard** **Et jeannine Auboyer : Histoire** General Des civilisations – Tom - L'orient et la grece Antique – paris –1962
- **Arser Melzer** : The natural Goodness of man – New American Library – New york – 1990 .
- **A.Rygoloff** : Viede confucius – paris – 1946 .

- **A.T. olmstead:** History of Persian empire achaemenid Period – Chicago – the university of Chicago press – 1972 .
- **B. Ditullie :** Principl de Crimenalogia – Roma – 1954 .
- **Boel Rekrar :** Readings in Existential Phenomenology " ed" lourence and D'o'connor New York – 1967
- **Boulger .D.C :** Hislory of china – London – 1952 .
- **Conrad Zucker :** Psychologie de la superstition– paris – 1952
- **Elie Metchnikoff :** Etude sur la nature humaine – essai de philosophe optimiste – paris – Maloine 1903 .
- **Elizabethe Bott:** Family and social - Net work London – 1957 .
- **Emile Durkheim:** Sociologie et philosophie – paris – 1948 .
- **....................:** L'education Morale – paris – 1925 .
- **E.Mounier :** Traite de caractere – paris – 1946 .
- **Ernest Jones :** The origin and structure of the super – Egs – London – 1925 .
- **Fran cis Fukuyama** : The End of History and the lost MAN – New York – 1992 .
- **Friedrich Nietzsche :** On the Genealogy of morals and Ecce Homs Trans .W. Kaufmann vintage Book – New York – 1967 .
- **Gabriel Modinior :** La conscience Morale – paris 1963 .

- **Gaston stefani Et Georage levasseur :** Droit penal general et procpen – Dalloz – 1971 .
- **Georg .F.F. Hegel :** The phenomenology of Mind – New York 1967 .
- **G.R. Driver and John C . Miles:** The Body lanoir Lowers – Wol . 1. Oxford universty – 1962 .
- **Henri Berr :** La synthese en histoire - paris – 1911 .
- **Henry Thomas :** The great philosophers - New York -1962
- **Hevery cleckly:** The Mask of sanity London – 1941 .
- **Jank Elevitch :** Traite des vertus – paris – 1970 – U.N. University . tokoy
- **Jean Pinatel :** Lombroso et la criminalogie - paris - 1977
- **J.c. Flugel :** Man, Morals and society Apsyco Analylical study – A Mace company – London 1945
- **..................... :** Feeling and the Hormic theary – character personality London – 1939 .
- **J.H.Bresseted :** A History of Egypt - part 2 – London – 1948
- **J-Duchesse :** Guillemin Zoroastre, etude criligue avec une traduction eommenter de gotha – paris – 1950 .
- **J . Vandier :** La religion Egyptienne – paris – 1949
- **L.Delaporte :** Lea Hittite – Paris – 1936
- **Max Scheler :** Le sens de la sufferance – paris – 1963
- **..................... :** Man's place in Nature – New York – Manday – Perss – 1928 .

- **Masaharu Anesaki** : History of japanese Religion with special reference to the social and Morals life of the nation, Charles E. Tuttle company . Tokyo – japan – U. N . university – 1980 .
- **M . Granet** : Chinese Cililization – New York - 1930
- **..................** : La civilisation la Grece antique – paris – 1932 .
- **N . Hartmann** : Ethies – London – 1963
- **N . Pende** : Trattato di biolipologia Umana – Milono 1939 .
- **R . Gousset** : La Chine et son art – paris – 1951 .
- **R . Lesenne** : Traite de Morale generale – paris – 1947.
- **Olof. Kinbery** : La problemes fondomentoux de la criminologe . Trad . Fr. Paris – 1960 .
- **Shrirama indradeva** : Growth of legol system in indian society – London –1983 .
- **..................** : Social structure and valuse in later smrtis – New Delhey – india – 1972 .
- **Thomas Hobbes** Leuiathan – part 1 and 11 – Babbs – Merrll indianapolis – 1958 .
- **V.Jankelevitch:** La mouvaise consience – Paris – Al can 1939
- **Wilhelm .R** : Short History of Chinese Civilization New York . 1952 .

الفهـــــرس